سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٣٣)

تعلق القلب

بالله وبغير الله من خلال مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"الله تعالى في هذه الآية الكريمة(٣٢) عباده المؤمنين عن تمني ما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض فأعطى هذا وحرم ذاك لحكم اقتضت ذلك، ومن أظهرها الابتلاء بالشكر والصبر، فقال تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به﴾ —من علم أو مال. أو صحة أو جاه أو سلطان- ﴿بعضكم على بعض﴾ وأخبر تعالى أن سنته في الثواب والعقاب الكسب والعمل، فليعمل من أراد الأجر والمثوبة بموجبات ذلك من الإيمان والعمل الصالح، ولا يتمنى ذلك تمنيا، وليكف عن الشرك والمعاصي من خاف العذاب والحرمان ولا يتمنى النجاة تمنيا كما على من أراد المال والجاه فليعمل له بسنته المنوطة به، ولا يتمنى فقط فإن التمني كما قيل بضائع النوكى، أي: الحمقى، فلذا قال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ ، فرد القضية إلى سنته فيها وهي كسب الإنسان. كقوله تعالى :﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ثم بين تعالى سنة أخرى في الحصول على المرغوب: وهي دعاء الله تعالى فقال: ﴿واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما﴾ فمن سأل ربه وألح[١] عليه موقنا بالإجابة أعطاه فيوفقه للإتيان بالأسباب، ويصرف عنه الموانع، ويعطيه بغير سب إن شاء، وهو على كل شيء قدير، بل ومن الأسباب المشروعة الدعاء والإخلاص فيه.

هذا ما تضمنته الآية الأولى(٣٣) فإن الله تعالى يخبر مقررا حكما شرعيا قد تقدم في السياق، وهو أن لكل من الرجال والنساء ورثة يرثون إذا مات فقال: ﴿ولكل جعلنا[٢] موالي﴾ أي: أقارب يرثونه إذا مات، وذلك من النساء والرجال، أما الذين هم موالي بالحلف أو الإخاء فقط، أي: ليسوا من أولي الأرحام، فالواجب إعطاؤهم نصيبهم من النصرة والرفادة. والوصية لهم بشيء إذ لاحظ لهم في الإرث، لقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ ، ولما كان توزيع المال وقسمته تتشوق له النفوس وقد يقع فيه حيف أو ظلم أخبر تعالى أنه على كل شيء شهيد فلا يخفى عليه من أمر الناس شيء فليتق ولا يعص.

---

١ لحديث الترمذي وغيره، قال صلى الله عليه وسلم: "سلوا الله من فضله، فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج" أي: من الله تعالى، وهو **تعلق القلب** بالرب تعالى.

٢ هذه الآية ناسخة لكل من الإرث بالتحالف والمؤاخاة، وهي كقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ ، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ فقد كان الرجل في الجاهلية يقوله لمن أراد محالفته: دمي دمك، وهدمي هدمك، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني

وأرثك. وأما المؤاخاة: فقد كانت بين المهاجرين والأنصار بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوارثوا بها حتى نسخت بهذه الآية، وآية الأنفال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ .". (١)

٢-"(إنا نستعينك) أي نطلب منك الإعانة على طاعتك، أو على جميع مهماتنا. ويدل عليه حذف المتعلق المؤذن بالعموم على حد ﴿والله يدعو إلى دار السلام ﴾ (يونس: من الآية٢٥) جميع عباده

(ونستغفرك) أي نطلب منك المغفرة وهي ستر ذنوبنا وعدم مؤاخذتنا عليها

(ونؤمن بك) أي نصدق بوجوب ما يجب لك علينا

(ونتوكل) أي نعتمد عليك في جميع أمورنا فإنا لاحول ولا قوة

قال سيدي (أحمد زروق) :

والصحيح أن لفظ (ونتوكل عليك) ليس في الرسالة وإنما هو من زيادة بعض الرواة وربما ثبت في بعض الروايات

(ونثني عليك الخير كله)والصواب عدم زيادتها

(ونخنع) أي ونخضع ونذل ونلجأ لك لأن جميع المخلوقات مفتقرة إليك

(ونخلع) أي ونزيل ربقة الكفر من أعناقنا بمعنى نترك جميع الأديان الباطلة لا تباع دينك وطريقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم

(ونترك) أي نطرح مودة كل من يكفرك ولا يشكل على هذا عدم حرمة نكاح الكتابية مع أن في نكاحها مودة لأن النكاح من باب المعاملات ولأن المطلوب عدم المودة التي معها محبة لدينهم المراد بقوله تعالى

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية والنكاح لا يلزم منه محبة الدين إذ يمكن أن يتزوجها مع كراهة دينها بل يجب عليه ذلك

(اللهم إياك نعبد) أي نخصك بالعبادة لأن عبادة غيرك كفر والدليل على هذا تقديم المعمول نحو إياك نعبد

(ولك نصلي ونسجد) أي لا نصلي ولا نسجد إلا لك وذكرهما بعد العبادة تنبيها على شرفهما

(وإليك نسعى) أي لا نعمل طاعة ولا شيئا من أنواع الخير إلا لك

(و إليك نحفد) بفتح الفاء وكسرها والدال المهملة أي نخدم ونسرع في طاعتك ومنه تسمية الخدمة حفدة لسرعتهم في خدمة السادات

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري ٤٧٠/١

(نرجو رحمتك) أي نطلب ونطمع في نيل إحسانك إذ الرجاء **تعلق القلب** بمرغوب فيه مع الأخذ في أسبابه
(ونخاف عذابك) فنتجنب جميع منهياتك
(الجد) بكسر الجيم على الأشهر أي الثابت الحق لأنه ضد الهزل". (١)

٣-"وهذه الخمسة أصول الجنايات، وأما غيرها فهي كالفروع، ومناسبة ذكرها هنا ما فيها من تحريم القول على الله بلا علم، ومنه القول على الله في أسمائه وصفاته بلا علم؛ لأن القول على الله بلا علم أشد من الشرك تحريما؛ لأن الله رتبها في الآية من الأدنى إلى الأعلى.
وقال ابن القيم – رحمه الله –: أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة: **تعلق القلب** بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية، وهي الشرك والظلم والفواحش، فغاية التعلق بغير الله: الشرك، وغاية القوة الغضبية: القتل، وغاية القوة الشهوانية: الزنا؛ ولهذا جمع الله الثلاثة في قوله: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ .
وقال الشيخ – رحمه الله –: ظلم العبد نفسه يكون بترك ما ينفعها، وهي محتاجة إليه، وذلك فعل ما أمر الله به، وبفعل ما يضرها وذلك المعاصي كلها، كما أن ظلم الغير كذلك إما بمنع حقه أو التعدي عليه، فإن الله أمر العباد بما ينفعهمن ونهاهم عما يضرهم، وجاء القرآن بالأمر بالإصلاح والنهي عن الفساد والصلاح كله طاعة، والفساد كله معصية، وقد لا يعلم كثير من الناس ذلك على حقيقته، فعلى المؤمن أن يعلم أن الله يأمر بكل مصلحة وينهى عن كل مفسدة، وكل ما أمر الله به راجع إلى العدل، وكل ما نهى عنه راجع إلى الظلم، والظلم الذي حرمه الله على نفسه أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها أو يعاقب البريء على ما لم يفعله من السيئات أو يعاقب هذا بذنب غيره أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك، وذلك لكمال عدله وحمده. اهـ.
من ما يفهم من الآية الكريمة:
١- الرد على من قال إن القرآن كلام مخلوق.
٢- إثبات الربوبية.
٣- تحريم الفواحش عامة.
٤- أن الفواحش قسمان: ظاهرة وباطنة.

---
(١) اتحاف الوفد ص/٢٨

٥- تحريم الإثم.

٦- تحريم الزنا؛ لأنه فاحشة.

٧- تحريم اللواط؛ لأنه فاحشة.". (١)

٤-"وقوله تعالى : ﴿ويؤثرون على أنفسهم...﴾ الخ ، بعد أن وصفهم بقطع الطمع والحرص ، والزهد فيما لم يملكوا بقوله : ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ وصفهم بالإيثار فيما ملكوا ، وبذلك يتم تحقيق خروج الدنيا من قلوبهم ، بحيث لا **يتعلق القلب** بما فات منها ، ولا يمسك ما وجد منها ، بل يؤثر به مع الحاجة إليه ، فالآية تشير إلى سلامة الصدور ، وسخاوة الأنفس ، وهذا كان وصف الصحابة - رضي الله عنهم - وبهذين الخصلتين فاقوا جميع الناس ، وهي أخلاق الصوفية - رضي الله عنهم - قال الشيخ أبو يزيد : ما غلبني أحد غير شاب من بلخ ، قدم حاجا ، فقال : يا أبا يزيد ، ما الزهد عندكم ؟ فقلت : إذا وجدنا أكلنا ، وإذا فقدنا صبرنا ، فقال : هكذا عندنا الكلاب ببلخ ، فقلت : وما الزهد عندكم ؟ فقال : إذا وجدنا آثرنا ، وإذا فقدنا شكرنا. هـ. وسئل ذو النون : ما حد الزاهد المشروح صدره ؟ فقال : ثلاثة ؛ تفريق المجموع ، وترك طلب المفقود ، والإيثار عند القوت. هـ.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٩

يقول الحق جل جلاله : ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ أي : ألم تر يا محمد ، أو : يا من يسمع ، إلى عبد الله بن أبي وأشياعه ؟ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين ، من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة ، بعد حكاية محاسن أقوال المؤمنين ، وأحوالهم الحميدة ، على اختلاف طبقاتهم. وقوله تعالى : ﴿يقولون﴾ استئناف لبيان المتعجب منه ، وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم ، أو : لاستحضار صورته. واللام في قوله : ﴿لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ للتبليغ ، والمراد بالأخوة : أخوة الكفر ، واللام في قوله : ﴿لئن أخرجتم﴾ موطئة للقسم ، و ﴿لنخرجن﴾ جوابه ، أي : والله لئن أخرجتم من دياركم

١٢

". (٢)

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات ١/٣٤٠

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع ٨/١٨

٥-"٣- قال الرازي : لا شبهة في أن المراد بقوله : بعد عامهم هذا السنة التي حصل فيها النداء من المشركين ، وهي السنة التاسعة من الهجرة « ٢ » أي أن المنع يبدأ من السنة العاشرة.

٤- الفضل المذكور في الآية مطلق ، يشمل كل ما أغناهم الله به ، وهو الأصح ، وقيل : المراد به حمل الطعام إلى مكة من البلاد التي أسلم أهلها كجدة وصنعاء وحنين ، فإنه سد حاجتهم وأغناهم عما في أيدي المشركين. وقيل : المراد به الجزية ، وقيل : الفي ء.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٩٠١ ، تفسير القرطبي : ٨/ ١٠٤ وما بعدها.

(٢) تفسير الرازي : ١٦/ ٢٦.

ج ١٠ ، ص : ١٧٠

و قوله تعالى : فسوف يغنيكم الله من فضله إخبار عن غيب في المستقبل على سبيل الجزم ، وقد وقع الأمر مطابقا لذلك الخبر ، فكان معجزة.

وفي هذه الآية دليل على أن **تعلق القلب** بأسباب الرزق جائز ، ولا ينافي ذلك التوكل ، وإن كان الرزق مقدرا ، وأمر الله وقسمه مفعولا ، ولكنه علقه بالأسباب ، لحمل الناس على العمل ، والسبب لا ينافي التوكل ، بدليل

ما أخرج البخاري من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا « ١ » »

فأخبر أن التوكل الحقيقي لا يعارضه الغدو والرواح في طلب الرزق.

وقوله تعالى : إن شاء يدل على أن الرزق ليس بالاجتهاد ، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته ، وذلك في قوله : نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ... [الزخرف ٤٣/ ٣٢].

٥- إقامة الكفار في ديار الإسلام :

بلاد الإسلام بالنسبة لدخول الكفار إليها وإقامتهم فيها ثلاثة أقسام : ". (١)

٦-"أداء العبادة ، وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركا ، ولا يخرج به المكلف عن شرط الإخلاص المفترض عليه. لكن الحج دون تجارة أفضل ، لبعده عن شوائب الدنيا **وتعلق القلب** بغيره.

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١٠/١٧٠

وفي آية : فإذا أفضتم من عرفات .. دلالة على أن الوقوف بعرفة أمر واجب لا بد منه ، لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده ، ولأنه قد رتب عليه الأمر بالذكر عند المشعر الحرام.

وقد أجمع العلماء على أن من وقف بعرفة يوم عرفة قبل الزوال (الظهر) ثم أفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه ذلك. وأجمعوا على تمام حج من وقف بعرفة بعد الزوال ، وأفاض نهارا قبل الليل ، إلا الإمام مالك ، فإنه قال : لا بد أن يأخذ من الليل شيئا. ولا خلاف أيضا في أن من وقف بعرفة بالليل فحجه تام. وحجة الجمهور : مطلق قوله تعالى : فإذا أفضتم من عرفات ولم يخص ليلا من نهار ، و

حديث عروة بن مضرس قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموقف من جمع- مزدلفة- ، فقلت : يا رسول الله ، جئتك من جبلي طيء ، أكللت مطيتي ، وأتعبت نفسي ، والله إن تركت من جبل « ١ » إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى معنا صلاة الغداة بجمع ، وقد أتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهارا ، فقد قضى تفثه « ٢ » ، وتم حجه » « ٣ » .

---

(١) أي ما تركت جبلا إلا وقفت عليه.

(٢) المراد أنه أتى بما عليه من المناسك. والمشهور : أن التفث : ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر أو حلقه وحلق العانة ونتف الإبط وغيره من خصال الفطرة ، ويدخل ضمن ذلك نحر الإبل وغيرها وقضاء جميع المناسك ، لأنه لا يقضى التفث إلا بعد ذلك.

(٣) رواه أبو داود والنسائي والدار قطني واللفظ له ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

ج ٢ ، ص : ٢٢١". (١)

٧-"إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غير الله ، فلم يعبد المشركون ما لا يضر ولا ينفع ؟ ولكن أكثرهم يجهلون الله ، فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية.

٦- الله تعالى وحده مصدر الرحمة الذي يدفع الضرر ، فيجيب دعاء المضطر (و هو ذو الضرورة المجهود) ويكشف السوء (الضر) ويجعل الناس خلفاء الأرض أي سكانها جيلا بعد جيل ، فيموت قوم وينشئ الله آخرين ، أمع الله ويلكم أيها الناس إله ؟ ولكنكم تتذكرون تذكرا قليلا نعم الله عليكم ، والمراد نفي التذكر ،

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٢٣١/٢

والقلة تستعمل في معنى النفي.

وهذا دليل على أن الله تعالى ضمن إجابة المضطر إذا دعاه ، وأخبر بذلك عن نفسه ، لأن التضرع إليه ينشأ عن الإخلاص ، وعدم **تعلق القلب** بسواه ، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة ، سواء وجد من مؤمن أو كافر ، طائع أو

ج ٢٠ ، ص : ١٧

فاجر ، كما قال تعالى : حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين [يونس ١٠/ ٢٢] وقوله : فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون [العنكبوت ٢٩/ ٦٥] أي أن الله تعالى أجابهم عند ضرورتهم وإخلاصهم ، مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم ، وقال تعالى : فإذا ركبوا في الفلك ، دعوا الله مخلصين له الدين [العنكبوت ٢٩/ ٦٥].

و

في الحديث الصحيح : « ثلاث دعوات مستجابات ، لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده »

و

في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ لما وجهه إلى أرض اليمن : « و اتق دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب » .". (١)

٨-"١- ٢ : أداء الصلاة والمواظبة عليها : إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون أي إن الناس يتصفون بصفات الذم إلا الموفقين المهديين إلى الخير ، وهم الذين يؤدون صلاتهم ، ويحافظون على أوقاتها وواجباتها ، فلا يتركونها في شيء من الأوقات ، ولا يشغلهم عنها شاغل ، ولا يخلون بشيء من فرائضها وسننها ، ويتمثلون حقيقتها من الصلة بالله والسكون والخشوع ، فهؤلاء ليسوا على تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع ، وإنما بإيمانهم وكون دين الحق في نفوسهم على صفات محمودة وخلال مرضية.

ج ٢٩ ، ص : ١٢٢

و هذا دليل على وجوب المواظبة على العبادة ، كما

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٢٠/١٤

جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » وفي لفظ « ما داوم عليه صاحبه »

قالت : وكان رسول الله إذا عمل عملا داوم عليه ، أو أثبته. فيكون المراد بالآية الذين يداومون على الصلوات في أوقاتها ، وأما الاهتمام بشأنها فيحصل برعاية أمور سابقة على الصلاة كالوضوء ، وستر العورة ، وطلب القبلة وغيرها ، **وتعلق القلب** بها إذا دخل وقتها ، ورعاية أمور مقارنة للصلاة ، كالخشوع ، والاحتراز عن الرياء ، والإتيان بالنوافل والمكملات. ورعاية أمور لاحقة بالصلاة ، كالاحتراز عن اللغو وما يضاد الطاعة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فارتكاب المعصية بعد الصلاة دليل على عدم قبول تلك الصلاة.". (١)

٩-"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٦ ، ص : ٢٤٨

٤ - قال القرطبي : في هذه الآية دليل على أن **تعلق القلب** بالأسباب في الرزق جائز ، وليس ذلك بمناف للتوكل ، وإن كان الرزق مقدرا ، ولكنه علقه بالأسباب لتظهر القلوب التي تتعلق بالأسباب ، من القلوب التي تتوكل على رب الأرباب وقد تقدم أن السبب لا ينافي التوكل ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » « ١ » - أى : تغدو صباحا وهي جياع ، وتعود عشية وهي ممتلئة البطون - .

هذا ، وبتدبر آيات السورة الكريمة - من أولها إلى هنا - نراها قد وضحت العلاقات النهائية بين المسلمين وعبدة الأوثان ، وفصلت كثيرا من الأحكام التي تخص الفريقين ، ومن ذلك أنها قررت :

١ - براءة الله ورسوله من عهود المشركين الذين مردوا على نقض المواثيق.

٢ - إعطاءهم مهلة مقدارها أربعة أشهر يتدبرون خلالها أمرهم ، دون أن يتعرض المسلمون لهم بسوء.

٣ - إعلان الناس جميعا يوم الحج الأكبر بهذه البراءة ..

٤ - أمر المؤمنين بإتمام مدة العهد لمن حافظ من المشركين على عهده.

٥ - بيان ما يجب على المؤمنين فعله إذا ما انقضت أشهر الأمان التي أعطيت للمشركين.

٦ - إرشاد المؤمنين إلى أن من الواجب عليهم تأمين المشرك المستجير بهم حتى يسمع كلام الله ، ويطلع على حقيقة الإسلام .. ثم توصيله إلى موضع أمنه إن لم يسلم.

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١٢٢/٢٩

٧ – بيان الأسباب التي تدعو إلى قتال المشركين ، وإلى وجوب البراءة منهم.

٨ – بيان بعض الحكم والأسرار التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام.

٩ – بيان أن المشركين ليسوا أهلا لعمارة مساجد الله .. وأن الذين هم أهل لذلك : المؤمنون الصادقون.

١٠ – توجيه المؤمنين إلى أن إيمانهم يحتم عليهم أن يؤثروا محبة الله ورسوله على أى شيء آخر ، من الآباء والأبناء والإخوان.

١١ – تذكيرهم بجانب من نعم الله عليهم حيث نصرهم في مواطن كثيرة ونصرهم يوم غزوة حنين ، بعد أن هزموا في أول المعركة دون أن تنفعهم كثرتهم التي أعجبوا بها.

---

(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٠٧ – بتصرف يسير – [.....]".(١)

١٠–"ما كانوا يأتونهم به من الطعام والأموال فأغناهم الله بذلك (١). وهذا معنى قوله: ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾.

قال بعض العلماء (٢): يؤخذ من هذه الآية الكريمة حكم، وهو أن **تعلق القلب** بأسباب الرزق والمعيشة لا ينافي التوكل ولا يقدح في توكل الإنسان؛ لأن هؤلاء القوم لما تخيل لهم أن الطريق التي كانوا يعيشون منها أنها انقطعت بمنع المشركين من الحج، وخافوا الفقر من هذا الطريق ما عنف الله عليهم ولا عابهم بل قررهم على ذلك، فقال لهم: إن خفتم الفقر من هذا الطريق، ومن أن السبب الذي كنتم تعيشون به أنه انقطع فسوف يغنيكم الله بأسباب أخر. وهذا معنى معروف، أن الأسباب لا تنافي التوكل، فالمسلم الذي يعلم ما جاء عن الله يتسبب ويتعاطى جميع الأسباب لحياته، ويتسبب في أسباب الرزق والمعيشة على الوجوه الشرعية غير المزرية، ومع ذلك فهو متوكل على الله، والذي يترك جميع الأسباب ويقول: توكلت على الله!! هذا مخالف للشرع، مخالف لما جاء عن الله، والذي يعتمد في كل شيء على الأسباب ولا ينظر إلى ربه هذا أيضا ضال مضل، والذي يستعمل الأسباب كما شرعها له ربه، ويكون اعتماده في الحقيقة على ربه فهذا هو المؤمن.

ألا ترون أن نبي الله يعقوب، وقد قال الله فيه: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ [يوسف: آية ٦٨] علم أولاده السبب في التحرز عن العين فقال لهم: ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ فهذا

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٦/٢٤٨

تسبب في التحرز عن العين؛ لأنها تضر، ثم صرح مع ذلك بتوكله الكامل على

---

(١) هذه المعاني ذكرها القرطبي (٨/ ١٠٦).

(٢) السابق (٨/ ١٠٧)."[1]

١١-"الله حيث قال: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ [يوسف: الآية ٦٧] فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل كما هو معروف، وقد قال الله لمريم: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ [مريم: آية ٢٥] ولا شك أنه لو أراد أن يتساقط عليها رطبها من غير سبب لتساقط من غير سبب، ولكنه أجرى العادة بأن جعل للأرزاق والمعايش والأشياء أسبابا، ربط بين الأسباب ومسبباتها بما شاء بقدرته وحكمته:

ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب ...

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه ... جنته ولكن كل شيء له سبب (١)

فالأخذ في الأسباب مع مراعاة الشرع، **وتعلق القلب** بالله، وتوكله على الله، هذه طريقة الأنبياء، والله (جل وعلا) يقول: ﴿فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم﴾ [المائدة: آية ٣] يعني: أن من اضطر إلى أكل الميتة أكل الميتة وتسبب في إمساك رمقه بأكل الميتة، ولم يقل له فانتظر وتوكل على الله حتى ينزل لك رزق من السماء!! لم يقل هذا تعليما للناس بالأخذ بالأسباب، وتعلق قلوبهم بربهم، وتوكلهم عليه. وهذا معنى قوله: ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ إن شاء أن يغنيكم. فعلق الغنى بمشيئته، فلا يكون شيء إلا بمشيئته (جل وعلا)؛ لأن الأرزاق مقسومة بمشيئته (جل وعلا)، فهو الذي تولى قسمها بنفسه ولم يكله إلى أحد، كما سيأتي في سورة الزخرف في الكلام على قوله: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا

---

(١) تقدم ذكرها في الحاشية عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف، والبيتان في المستطرف (٢/ ١٢٨، ٥٤٨)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (١/ ٥٩٠)."[2]

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٥/٤١٦

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٥/٤١٧

١٢-"" " صفحة رقم ٣٩٤ " "

اختصت به مكة من زيادة الأمن ، وهو أن من التجأ إلى مكة أمن ، وكان الناس مع شدة عداوتهم إذا التقوا بمكة لا يخاف بعضهم بعضا ، ولذلك أمن الوحش ، فإنهم يقربون إذا كانوا بمكة ويستوحشون من الناس إذا كاناو خارج مكة .

وعن الثاني قال الزجاج : معناه : ثبتني على اجتناب عبادتها ، كما قال : (واجعلنا مسلمين لك ([البقرة : ١٢٨] أي : ثبتنا على الإسلام .

ولقائل أن يقول : السؤال باق ، لأنه من المعلوم أن الله تبارك وتعالى ثبت الأنبياء على الإسلام ، واجتناب عبادة الأصنام ، فما الفائدة من هذا السؤال ؟ .

قال ابن الخطيب : والصحيح عندي في الجواب وجهان :

الأول : أنه صلوات الله وسلامه عليه وإن كان يعلم أن الله تعالى يصعمه من عبادة الأصنام ، إلا أنه ذكر ذلك للنفس وإظهارا للحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى في كل المطالب .

والثاني : أن الصوفية يقولون : إن الشرك نوعان : شرك ظاهر ، وهو الذي يقوله المشركون ، وشرك خفي ، وهو **تعلق القلب** بالأسباب الظاهرة . والتوحيد هو أن يقطع نظره عن الوسائط ، وأن لا يرى متوسطا سوى الحق سبحانه وتعالى فيحتمل أن يكون قوله) واجنبني وبني أن نعبد الأصنام (المراد أن يعصمه عن هذا الشرط الخفي ، والله تعالى أعمل .

والجواب عن الثالث من وجوه :

أحدها : قال الزمخشري : " قوله " وبني : أراد بنيه [من صلبه] " .

والفائدة في هذا الدعاء غير الفائدة التي ذكرناها في قوله : " واجنبني وبني " .

وثانيها : قال بعضهم : أراد من أولاده ، وأولاد أولاده كل من كان موجودا حال الدعاء ، ولا شك أن دعوته مجابة فيهم .

وثالثها : قال مجاهد : لم يعبد أحد من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام صنما ، والصنم هو التمثال المصور ، وما ليس بصنم هو من الوثن ، وكفار قريش ما عبدوا التمثال ، وإنما كانوا يعبدون أحجارا مخصوصة .

وهذا الجواب ليس بقوي ؛ لأنه صلوات الله وسلامه معليه لا يجوز أن يريد بهذا الدعاء إلا عبادة غير الله ، والحجر كالصنم في ذلك .

واربعها : أن هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من أولاده ، بدليل قوله في آخر الآية". (١)

١٣-"" " صفحة رقم ١٤٢ " "

زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة فما الفائدة في تقديم " الجنات " على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكرها بالهاء في " يدخلونها " وما الفرق بني هذا و " بين " قوله القائل : يدخلون جنات عدن ؟

فالجواب : أن السامع إذا علم له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم غير المدخل فإذا قيل له : أنت تدخل مال إلى أن يسمع الدار والسوق فيبقى **متعلق القلب** بأنه في أي المداخل يكون . فإذا قيل : " الدار تدخلها " فيذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بأنه له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى **متعلق القلب** ولا سيما الجنة والنار فإن بين المدخلين بونا بعيدا .

قوله : (يحلون فيها (إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير المدخول فقال : (يدحلونها (وفيها يقع تحليتهم ، وقوله : " من أساور " بجمع الجمع فإنه جمع " أسورة " وهي جمع " سوار " من ذهب ولؤلؤا " وقوله : (ولباسهم (أي ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد أو غيره والإكثار من الزينة لا يدل (إلا) على الغنى ، وذكر الأساور من بين سائر الحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى : (وحلو ا أساور من فضة ([الإنسان : ٢١] وذلك لأن التحلي بمعنيين :

أحدهما : إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون (حاله) حالة الطبخ والغسل .

وثانيهما : إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء لأن التحلي إما بالآلئ والجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللآلىء يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول إلى الأشياء العزيزة الوجود لا لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية وإلا لصرف الذهب والفضة إلى دفع حاجته وإذا عرف هذا فنقول : الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإذا حليت بالأساور علم الفراغ من الأعمال .". (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٩٤/١١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٤٢/١٦

١٤-"" " صفحة رقم ٥٣٦ " "

قوله : (ويوم القيامة ترى لذين كذبوا على لله وجوههم مسودة (العامة على رفع) وجوههم مسودة (وهي جملة من مبتدأ وخبر ، وفي محلها وجهان :

أحدهما : النصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية ، وكذا أعربها الزمخشري ومن مذهبه أنه لا يجوز إسقاط الواو من مثلها إلا شاذا تابعا في ذلك الفراء ، فهذا رجوع منع عن ذلك .

والثاني : أنها في محل نصب مفعولا ثانيا ، لأن الرؤية قلبية وهي بعيد لأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من تعلق القلبية بهما ، وقرئ : " وجوهم مسودة " بنصبهما على أن " وجوهم " بدل بعض من "كل " ، و " مسودة " على ما تقدم من النصب على الحال أو على المفعول الثاني .

وقال أبو البقاء : ولو قرئ وجوهم بالنصب لكان على بدل الاشتمال ، قال شهاب الدين : قد قرئ به والحمد لله ولكن ليس كما قال : على بدل الاشتمال بل على بدل البعض ، وكأنه سبق لسان أو طغيان قلم . وقرأ أبي أجوههم بقلب الواو همزة وهو فصيح نحو : (أقتت ([المرسلات : ١١] وبابه ، وقوله : (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (عن الإيمان .

قوله : (وينجى لله الذين اتقوا بمفازتهم (قرأ الأخوان وأبو بكر بمفازتهم جمعا لما اختفت أنواع المصدر جمع كقوله تعالى : (وتظنون ب الله الظنونا ([الأحزاب : ١٠] ، ولأن لكل متق نوعا آخر من المفازة ، والباقون بالإفراد على الأصل .". (١)

١٥-"" " صفحة رقم ٣٧٠ " "

قال ابن الخطيب : دوامهم عليها ألا يتركوها في وقت من الأوقات ، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها ، حتى يأتي بها على أكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها ، والإتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة والاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة ، وألا يلتفت يمينا ولا شمالا ، وأن يكون حاضر القلب فاهما للأذكار ، مطلعا على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول أوقات الصلوات . قوله : (والذين فى أموالهم حق معلوم) .

قال قتادة وابن سيرين : يريد الزكاة المفروضة .

وقال مجاهد : سوى الزكاة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : صلة الرحم وحمل الكل .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٥٣٦/١٦

والأول أصح ؛ لأنه وصف الحق بانه معلوم ، والمعلوم هو المقدر ، وسوى الزكاة ليس بمعلوم إنما هو قدر الحاجة ، وذلك يقل ويكثر .

وقال ابن عباس : من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق ، وأيضا فالله – تعالى – استثناه ممن ذمه ، فدل على أن الذي لا يعطي هذا الحق يكون مذموما ، ولا حق على هذه الصفة إلا الزكاة .

وقوله : (للسآئل والمحروم) . تقدم في الذاريات .

قوله : (والذين يصدقون بيوم الدين ([المعارج : ٢٦] ، أي : بيوم الجزاء ، وهو يوم القيامة ، أي : يؤمنون بالبعث ، والنشور .

) والذين هم من عذاب ربهم مشفقون (، أي : خائفون ، والإشفاق : الخوف إما من ترك واجب ، وإما من فعل محظور ، ثم أكد ذلك الخوف بقوله :

) إن عذاب ربهم غير مأمون) .

قال ابن عباس : لمن أشرك أو كذب أنبياءه .

وقيل : لا يأمنه أحد ، بل الواجب على كل أحد أن يخافه ويشفق منه .

) والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فأنهم غير ملومين فمن ابتغى ورآء ذلك فأولئك هم العادون (تقدم تفسيره في سورة " المؤمنون " [المؤمنين : ٥ ، ٦ ، ٧] .". (١)

١٦-"" " صفحة رقم ١٧١ " "

وابن محيصن والزهري ، وابن أبي عبلة وحميد ، وابن السميفع : " يعنيه " بفتح الياء والعين المهملة من قولهم : عناني في الأمر ، أي : قصدني .

فصل في معنى الآية

قوله : " يفر " ، أي : يهرب في يوم مجيء الصاخة ، " من أخيه " أي : من موالاة أخيه ، ومكالمته لأنه مشتغل بنفسه ، لقوله بعده : (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه (، أي : يشغله عن غيره .

وقيل : إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه بالتبعات ، يقول الأخ : ما واسيتني بمالك ، والأبوان يقولان : قصرت في برنا ، والصاحبة تقول : أطعمتني الحرام ، والبنون يقولون : ما علمتنا . وقيل : لعلمه أنهم لا ينفعونه ، ولا يغنون عنه شيئا ، لقوله تعالى : (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ([الدخان : ٤١] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٧٠/١٩

وقال عبد الله بن طاهر : يفر منهم لما تبين له عجزهم ، وقلة حيلتهم .
وذكر الضحاك عن ابن عباس ، قال : يفر قابيل من أخيه هابيل ، ويفر النبي من أمه ، ويفر إبراهيم من أبيه ، ونوح من ابنه ، ولوط من امرأته ، وآدم من سوءة بنيه .
قال ابن الخطيب : المراد : أن الذن كان المرء يفر إليهم في دار الدنيا ، ويستجير بهم ، فإنه يفر منهم في دار الآخرة ، وذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل : : يوم يفر المرء من أخيه " ، بل من أبويه ، فإنهما أقرب من الأخوين ، بل من الصاحبة والولد ؛ لأن **تعلق القلب** بهما أشد من تعلقه بالأبوين . ثم لما ذكر الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى : (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) .
قال ابن قتيبة : " يغنيه " أي : يصرفه عن قرابته ، ومنه يقال : أغن عني وجهك ، أي : اصرفه .
وقال أهل المعاني : إن ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره ، فلم يبق فيه متسع لهم آخر ، فصار شبيها بالغني فيأنه ملك شيئا كثيرا .
قوله تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة) . لما ذكر تعالى حال يوم القيامة في الهول بين أن المكلفين فيه على قسمين : سعداء ، وأشقياء ، فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة (أي : مضيئة مشرقة ، وقد علمت ما لها من الفوز ، والنعيم ، من أسفر الصبح : إذا أضاء ، وهي وجوه المؤمنين " ضاحكة " أي : مسرورة فرحة .". (١)

١٧-"فالله سبحانه وتعالى ، متعال عن الشبيه ، والنظير ، والكفء والمثيل .. وهذا ما ينفى عن الله سبحانه وتعالى أن يلد ، وأن يولد ، لأن التوالد إنما يكون بين الأشباه والنظائر ، وإذ قد انتفى عن أن يكون لله سبحانه شبيه أو نظير ، فقد انتفى عنه أن يكون والدا ، وأن يكون مولودا .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. (١)
هذه السورة الصغيرة تعدل ثلث القرآن كما جاء في الروايات الصحيحة . قال البخاري : حدثنا إسماعيل : حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعد ، « أن رجلا سمع رجلا يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يرددها . فلما أصبح جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٧١/٢٠

وليس في هذا من غرابة . فإن الأحدية التي أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يعلنها : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ هذه الأحدية عقيدة للضمير ، وتفسير للوجود ، ومنهج للحياة . . وقد تضمنت السورة من ثم أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام الكبيرة . .

﴿ قل هو الله أحد ﴾ . . وهو لفظ أدق من لفظ « واحد » . . لأنه يضيف إلى معنى « واحد » أن لا شيء غيره معه . وأن ليس كمثله شيء .

إنها أحدية الوجود . . فليس هناك حقيقة إلا حقيقته . وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده . وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية .

وهي من ثم أحدية الفاعلية . فليس سواه فاعلا لشيء ، أو فاعلا في شيء ، في هذا أصلا . وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضا . .

فإذا استقر هذا التفسير ، ووضح هذا التصور ، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة ، ومن كل تعلق بغير هذه اللذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية .

خلص من التعلق بشيء من أشياء هذا الوجود إن لم يخلص من الشعور بوجود شيء من الأشياء أصلا! فلا حقيقة لوجود إلا ذلك الوجود الإلهي . ولا حقيقة لفاعلية الإرادة الإلهية . فعلام **يتعلق القلب** بما لا حقيقة لوجوده ولا لفاعليته!

وحين يخلص القلب من الشعور بغير الحقيقة الواحدة ، ومن التعلق بغير هذه الحقيقة . . فعندئذ يتحرر من جميع القيود ، وينطلق من كل الاوهاق . يتحرر من الرغبة وهي أصل قيود كثيرة ،

---

(١) – التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع – (١٥ / ١٧١١)". (١)

١٨–". بل الثابت أنه – A – توضأ من مزادة مشركة وأكل من طعام اليهود . . وأطعم هو وأصحابه وفدا من الكفار ولم يأمر بغسل الأوانى التى أكلوا وشربوا وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن مسعود قال : كنا نغزو مع رسول الله ، فنصيب من آنية المشركين وأسقيتهم فنستمتع بها ولا يعيب ذلك علينا . .

٣– اختلف الفقهاء فى المراد بالمسجد الحرام فى قوله – تعالى – ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم ص/١١٩٦

. . . ﴾ .

فقال ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعطاء : المراد به الحرم كله فيشمل المسجد الحرام ومكة ، لأن المسجد الحرام حيث أطلق فى القرآن فالمراد به الحرم كله . وعليه فالكافر يمنع من دخول الحرم كله . .

ويرى الشافعى أن المراد المسجد الحرام بخصوصه أخذا بظاهر اللفظ .

قال القرطبى : وقال الشافعى : الآية فى سائر المشركين ، خاصة فى المسجد الحرام ، ولا يمنعون من دخول غيره ، فأباح دخول اليهود والنصرانى فى سائر المساجد .

ويرى الإمام مالك أن المراد المسجد الحرام بالنص وبقية المساجد تقاس عليه ، لأن العلة – وهى النجاسة – موجودة فى المشركين ، والحرمة موجودة فى كل مسجد .

وعليه فلا يجوز تمكينهم لا من المسجد الحرام ولا من غيره من المساجد .

ويرى الأحناف أن المراد بالمسجد الحرم كله ، إلا أن النهى هنا ليس منصبا على دخوله وإنما هو منصب على المنع من الحج والعمرة . ومن الحج إليه أى : لا تمكنوا – أيها المؤمنون – المشركين من الطواف بالمسجد الحرام بعد عامهم هذا .

قال الآلوسى : ويؤيده قوله – تعالى – ﴿ لحرام بعد عامهم هذا ﴾ ، فإن تقييد النهى يدل على اختصاص المنهى عنه بوقت من اوقات العام . أى : لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة . . ويدل عليه نداء على – كرم الله وجهه – يوم نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ، وكذا قوله – سبحانه – ﴿ وإن خفتم عيلة ﴾ أى فقرا بسبب منعهم ، لما أنهم كانوا يأتون فى الموسم بالمتاجر ، فإنه إنما يكون إذا منعوا من دخول الحرم كما لا يخفى .

ثم قال : والحاصل أن الإمام الأعظم يقول بالمنع عن الحج والعمرة ويحمل النهى عليه ، ولا يمنعون عنده من دخول المسجد الحرام ومن دخول سائر المساجد .

٤– قال القرطبى : فى هذه الآية دليل على أن **تعلق القلب** بالأسباب فى الرزق جائز ، وليس ذلك بمناف للتوكل ، وإن كان الرزق مقدرا ، ولكنه علقه بالأسباب لتظهر القلوب التى تتعلق بالأسباب ، من القلوب التى تتوكل على رب الأرباب وقد تقدم أن السبب لا ينافى التوكل ، ففى الحديث الذى أخرجه البخارى أن الرسول – A – قال :". (١)

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي ص/١٩٢٠

١٩-"يختص به الذين آمنوا من انقلاب جوهرهم نورا، كما قال عليه الصلاة والسلام: "اللهم اجعلني نورا" فكان ما انقلب إليه جوهر الأيمة انصبغت به قلوب الأمة ﴿ونحن له﴾ [أي خاصة] ﴿عابدون﴾ تكملة لرد الخطاب على خطاب عهد إسرائيل حين قال: ﴿ما تعبدون من بعدي﴾ إلا أن العبادة في عهد إسرائيل سابقة، والإسلام ختم.

والإسلام في هذا التلقين بدء، لتقع العبادة شكرا - يختص برحمته من يشاء - وجاء به بالوصف الثابت الدائم، ففيه إشعار بأن أحدا منهم لا يرتد عن دينه سخطة له، بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلبه، وهو حظ عام من العصمة الثابت خاصها للنبي، - صلى الله عليه وسلم -، في على أمره - انتهى.

﴿ما ولاهم عن قبلتهم﴾

قال الحرالي: القبلة: ما تجعل قبالة الوجه، والقبل ما أقبل من الجسد في مقابلة الدبر لما أدبر منه.

﴿جعلناكم أمة﴾

قال الحرالي: من الأم، وهو تتبع الجملة والعدد بعضها لبعض إلى أن ينتهي لإمام أول، فالإمام والأمة كالمتقابلين، الإمام قاصد أمما، والأمة قاصدة إمامها الذي هو أممها، والأمام ما بين اليدين بمشهد الحس وسبيل القصد - انتهى.

﴿القبلة﴾

قال الحرالي: في جملته إنباء بأن القبلة مجعولة أي مصيرة عن حقيقة وراءها ابتلاء بتقليب الأحكام ليكون **تعلق القلب** بالله الحكيم، لا بالعمل المحكم، فالوجهة الظاهرة، ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق، فيثبت عند". (١)

٢٠-"" صفحة رقم ٤١٩ "

لداخل عليه همزة التقرير . ولما كان قوله :) لو أن الله هداني (وجوابه متضمنا نفي الهداية ، كأنه قال : ما هداني الله ، فقيل له :) بلى قد جاءتك ءاياتي (مرشدة لك ، فكذبت . وقال الزمخشري : رد من الله عليه ومعناه : بلى قد هديت بالوحي . انتهى ، جريا على قواعد المعتزلة . وقال ابن عطية : وحق بلى أن تجيء بعد نفي عليه تقرير ، وقوله :) بلى (جواب لنفي مقدر ، كأن النفس قالت : فعمري في الدنيا لم يتسع

---

(١) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي ص/٢٦٨

للنظر ، أو قالت : فإني لم يتبين لي الأمر في الدنيا ونحو هذا . انتهى . وليس حق بلى ما ذكر ، بل حقها أن تكون جواب نفي . ثم حمل التقرير على النفي ، ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب ، وأجابه بنعم ، ووقع ذلك أيضا في كلام سيبويه نفسه أن أجاب التقرير بنعم اتباعا لبعض العرب . وقال الزمخشري : فإن قلت : هلا قرن الجواب بما هو جواب له ، وهو قوله :) لو أن الله هدانى (، ولم يفصل بينهما بآية ؟ قلت : لأنه لا يخلو ، إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن ، وإما أن تؤخر القرينة الوسطى . فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن ؛ وأما الثاني ، فلما فيه من نقض الترتيب ، وهو التحسر على التفريط في الطاعة ، ثم التعلل بفقد الهداية . ثم تمنى الرجعة ، فكان الصواب ما جاء عليه ، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب . انتهى ، وهو كلام حسن .

وقرأ الجمهور :) قد جاءتك (، بفتح الكاف وفتح تاء ما بعدها ، خطابا للكافر ذي النفس . وقرأ ابن يعمر والجحدري ، وأبو حيوة ، والزعفراني ، وابن مقسم ، ومسعود بن صالح ، والشافعي عن ابن كثير ، ومحمد بن عيسى في اختياره وعن نصير ، والعبسي : بكسر الكاف والتاء ، خطاب للنفس ، وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنته عائشة ، رضي الله عنهما ، وروتهما أم سلمة عن النبي / (صلى الله عليه وسلم)) . وقرأ الحسن ، والأعرج ، والأعمش : جأتك ، بالهمز من غير مد ، بوزن بعتك ، وهو مقلوب من جاءتك ، قدمت لام الكلمة وأخرت العين فسقطت الألف ، كما سقطت في رمت وعرب . ولما ذكر مقالة الكافر ، ذكر ما يعرض له يوم القيامة من الإنذار بسوء منقلبة ، وفي ضمنه وعيد لمعاصريه ، عليه السلام . والرؤية هنا من رؤية البصر ، وكذبهم نسبتهم إليه تعالى البنات والصاحبة والولد ، وشرعهم ما لم يأذن به الله . والظاهر أنه عام في المكذبين على الله ، وخصه بعضهم بمشركي العرب وبأهل الكتابين . وقال الحسن : هم القدرية يقولون : إن شئنا فعلنا ، وإن شئنا لم نفعل . وقال القاضي : يجب حمل الآية على الكل من المجبرة والمشبهة وكل من وصف شئنا فعلنا ، وإن شئنا لم نفعل . وقال القاضي : يجب حمل الآية على الكل من المجبرة والمشبهة وكل من وصف الله بما لا يليق به نفيا وإثباتا ، فأضاف إليه ما يجب أن لا يضاف إليه ، فالكل كذبوا على الله ؛ فتخصيص الآية بالمجبرة والمشبهة واليهود والنصارى لا يجوز .

وقال الزمخشري :) كذبوا على الله (: وصفوه بما لا يجوز عليه ، وهو متعال عنه ، فأضافوا إليه الولد والشريك ، وقالوا :) شفعاؤنا عند الله (، وقالوا :) لو شاء الرحمن ما عبدناهم (، وقالوا :) والله أمرنا بها (، قوم يسفهونه بفعل القبائح . ويجوز أن يخلق خلقا لا لغرض ، وقوله : لا لغرض ، ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ، ويجسمونه بكونه مرئيا مدركا بالحاسة ، ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ، ويجعلون له أندادا

بإثباتهم معه قدما . انتهى ، وكلام من قبله على طريقة المعتزلة . والظاهر أن الرؤية من رؤية البصر ، وأن) وجوههم مسودة (جملة في موضع الحال ، وفيها رد على الزمخشري ، إذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية في موضع المفعول الثاني ، وهو بعيد ، لأن تعلق البصر برؤية الأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلب** . وقرىء : وجوههم مسودة بنصبهما ، فوجوههم بدل بعض من كل . وقرأ أبي : أجوههم ، بإبدال الواو همزة ، والظاهر أن الاسوداد حقيقة ، كما مر في قوله :) فأما الذين اسودت وجوههم). وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون في العبارة تجوز ، وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم وغالب هممهم وظاهر كآبتهم .

ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله ، ذكر حال المتقين ، أي الكذب على الله وغيره ، مما يؤول بصاحبه إلى اسوداد وجهه ، وفي ذلك الترغيب في هذا الوصف الجليل الذي هو التقوى . قال السدي". (١)

٢١-"قوم يسفهونه بفعل القبائح. ويجوز أن يخلق خلقا لا لغرض ، وقوله : لا لغرض ، ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ، ويجسمونه بكونه مرئيا مدركا بالحاسة ، ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ، ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدما. انتهى ، وكلام من قبله على طريقة المعتزلة. والظاهر أن الرؤية من رؤية البصر ، وأن ﴿وجوههم مسودة﴾ جملة في موضع الحال ، وفيها رد على الزمخشري ، إذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية في موضع المفعول الثاني ، وهو بعيد ، لأن تعلق البصر برؤية الأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلب**. وقرىء : وجوههم مسودة بنصبهما ، فوجوههم بدل بعض من كل. وقرأ أبي : أجوههم ، بإبدال الواو همزة ، والظاهر أن الاسوداد حقيقة ، كما مر في قوله : ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ . وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون في العبارة تجوز ، وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم وغالب هممهم وظاهر كآبتهم.

ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله ، ذكر حال المتقين ، أي الكذب على الله وغيره ، مما يؤول بصاحبه إلى اسوداد وجهه ، وفي ذلك الترغيب في هذا الوصف الجليل الذي هو التقوى. قال السدي : ﴿بمفازتهم﴾ : بفلاحهم ، يقال : فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده ، وتفسير المفازة قوله : ﴿لا يمسهم السواء ولا هم يحزنون﴾ ، كأنه قيل : وما مفازتهم ؟ قيل : لا يمسهم السوء ، أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم ، أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى : ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ ، أي بمنجاة منه ، لأن النجاة من أعظم الفلاح ، وسبب منجاتهم العمل الصالح ، ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة : بالأعمال الحسنة ؛ ويجوز بسبب فلاحهم ، لأن العمل الصالح سبب الفلاح ، وهو دخول الجنة. ويجوز أن يسمى العمل الصالح

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية) ٧/٤١٩

بنفسه مفازة ، لأنه سببها. فإن قلت : ﴿لا يمسهم﴾ ، ما محله من الإعراب على التفسيرين ؟ قلت : أما على التفسير الأول فلا محل له ، لأنه كلام مستأنف ، وأما على الثاني فمحله النصب على الحال. انتهى. وقرأ الجمهور : بمفازتهم على الإفراد ، والسلمي ، والحسن ، والأعرج ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو بكر : على الجمع ، من حيث النجاة أنواع ، والأسباب مختلفة. قال أبو علي : المصادر تجمع إذا اختلفت أجناسها كقوله : ﴿وتظنون بالله الظنونا ﴾ . وقال الفراء : كلا القراءتين صواب ، تقول : قد تبين أمر الناس وأمور الناس. ولما ذكر تعالى الوعد والوعيد ، عاد إلى دلائل الإلهية والتوحيد ، فذكر أنه خالق كل شيء ، فدل على أعمال العباد لاندراجها في عموم كل شيء ، وأنه على كل الأشياء قائم لحفظها وتدبيرها.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٢٥

﴿له مقاليد السماوات والارض﴾ : قال ابن عباس : مفاتيح ، وهذه استعارة ، كما تقول : بيد فلان مفتاح هذا الأمر. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أن المقاليد لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، بيده الخير ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير". وتأويله على هذا : أن لله هذه الكلمات ، يوحد بها ويمجد ، وهي مفاتيح خير السموات والأرض ، من تكلم بها من المتقين أصاب. ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ وكلماته توحيده وتمجيده ، ﴿أوالئاك هم الخاسرون﴾ . وقال الزمخشري : فإن قلت : بم اتصل قوله : ﴿والذين كفروا ﴾ ؟ قلت : بقوله : ﴿وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ واعترض بينهما : بأن خالق الأشياء كلها ، وهو مهيمن عليها ، لا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء ، وأن ﴿له مقاليد السماوات والارض﴾ . قال أبو عبد الله الرازي : وهذا عندي ضعيف من وجهين : الأول : أن وقوع الفاصل

٤٣٧

الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد. والثاني : أن قوله تعالى : ﴿وينجى الله الذين اتقوا ﴾ : جملة فعلية ، وقوله : ﴿والذين كفروا ﴾ : جملة اسمية ، وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز ، والأقرب عندي أن يقال : إنه لما وصف بصفات الإلهية والجلالة ، وهو كونه خالق الأشياء كلها ، وكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض ، وقال : الذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة هم الخاسرون. انتهى ، وليس بفاصل كثير. وقوله : وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز ، كلام من لم يتأمل لسان العرب ، ولا نظر في أبواب الاشتغال. وأما قوله : والأقرب عندي فهو مأخوذ من قول الزمخشري ، وقد جعل متصلا بما يليه ، على أن كل شيء في السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه ، والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك

﴿أولئك هم الخاسرون﴾ .

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٢٥

" . (١)

٢٢-"قوله تعالى : ﴿ فأعرض عنهم وتوكل على الله ﴾ [٨١] فسئل : ما التوكل؟ فقال : التوكل طرح البدن في العبودية ، **وتعلق القلب** بالربوبية ، والتبري من الحول والقوة . قيل له : ما حقيقة التوكل في الأصل ، فقال : حقيقة التوكل في الأصل الإقرار بالتوحيد ، وفي الفرع علم الساعة ، وفي السكون المعاينة . ثم قال : لا تجزعوا من التوكل ، فإنه عيش لأهله . قيل : من أهله؟ قال : الذين خصوا بالخصوصية . فقيل له : لو زدت لنا وضوحا . فقال سهل : إن العلوم كلها أدنى باب من التعبد ، وجملة التعبد أدنى باب من الورع ، وجملة الزهد أدنى باب من ظهور القدرة ، ولا تظهر القدرة إلا للمتوكل ، وليس للتوكل غاية وصف يوصف به ، ولا حد يضرب له بالأمثال ، ولا غاية ينتهي إليها . فقيل له : صف لنا بعضه . فقال : إن المتوكل له ألف منزل ، أول منزل منه المشي في الهواء . قيل له : بماذا يصل العبد إليه؟ فقال : إن أول الأشياء المعرفة ، ثم الإقرار ، ثم التوحيد ، ثم الإسلام ، ثم الإحسان ، ثم التفويض ، ثم التوكل ، ثم السكون إلى الحق جل وعز في جميع الحالات ، وقال : لا يصح التوكل إلا للمتقي . قيل : ما التقوى؟ قال : كف الأذى ." . (٢)

٢٣-"﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ [٤٦] وهو نياط القلب ، وهو العرق الذي **يتعلق القلب** به ، إذا انقطع مات صاحبه ، فنقطع ذلك السبب بمخالفته إيانا ." . (٣)

٢٤-" صفحة رقم ١٥١

ومحاسن وجهه وأطرافه ،) تدعوا (يعني النار إلى نفسها) من أدبر (أي عن الإيمان) وتولى (أي عن الحق فتقول له إلي يا مشرك إلي يا منافق إلي إلي.

قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب.

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر) /

(٢) تفسير التستري ١/١٠٩

(٣) تفسير التستري ٢/١٨١

وقيل تدعو أي تعذب قال أعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله) وجمع فأوعى (يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه ،) إن الإنسان خلق هلوعا (قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل. وقيل شحيحا بخيلا.

وقيل ضجورا وقيل جزوعا ، وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى : (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا (يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق.

وقال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره.

قيل أراد بالإنسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى : (إلا المصلين (وهذا استثناء الجمع من الواحد لأن الإنسان واحد وفيه معنى الجمع) الذين هم على صلاتهم دائمون (يعني يقيموها في أوقاتها وهي الفرائض.

فإن قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون ؟

قلت معنى إدامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها ، وأن لا يتركوها في شيء من الأوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها إذا دخل وقتها ، والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه.

وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وإرصاد المكان الطاهر للصلاة ، وقصد الجماعة **وتعلق القلب** بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات إلى ما سوى الله عز وجل.

وأما الأمور المقارنة للصلاة فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف وإتمام ركوعها وسجودها.

وأما الأمور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة خوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع إلى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع إلى نفسها والمحافظة عليها ترجع إلى أحوالها وهيئاتها.

وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا ؟ قال لا ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه.

)

المعارج : (٢٤ - ٣٩) والذين في أموالهم...

" والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا إنا خلقناهم مما يعلمون " ( ) والذين في أموالهم حق معلوم (يعني الزكاة المفروضة لأنها مقدرة معلومة.

وقيل هي صدقة التطوع وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في أوقات معلومة) للسائل (يعني الذي يسأل) والمحروم (يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم) والذين يصدقون بيوم الدين (أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء". (١)

٢٥-"ولما تمت هذه الدرجات الثلاث وكملت هذه المقامات الثلاثة . أعني الشريعة المدلول عليها بقوله : ﴿إياك نعبد﴾ ، والطريقة المدلول عليها بقوله : ﴿وإياك نستعين﴾ ، والحقيقة المدلول عليها بقوله : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ . ثم لما حصل الاستعداد بالاتصال بأرباب الصفاء والاستكمال بسبب المباعدة عن أرباب الجفاء والشقاء ، فعند هذا كملت المعارج البشرية والكمالات الإنسانية.

المسألة الثالثة : في تقرير مشرع آخر من لطائف هذه السورة ، اعلم أن الإنسان خلق محتاجا إلى جر الخيرات واللذات ، ودفع المكروهات والمخافات ، ثم إن هذا العالم عالم الأسباب فلا يمكنه تحصيل الخيرات واللذات إلا بواسطة أسباب معينة ، ولا يمكنه دفع الآفات والمخافات إلا بواسطة أسباب معينة ، ولما كان جلب النفع ودفع الضرر محبوبا بالذات ، وكان استقراء أحوال هذا العالم يدل على أنه لا يمكن تحصيل الخير ولا دفع الشر إلا بتلك الأسباب المعينة ، ثم تقرر في العقول أن ما لا يمكن الوصول إلى المحبوب إلا بواسطته فهو محبوب . صار هذا المعنى سببا لوقوع الحب الشديد لهذه الأسباب الظاهرة ، وإذا علم أنه لا يمكنه الوصول إلى الخيرات واللذات إلا بواسطة خدمة الأمير والوزير والأعوان والأنصار بقي الإنسان **متعلق القلب** بهذه الأشياء ، شديد الحب لها ، عظيم الميل والرغبة إليها ، ثم قد ثبت في العلوم الحكمية أن كثرة الأفعال سبب لحدوث الملكات الراسخة وثبت أيضا أن حب التشبه غالب على طباع الخلق. أما الأول فكل من واظب على صناعة من

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ١٥١/٧

الصنائع وحرفة من الحرف مدة مديدة صارت تلك الحرفة والصناعة ملكة راسخة قوية وكلما كانت المواظبة عليها أكثر كانت الملكة أقوى وأرسخ. وأما الثاني فهو أن الإنسان إذا جالس الفساق مال طبعه إلى الفسق ، وما ذاك إلا لأن الأرواح جبلت على حب المحاكاة وإذا عرفت هذا فنقول : إنا بينا أن استقراء حال الدنيا يوجب **تعلق القلب** بهذه الأسباب الظاهرة التي بها يمكن التوسل إلى جر المنافع ودفع المضار ، وبينا أنه كلما كانت مواظبة الإنسان عليها أكثر كان استحكام هذا الميل والطلب في قلبه أقوى وأثبت ، وأيضا فأكثر أهل الدنيا موصوفون بهذه الصفة مواظبون على هذه الحالة. وبينا أن النفوس مجبولة على حب المحاكاة وذلك أيضا يوجب استحكام هذه الحالة. فقد ظهر بالبينات التي ذكرناها أن الأسباب / الموجبة لحب الدنيا والمرغبة في التعلق بأسبابها كثيرة قوية شديدة جدا ثم نقول : إنه إذا اتفق للإنسان هداية إلهية تهديه إلى سواء السبيل وقع في قلبه أن يتأمل في هذه الأسباب تأملا شافيا وافيا فيقول : هذا الأمير المستولي على هذا العالم استولى على الدنيا بفرط قوته وكمال حكمته أم لا ؟

الأول باطل ، لأن ذلك الأمير ربما كان أكثر الناس عجزا ، وأقلهم عقلا ، فعند هذا ، يظهر له أن تلك الأمارة والرياسة ما حصلت له بقوته ، وما هيئت له بسبب حكمته ، وإنما حصلت تلك الأمارة والرياسة لأجل قسمة قسام وقضاء حكيم علام لا دافع لحكمه ولا مرد لقضائه ، ثم ينضم إلى هذا النوع من الاعتبار أنواع أخرى من الاعتبارات تعاضدها وتقويها ، فعند حصول هذه المكاشفة ينقطع قلبه عن الأسباب الظاهرة/ وينتقل منها إلى الرجوع في كل المهمات والمطلوبات إلى مسبب الأسباب ومفتح الأبواب ، ثم إذا توالت هذه الاعتبارات وتواترت هذه المكاشفات صار الإنسان بحيث كلما وصل إليه نفع وخير قال هو النافع وكلما وصل إليه شر ومكروه قال : هو الضار ، وعند هذا لا يحمد أحدا عى فعل إلا الله ، ولا يتوجه قلبه في طلب أمر من الأمور إلا إلى الله ، فيصير الحمد كله لله والثناء كله لله ، فعند هذا يقول العبد

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

﴿الحمد لله﴾ .

". (١)

٢٦-"واعلم أن الإستقراء المذكور يدل العبد على أن أحوال هذا العالم لا تنتظم إلا بتقدير الله ، ثم يترقى من العالم الصغير إلى العالم الكبير فيعلم أنه لا تنتظم حالة من أحوال العالم الأكبر إلا بتقدير الله ، وذلك

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/١١٢

هو قوله : ﴿رب العالمين﴾ ثم إن العبد يتأمل في أحوال العالم الأعلى فيشاهد أن أحوال العالمين منظومة على الوصف الأتقن والترتيب الأقوم والكمال الأعلى والمنهج الأسنى فيرى الذرات ناطقة بالإقرار بكمال رحمته وفضله وإحسانه فعند ذلك يقول : ﴿ الرحمن الرحيم﴾ فعند هذا يظهر للعبد أن جميع مصالحه في الدنيا إنما تهيأت برحمة الله وفضله وإحسانه ، ثم يبقى العبد **متعلق القلب** بسبب أنه كيف يكون حاله بعد الموت فكأنه يقال : ﴿مالك يوم الدين﴾ ليس إلا الذي عرفته بأنه هو الرحمن الرحيم ، فحينئذ ينشرح صدر العبد وينفسح قلبه ويعلم أن المتكفل بإصلاح بمهماته في الدنيا والآخرة ليس إلا الله ، وحينئذ ينقطع التفاته عما سوى الله ولا يبقى **متعلق القلب** بغير الله ، ثم إن العبد حين كان **متعلق القلب** بالأمير والوزير كان مشغولا بخدمتهما ، وبعد الفراغ من تلك الخدمة كان يستعين في تحصيل المهمات بهما وكان يطلب الخير منهما ، فعند زوال ذلك التعلق يعلم أنه لما كان مشتغلا بخدمة الأمير والوزير فلان يشتغل بخدمة المعبود كان أولى ، فعند هذا يقول : ﴿إياك نعبد﴾ ، والمعنى إني كنت قبل هذا / أعبد غيرك ، وأما الآن فلا أعبد أحدا سواك ، ولما كان يستعين في تحصيل المهمات بالأمير والوزير فلأن يستعين بالمعبود الحق في تحصيل المرادات كان أولى ، فيقول : وإياك نستعين والمعنى : إني كنت قبل هذا أستعين بغيرك وأما الآن فلا أستعين بأحد سواك ، ولما كان يطلب المال والجاه اللذين هما على شفا حفرة الانقراض والانقضاء من الأمير والوزير فلأن يطلب الهداية والمعرفة من رب السماء والأرض أولى ، فيقول : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ، ثم إن أهل الدنيا فريقان : أحدهما : الذين لا يعبدون أحدا إلا الله ولا يستعينون إلا بالله ولا يطلبون الأغراض والمقاصد إلا من الله ، والفرقة الثانية ، الذين يخدمون الخلق ويستعينوا بهم ويطلبون الخير منهم ، فلا جرم العبد يقول : إلهي اجعلني في زمرة الفرقة الأولى ، وهم الذين أنعمت عليهم بهذه الأنوار الربانية والجلايا النورانية ، ولا تجعلني في زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون ، فإن متابعة هذه الفرقة لا تفيد إلا الخسار والهلاك كما قال إبراهيم عليه السلام : لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ؟

والله أعلم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

الباب الرابع

في المسائل الفقهية المستنبطة من هذه السورة

فقه الفاتحة :

المسألة الأولى : أجمع الأكثرون على أن القراءة واجبة في الصلاة ، وعن الأصم والحسن بن صالح أنها لا تجب.

لنا أن كل دليل نذكره في بيان أن قراءة الفاتحة واجبة فهو يدل على أن أصل القراءة واجب وتزيد ههنا وجوها :.

الأول : قوله تعالى : ﴿أقم الصلواة لدلوك الشمس إلى غسق اليل وقرءان الفجر ﴾ (الإسراء : ٧٨) والمراد بالقرآن القراءة ، والتقدير : أقم قراءة الفجر ، وظاهر الأمر للوجوب.

الثاني : عن أبي الدرداء أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أفي الصلاة قراءة فقال : نعم ، فقال السائل : وجبت ، فأقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل على قوله وجبت.

الثالث : عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أيقرأ في الصلاة ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : أتكون صلاة بغير قراءة ، وهذان الخبران نقلتهما من "تعليق الشيخ أبي حامد الإسفراييني".

/ حجة الأصم قوله عليه الصلاة والسلام : صلوا كما رأيتموني أصلي ، جعل الصلاة من الأشياء المرئية ، والقراءة ليست بمرئية ، فوجب كونها خارجة عن الصلاة ، والجواب أن الرؤية إذا كانت متعدية إلى مفعولين كانت بمعنى العلم.

المسألة الثانية : قال الشافعي رحمه الله : قراءة الفاتحة واجبة في الصلاة ، فإن ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم تصح صلاته ، وبه قال الأكثرون ، وقال أبو حنيفة لا تجب قراءة الفاتحة.

". (١)

٢٧-"النوع الخامس من السحر : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى ، مثل : فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر ، وكفارس على فرس في يده بوق ، كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسه أحد ، ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان ، حتى يصورونها ضاحكة وباكية ، حتى يفرق فيها ضحك السرور وبين ضحك الخجل ، وضحك الشامت ، فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل ، وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب ، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجر ثقيلا عظيما بآلة خفيفة سهلة ، وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لأن لها أسبابا معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها ، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيرا شديدا لا يصل إليه إلا الفرد

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/١١٣

بعد الفرد ، لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر ، ومن هذا الباب عمل "أرجعيانوس" الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مجتازا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخا من فراخ البراصل/ والبراصل هو طائر عطوف وكان يضمر صغيرا حزينا بخلاف سائر البراصل وكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيره المخالف لصفير البراصل ضربا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ لأنها تظن أن هناك فرخا من جنسها ، فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها "أسطرخس" الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل ، وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلىء تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع.

النوع السادس من السحر : الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية البلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته. واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق.

/

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦١٧

النوع السابع من السحر : تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه ، بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة ، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن **لتعلق القلب** أثرا عظيما في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار.

النوع الثامن من السحر : السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس ، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه والله أعلم.

". (١)

٢٨-"المسألة الثانية : قال أهل المعاني : لا يجوز أن يشتري الله شيئا في الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملك ، ولهذا قال الحسن : اشترى أنفسا هو خلقها ، وأموالا هو رزقها ، لكن هذا ذكره تعالى لحسن التلطف في الدعاء إلى الطاعة ، وحقيقة هذا ، أن المؤمن متى قاتل في سبيل الله حتى يقتل ، فتذهب روحه ، وينفق ماله في سبيل الله ، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما فعل. فجعل هذا استبدالا وشراء. هذا معنى قوله : ﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ أي بالجنة ، وكذا قراءة عمر بن الخطاب والأعمش. قال الحسن : اسمعوا والله بيعة رابحة وكفة راجحة ، بايع الله بها كل مؤمن ، والله ما على الأرض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة. وقال الصادق عليه الصلاة والسلام : "ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها" وقوله : ﴿وأموالهم﴾ يريد التي ينفقونها في سبيل الله وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالهم ، وفي الآية لطائف :

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٥٢

اللطيفة الأولى المشتري لا بد له من بائع ، وههنا البائع هو الله والمشتري هو الله ، وهذا إنما يصح في حق القيم بأمر الطفل الذي لا يمكنه رعاية المصالح في البيع والشراء ، وصحة هذا البيع مشروطة برعاية الغبطة العظيمة ، فهذا المثل جار مجرى التنبيه على كون العبد شبيها بالطفل الذي لا يهتدي إلى رعاية مصالح نفسه ، وأنه تعالى هو المراعي لمصالحه بشرط الغبطة التامة ، والمقصود منه التنبيه على السهولة والمسامحة ، والعفو عن الذنوب ، والإيصال إلى درجات الخيرات ومراتب السعادات.

واللطيفة الثانية : أنه تعالى أضاف الأنفس والأموال إليهم فوجب أن كون الأنفس والأموال مضافة إليهم يوجب أمرين مغايرين لهم ، والأمر في نفسه كذلك ، لأن الأنسان عبارة عن الجوهر الأصلي الباقي ، وهذا البدن يجري مجرى الآلة والأدوات والمركب ، وكذلك المال خلق وسيلة إلى رعاية مصالح هذا المركب ، فالحق سبحانه اشترى من الإنسان هذا المركب وهذا المال / بالجنة ، وهو التحقيق. لأن الإنسان ما دام يبقى **متعلق القلب** بمصالح عالم الجسم المتغير المتبدل ، وهو البدن والمال ، امتنع وصوله إلى السعادات العالية والدرجات الشريفة ، فإذا انقطع التفاته إليها وبلغ ذلك الانقطاع إلى أن عرض البدن للقتل/ والمال للإنفاق في طلب رضوان الله ، فقد بلغ إلى حيث رجح الهدى على الهوى ، والمولى على الدنيا ، والآخرة على الأولى ، فعند

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٥٣٢

هذا يكون من السعداء الأبرار والأفاضل الأخيار ، فالبائع هو جوهر الروح القدسية والمشتري هو الله ، وأحد العوضين الجسد البالي والمال الفاني ، والعوض الثاني الجنة الباقية والسعادات الدائمة ، فالربح حاصل والهم والغم زائل ، ولهذا قال : ﴿فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ﴾ .

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٥٢

". (١)

٢٩-"جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ٢٨

النمل : ١٠) يدل عليه ، ولكن ذلك الخوف إنما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه عليه السلام أظهر **تعلق القلب** بالعصا والنفرة عن الثعبان ، وأما محمد عليه السلام فما أظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة عن النار. السؤال الثاني : متى أخذها ، بعد انقلابها عصا أو قبل ذلك. والجواب : روي أنه أدخل يده بين أسنانها فانقلبت خشبة والقرآن يدل عليه أيضا بقوله : ﴿سنعيدها سيرتها الاولى ﴾ وذلك يقع في الاستقبال ، وأيضا فهذا أقرب للكرامة لأنه كما أن انقلاب العصا حية معجزة فكذلك إدخال يده في فمها من غير ضرر معجزة وانقلابها خشبا معجز آخر فيكون فيه توالي المعجزات فيكون أقوى في الدلالة. السؤال الثالث : كيف أخذه ، أمع الخوف أو بدونه. والجواب : روي مع الخوف ولكنه بعيد ، لأن بعد توالي الدلائل يبعد ذلك. وإذا علم موسى عليه السلام أنه تعالى عند الأخذ سيعيدها سيرتها الأولى فكيف يستمر خوفه ، وقد علم صدق هذا القول وقال بعضهم لما قال له ربه : ﴿لا تخف﴾ بلغ من ذلك ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه إلى أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها. السؤال الرابع : ما معنى سيرتها الأولى ، والجواب : قال صاحب "الكشاف" : السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال : سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة. السؤال الخامس : علام انتصب سيرتها ، الجواب فيه وجهان : أحدهما : بنزع الخافض يعني إلى سيرتها. وثانيهما : أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها كانت أولا عصا فصارت حية فسنجعلها عصا كما كانت فنصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة بسيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها.

جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ٢٨

٢٩

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٢٩٥

/ اعلم أن هذا هو المعجزة الثانية وفيه مسائل :

المسألة الأولى : يقال لك ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لطرفيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر لأنه يجنحهما عند الطيران ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى جناحك إلى صدرك والأول أولى لأن يدي الإنسان يشبهان جناحي الطائر لأنه قال : ﴿تخرج بيضآء﴾ ولو كان المراد بالجناح الصدر لم يكن لقوله : ﴿تخرج﴾ معنى واعلم أن معنى ضم اليد إلى الجناح ما قال في آية أخرى : ﴿وأدخل يدك فى جيبك﴾ (النمل : ١٢) لأنه إذا أدخل يده في جيبه كان قد ضم يده إلى جناحه والله أعلم.

المسألة الثانية : السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة والبرص أبغض شيء إلى العرب فكان جديرا بأن يكنى عنه يروى أنه عليه السلام كان شديد الأدمة فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من غير برص ثم إذا ردها عادت إلى لونها الأول بلا نور.

المسألة الثالثة : بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام ، وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك ، فإن قيل الكبرى من نعت الآيات فلم لم يقل الكبر ؟

قلنا : بل هي نعت الآية والمعنى لنريك الآية الكبرى ولئن سلمنا ذلك فهو كما قدمنا في قوله : ﴿قال هى﴾ (طه : ١٨) ، و﴿الاسمآء الحسنى ﴾ (طه : ٨).

المسألة الرابعة : قال الحسن : اليد أعظم في الإعجاز من العصا لأنه تعالى : ذكر ﴿لنريك من ءاياتنا الكبرى﴾ عقيب ذكر اليد وهذا ضعيف لأنه ليس في اليد إلا تغير اللون ، وأما العصا ففيه تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والأعضاء المختلفة وابتلاع الحجر والشجر ، ثم عاد عصا بعد ذلك. فقد وقع التغير مرة أخرى في كل هذه الأمور فكانت العصا أعظم ، وأما قوله : ﴿لنريك من ءاياتنا الكبرى﴾ فقد بينا أنه عائد إلى الكل وأنه غير مختص باليد.

جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ٢٩

". (١)

٣٠-"الحجرات : ٧) والنكتة أن من ألقى حبة في أرض فإنه لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه وتعالى ألقى حبة المحبة في أرض القلب فكيف يحرقها. وثامنها : ﴿فألف بين قلوبكم﴾ (الأنفال : ٦٣) والنكتة أن محمدا صلى الله عليه وسلم ألف بين قلوب أصحابه ثم إنه ما تركهم (في) غيبة ولا حضور : "سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" فالرحيم كيف يتركهم. وتاسعها : الطمأنينة : ﴿ألا بذكر الله تطمائن القلوب﴾ (الرعد : ٢٨) وموسى طلب الطمأنينة فقال : ﴿رب اشرح لى صدرى﴾ والنكتة أن حاجة العبد لا نهاية لها فلهذا لو أعطى كل ما في العالم من الأجسام فإنه لا يكفيه لأن حاجته غير متناهية والأجسام متناهية والمتناهي لا يصير مقابلا لغير المتناهي بل الذي يكفي في الحاجة الغير المتناهية الكمال الذي لا نهاية له وما ذاك إلا للحق سبحانه وتعالى فلهذا قال : ﴿ألا بذكر الله تطمائن القلوب﴾ ولما عرفت حقيقة شرح الصدر للمؤمنين فاعرف صفات قلوب الكافرين لوجوه : أحدها : فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم. وثانيها : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم. وثالثها : في قلوبهم مرض. ورابعها : جعلنا قلوبهم قاسية. وخامسها : إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه. وسادسها : ختم الله على قلوبهم. وسابعها : أم على قلوب أقفالها. وثامنها : كلا بل ران على قلوبهم. وتاسعها : أولئك الذين طبع الله على قلوبهم. إلهنا وسيدنا بفضلك وإحسانك أغلق هذه الأبواب التسعة من خذلانك عنا واجبرنا بإحسانك وافتح لنا تلك الأبواب التسعة من إحسانك بفضلك ورحمتك إنك على ما تشاء قدير. الفصل الخامس : في حقيقة شرح الصدر ، ذكر العلماء فيه وجهين : الأول : أن لا يبقى للقلب التفات إلى الدنيا لا بالرغبة ولا بالرهبة أما الرغبة فهي أن يكون **متعلق القلب** بالأهل والولد وبتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ، وأما الرهبة فهي أن يكون خائفا من الأعداء والمنازعين فإذا شرح الله صدره صغر كل ما يتعلق بالدنيا في عين همته ، فيصير كالذباب والبق والبعوض لا تدعوه رغبة إليها ولا تمنعه رهبة عنها ، فيصير الكل عنده كالعدم وحينئذ يقبل القلب بالكلية نحو طلب مرضاة الله تعالى ، فإن القلب في المثال كينبوع من الماء والقوة البشرية لضعفها كالينبوع الصغير فإذا فرقت ماء العين الواحدة على الجداول الكثيرة ضعفت الكل فأما إذا انصب الكل في موضع واحد قوي فسأل موسى عليه السلام ربه أن يشرح له صدره بأن يوفقه على معايب الدنيا وقبح صفاتها حتى يصير قلبه نفورا عنها فإذا حصلت النفرة توجه إلى عالم القدس ومنازل الروحانيات بالكلية. الثاني : أن موسى عليه السلام لما نصب لذلك المنصب العظيم احتاج

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٠٣٣

إلى تكاليف شاقة منها ضبط الوحي والمواظبة على خدمة الخالق سبحانه وتعالى ومنها إصلاح العالم الجسداني فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر ، ألا ترى أن المشتغل بالإبصار يصير / ممنوعا عن السماع والمشتغل بالسماع يصير ممنوعا عن الإبصار والخيال ، فهذه القوى متجاذبة متنازعة وأن موسى عليه السلام كان محتاجا إلى الكل ومن استأنس بجمال الحق استوحش من جمال الخلق فسأل موسى ربه أن يشرح صدره بأن يفيض عليه كمالا من القوة لتكون قوته وافية بضبط العالمين فهذا هو المراد من شرح الصدر. وذكر العلماء لهذا المعنى أمثلة. المثال الأول : اعلم أن البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفؤاد كالقصر والقلب كالتخت والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم إلى البلدة والغضب كالاسفهسالار الذي يشتغل بالضرب والتأديب أبدا والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالخدم والعملة والصناع ثم إن الشيطان خصم لهذه البلدة ولهذه القلعة ولهذا الملك فالشيطان هو الملك والهوى والحرص وسائر الأخلاق الذميمة جنوده فأول ما أخرج الروح وزيره وهو العقل فكذا الشيطان أخرج في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو إلى الله تعالى والهوى يدعو إلى الشيطان ثم إن الروح أخرج الفطنة إعانة للعقل فأخرج الشيطان في مقابلة الفطنة الشهوة ، فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحركك إلى لذات الدنيا ثم إن الروح أمد الفطنة بالفكرة لتقوي الفطنة بالفكرة فتقف على الحاضر والغائب من المعائب على ما قال عليه السلام : "تفكر ساعة خير من عبادة سنة" فأخرج الشيطان في مقابلة الفكرة الغفلة ثم أخرج الروح الحلم والثبات فإن العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا والحلم يوقف العقل على قبح الدنيا فأخرج الشيطان في مقابلته العجلة والسرعة فلهذا قال عليه السلام : "ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا الخرق في شيء إلا شانه" ولهذا خلق السموات والأرض في ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه هي الخصومة الواقعة بين الصنفين ، وقلبك وصدرك هو القلعة. ثم إن لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا وعدم الرغبة فيها وله سور وهو الرغبة الآخرة ومحبة الله تعالى فإن كان". (١)

٣١-"الأول : تقديم الفاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى إذا كان المفعول حقيقيا كقولنا : ﴿الله خلق السماوات﴾ وقول القائل : زيد بني الجدار فإن الله موجود قبل كل شيء ، ثم له فعل هو الخلق ، ثم حصل به المفعول وهو السموات ، وكذلك زيد قبل البناء ثم الجدار من بنائه ، وإذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمرا فإن الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وإنما فعل من

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٠٤٥

أفعال تحقق بالنسبة إلى الدار ، وكذلك عمرو فعل من أفعال زيد تعلق به فسمى مفعولا لا يحصل هذا الترتيب ، ولكن الأصل تقديم الفاعل على المفعول ولهذا يعاد المفعول المقدم بالضمير تقول عمرا ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة ، فما الفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكر بالهاء في يدخلونها ، وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلونها جنات عدن ؟

نقول السامع إذا علم أن له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فإذا قيل له أنت تدخل فإلى أن يسمع الدار أو السوق يبقى **متعلق القلب** بأنه في أي المداخل يكون ، فإذا قيل له دار زيد تدخلها فبذكر الدار ، يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق إن له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار ، فإن بني المدخلين بونا بعيدا الثاني : قوله : ﴿يحلون فيها﴾ إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير الدخول فقال : ﴿يدخلونها﴾ وفيها تقع تحليتهم الثالث : قوله : ﴿من أساور﴾

جزء : ٢٦ رقم الصفحة : ٢٤٢

بجمع الجمع فإنه جمع أسورة وهي جمع سوار ، وقوله : ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس / يدل على حاجة من دفع برد أو غيره والإكثار من الزينة لا يدل إلا على الغنى الرابع : ذكر الأساور من بين سائر الحلي في كثير من المواضع منها قوله تعالى : ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ وذلك لأن التحلي بمعنيين أحدهما : إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل وثانيهما : إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء وذلك لأن التحلي إما باللآلىء والجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللآلىء يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكبيرة عند الحاجة حيث يعجز عن الوصول إلى الأشياء القليلة الوجود لا لحاجة ، والتحلي بالذهب والفضلة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية وإلا لصرف الذهب والفضة إلى دفع الحاجة ، إذا عرفت هذا فنقول الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإنها للبطش ، فإذا حليت بالأساور علم الفراغ والذهب واللؤلؤ إشارة إلى النوعين اللذين منهما الحلي.

جزء : ٢٦ رقم الصفحة : ٢٤٢

٢٤٢

ثم قال تعالى : ﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزنا إن ربنا لغفور شكور﴾ .

في الحزن أقوال كثيرة والأولى أن يقال المراد إذهاب كل حزن والألف واللام للجنس واستغراقه وإذهاب الحزن بحصول كل ما ينبغي وبقائه دائما فإن شيئا منه لو لم يحصل لكان الحزن موجودا بسببه وإن حصل ولم يدم لكان الحزن غير ذاهب بعد بسبب زواله وخوف فواته ، وقوله : ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ ذكر الله عنهم أمورا كلها تفيد الكرامة من الله الأول : الحمد فإن الحامد مثاب الثاني : قولهم ربنا فإن الله لم يناد بهذا اللفظ إلا واستجاب لهم ، اللهم إلا أن يكون المنادي قد ضيع الوقت الواجب أو طلب ما لا يجوز كالرد إلى الدنيا من الآخرة الثالث : قولهم : ﴿غفور﴾ ، الرابع : قولهم : ﴿شكور﴾ والغفور إشارة إلى ما غفر لهم في الآخرة بما وجد لهم من الحمد في الدنيا ، والشكور إشارة إلى ما يعطيهم ويزيد لهم بسبب ما وجد لهم في الآخرة من الحمد.

جزء : ٢٦ رقم الصفحة : ٢٤٢

٢٤٣

ثم قال تعالى : ﴿الذى أحلنا دار المقامة من فضله ﴾ أي دار الإقامة ، لما ذكر الله سرورهم وكرامتهم بتحليتهم وإدخالهم الجنات بين سرورهم ببقائهم فيها وأعلمهم بدوامها حيث قالوا : ﴿الذى أحلنا دار المقامة﴾ أي الإقامة والمفعول ربما يجيء للمصدر من كل باب يقال ما له معقول أي عقل ، وقال تعالى : ﴿مدخل صدق﴾ وقال تعالى : ﴿ومزقناهم كل ممزق ﴾ وكذلك مستخرج للاستخراج وذلك لأن المصدر هو المفعول في الحقيقة ، فإنه هو الذي فعل فجاز إقامة المفعول مقامه وفي قوله : ﴿دار المقامة﴾ إشارة إلى أن الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل عنها إلى منزلة القبور ومنها إلى منزلة / العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق. وقد تكون النار لبعضهم منزلة أخرى والجنة دار المقامة ، وكذلك النار لأهلها وقولهم ﴿من فضله ﴾ أي بحكم وعده لا بإيجاب من عنده.

". (١)

٣٢-"أي فسترى يا محمد ويرون يعني المشركين ، وفيه قولان : منهم من حمل ذلك على أحوال الدنيا ، يعني فستبصر ويبصرون الدنيا أنه كيف يكون عاقبة أمرك وعاقبة أمرهم ، فإنك تصير معظما في القلوب ، ويصيرون دليلين ملعونين ، وتستولي عليهم بالقتل والنهب ، قال مقاتل : هذا وعيد بالعذاب ببدر ، ومنهم من حمله على أحوال الآخرة وهو كقوله : ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الاشر﴾ (القمر : ٢٦).

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٦٨٩

[بم وأما قوله تعالى :
جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٠٣
٦٠٣
ففيه وجوه : أحدها : وهو قول الأخفش وأبي عبيدة وابن قتيبة : أن الباء صلة زائدة والمعنى أيكم المفتون وهو الذي فتن بالجنون كقوله : ﴿تنابت بالدهن﴾ (المؤمنين : ٢٠) أي تنبت الدهن وأنشد أبو عبيدة :
نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
والفراء طعن في هذا الجواب وقال : إذا أمكن فيه بيان المعنى الصحيح من دون طرح الباء كان ذلك أولى ، وأما البيت فمعناه نرجو كشف ما نحن فيه بالفرج أو نرجو النصر بالفرج وثانيها : وهو اختيار الفراء والمبرد أن المفتون ههنا بمعنى الفتون وهو الجنون ، والمصادر تجيء على المفعول نحو المعقود والميسور بمعنى العقد واليسر ، يقال : ليس له معقود رأي أي عقد رأى ، وهذا قول الحسن والضحاك ورواية عطية عن ابن عباس وثالثها : أن الباء بمعنى في ومعنى الآية : فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون ، أفي فرقة الإسلام أم في فرقة الكفار ورابعها : المفتون هو الشيطان إذ لا شك أنه مفتون في دينه وهم لما قالوا إنه مجنون فقد قالوا : إن به شيطانا فقال تعالى : سيعلمون غدا بأيهم شيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل ثم قال تعالى :
جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٠٣
٦٠٥
وفيه وجهان : الأول : هو أن يكون المعنى إن ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة ، وهم الذي ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون الثاني : أن يكون المعنى إنهم رموك بالجنون ووصفوا أنفسهم بالعقل وهم كذبوا في ذلك ، ولكنهم موصوفون بالضلال ، وأنت موصوف بالهداية والامتياز الحاصل بالهداية والضلال أولى بالرعاية من الامتياز الحاصل بسبب العقل والجنون ، لأن ذاك / ثمرته السعادة الأبدية (أ) والشقاوة ، وهذا ثمرته السعادة (أ) والشقاوة في الدنيا.
جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٠٥
٦٠٦
اعلم أنه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في أمر الرسول ونسبته إلى الجنون مع الذي أنعم الله به عليه من الكمال في أمر الدين والخلق ، أتبعه بما يدعوه إلى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار ، فإن

هذه السورة من أوائل ما نزل فقال : ﴿فلا تطع المكذبين﴾ يعني رؤساء أهل مكة ، وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم ، وهذا من الله إلهاب وتهييج التشدد في مخالفتهم. ثم قال :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٠٦

٦٠٧

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : قال الليث : الإدهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام ، قال المبرد : داهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر ، والمعنى تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى فتلين لهم ويلينون لك ، وروى عطاء عن ابن عباس : لو تكفر فيكفرون.

المسألة الثانية : إنما رفع ﴿فيدهنون﴾ ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني لأنه قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله : ﴿فمنا يؤمن بربه فلا يخاف﴾ (الجن : ١٣) على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ ، قال سيبويه : وزعم هارون وكان من القراء أنها في بعض المصاحف : (ودوا لو تدهن فيدهنوا). واعلم أنه تعالى لما نهاه عن طاعة المكذبين ، وهذا يتناول النهي عن طاعة جميع الكفار إلا أنه أعاد النهي عن طاعة من كان من الكفار موصفا بصفات مذمومة وراء الكفر ، وتلك الصفات هي هذه :

الصفة الأولى : كونه حلافا ، والحلاف من كان كثير الحلف في الحق والباطل ، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله : ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم﴾ (البقرة : ٢٢٤).

الصفة الثانية : كونه مهينا ، قال الزجاج : هو فعيل من المهانة ، ثم فيه وجهان أحدهما : أن المهانة هي القلة والحقارة في الرأي والتمييز والثاني : أنه إنما كان مهينا لأن المراد الحلاف / في الكذب ، والكذاب حقير عند الناس. وأقول : كونه حلافا يدل على أنه لا يعرف عظمة الله تعالى وجلاله ، إذ لو عرف ذلك لما أقدم في كل حين وأوان بسبب كل باطل على الاستشهاد باسمه وصفته ومن لم يكن عالما بعظمة الله وكان **متعلق القلب** بطلب الدنيا كان مهينا ، فهذا يدل على أن عزة النفس لا تحصل إلا لمن عرف نفسه بالعبودية ، وأن مهانتها لا تحصل إلا لمن غفل عن سر العبودية.

". (١)

٣٣-"أولها . قوله : ﴿إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دآئامون﴾ فإن قيل : قال : ﴿على صلاتهم دآئامون﴾ ثم : ﴿على صلاتهم يحافظون﴾ (المعارج : ٣٤) قلنا : معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه ، وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة وتارة بأمور لاحقة بها ، وتارة بأمور متراخية عنها ، أما الأمور السابقة فهو أن يكون قبل دخول وقتها **متعلق القلب** بدخول أوقاتها ، ومتعلق بالوضوء ، وستر العورة وطلب القبلة ، ووجدان الثوب والمكان الطاهرين ، والإتيان بالصلاة في الجماعة ، وفي المساجد المباركة ، وأن يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والإلتفات إلى ما سوى الله تعالى ، وأن يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة ، وأما الأمور المقارنة فهو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، وأن يكون حاضر القلب عند القراءة ، فاهما للأذكار ، مطلعا على حكم الصلاة ، وأما الأمور المتراخية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب ، وأن يحترز كل / الاحتراز عن الإتيان بعدها بشيء من المعاصي.

وثانيها قوله تعالى :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٥

٦٤٥

اختلفوا في الحق المعلوم : فقال ابن عباس والحسن وابن سيرين ، إنه الزكاة المفروضة ، قال ابن عباس : من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق قالوا : والدليل على أن المراد به الزكاة المفروضة وجهان : الأول : أن الحق المعلوم المقدر هو الزكاة ، أما الصدقة فهي غير مقدرة الثاني : وهو أنه تعالى ذكر هذا على سبيل الاستثناء ممن ذمه ، فدل على أن الذي لا يعطى هذا الحق يكون مذموما ، ولا حق على هذه الصفة إلا الزكاة ، وقال آخرون : هذا الحق سوى الزكاة ، وهو يكون على طريق الندب والاستحباب ، وهذا قول مجاهد وعطاء والنخعي. وقوله : ﴿للسآئال﴾ يعني الذي يسأل ﴿والمحروم﴾ الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم.

وثالثها قوله :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٥

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٤٥١١

٦٤٥

أي يؤمنون بالبعث والحشر.

ورابعها قوله تعالى :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٥

٦٤٦

والإشفاق يكون من أمرين ، إما الخوف من ترك الواجبات أو الخوف من الإقدام على المحظورات ، وهذا كقوله : ﴿والذين يؤتون مآ ءاتوا وقلوبهم وجلة﴾ (المؤمنون : ٦٠) وكقوله سبحانه : ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (الحج : ٣٥) ومن يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف يكون حذرا من التقصير حريصا على القيام بما كلف به من علم وعمل.

ثم إنه تعالى أكد ذلك الخوف فقال :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٦

٦٤٦

والمراد أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي ، واحترز عن المحظورات بالكلية ، بل يجوز أن يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك ، فلا جرم يكون خائفا أبد.

وخامسها قوله تعالى :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٦

٦٤٦

/ وقد مر تفسيره في سورة المؤمنين.

وسادسها قوله :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٦

٦٤٦

وقد تقدم تفسيره أيضا.

وسابعها قوله :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٦

٦٤٦

قرىء بشهادتهم وبشهاداتهم ، قال الواحدي : والإفراد أولى لأنه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وإن أضيف لجمع كقوله لصوت الحمير. ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات ، وكثرت ضروبها فحسن الجمع من جهة الاختلاف ، وأكثر المفسرين قالوا : يعني الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق ، ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الأمانات إلا أنه تعالى خصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وفي تركها إبطالها وتضييعها ، وروى عطاء عن ابن عباس قال : يريد الشهادة بأن الله واحد لا شريك له.

وثامنها قوله :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٦

٦٤٧

وقد تقدم تفسيره.

ثم وعد هؤلاء وقال :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٧

٦٤٧

ثم ذكر بعده ما يتعلق بالكفار فقال :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٦٤٧

٦٤٧

المهطع المسرع وقيل : الماد عنقه ، وأنشدوا فيه :

بمكة أهلها ولقد أراهم

بمكة مهطعين إلى السماع

والوجهان متقاربان ، روى أن المشركين كانوا يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ، ويقولون : إذا دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد : فلندخلنها قبلهم ، فنزلت هذه الآية فقوله : ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين نحوك مادين أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك ، وقال أبو مسلم : ظاهر الآية يدل على أنهم هم المنافقون ، فهم الذين كانوا عنده وإسراعهم المذكور هو الإسراع في الكفر كقوله : ﴿لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر﴾ . ثم قال :

". (١)

٣٤-"وقيل الأب الفاكهة اليابسة لأنها تؤدب للشتاء أي تعد ، ولما ذكر الله تعالى ما يغتذى به الناس والحيوان. قال : ﴿متاعا لكم ولانعامكم﴾ .
قال الفراء : خلقناه منفعة ومتعة لكم ولأنعامكم ، وقال الزجاج : هو منصوب لأنه مصدر مؤكد لقوله : ﴿فأنابتنا﴾ لأن إنباته هذه الأشياء إمتاع لجميع الحيوان.
واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الأشياء وكان المقصود منها أمورا ثلاثة : أولها : الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها : الدلائل الدالة على القدرة على المعاد وثالثها : أن هذا الإله الذي أحسن إلى عبيده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان ، لا يليق بالعاقل أن يتمرد عن طاعته وأن يتكبر على عبيده أتبع هذه الجملة بما يكون مؤكدا لهذه الأغراض وهو شرح أهوال القيامة ، فإن الإنسان إذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراض عن الكفر ، ويدعوه ذلك أيضا إلى ترك التكبر على الناس ، وإلى إظهار التواضع إلى كل أحد ، فلا جرم ذكر القيامة : فقال :
جزء : ٣١ رقم الصفحة : ٦٣
قال المفسرون يعني صيحة القيامة وهي النفخة الأخيرة ، قال الزجاج : أصل الصخ في اللغة الطعن والصك ، يقال صخ رأسه بحجر أي شدخه والغراب بصخ بمنقاره في دبر البعير أي يطعن ، فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها للآذان ، وذكر صاحب "الكشاف" وجها آخر فقال : يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له ، فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها أي يستمعون. ثم إنه تعالى وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى :
وفيه مسألتان :
/ المسألة الأولى : يحتمل أن يكون المراد من الفرار ما يشعر به ظاهره وهو التباعد والاحتراز والسبب في ذلك الفرار الاحتراز عن المطالبة بالتبعات. يقول الأخ : ما واسيتني بمالك ، والأبوان يقولان قصرت في برنا ، والصاحبة تقول أطعمتني الحرام ، وفعلت وصنعت ، والبنون يقولون : ما علمتنا وما أرشدتنا ، وقيل : أول من يفر من أخيه هابيل ، ومن أبويه إبراهيم ، ومن صاحبته نوح ولوط ، ومن ابنه نوح ، ويحتمل أن يكون المراد من الفرار ليس هو التباعد ، بل المعنى أنه يوم يفر المرء من موالاة أخيه لاهتمامه بشأنه ، وهو كقوله

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٤٥٣٩

تعالى : ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ (البقرة : ١٦٦) وأما الفرار من نصرته ، وهو كقوله تعالى : ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيا﴾ (الدخان : ٤١) وأما ترك السؤال وهو كقوله تعالى : ﴿ولا يسال حميم حميما﴾ (المعارج : ١٠).

المسألة الثانية : المراد أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم ، فإنه يفر منهم في دار الآخرة ، ذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل : ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ بل من أبويه فإنهما أقرب من الأخوين بل من الصاحبة والولد ، لأن **تعلق القلب** بهما أشد من تعلقه بالأبوين. ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى :

وفي قوله : ﴿يغنيه﴾ وجهان الأول : قال ابن قتيبة : يغنيه أي يصرفه ويصده عن قرابته وأنشد :

سيغنيك حرب بني مالك

عن الفحش والجهل في المحفل

أي سيشغلك ، ويقال أغن عني وجهك أي أصرفه الثاني : قال أهل المعاني : يغنيه أي ذلك الهم الذي بسبب خاصة نفسه قد ملأ صدره ، فلم يبق فيه متسع لهم آخر ، فصارت شبيها بالغنى في أنه حصل عنده من ذلك المملوك شيء كثير. واعلم أنه تعالى لما ذكر حال يوم القيامة في الهول ، بين أن المكلفين فيه على قسمين منهم السعداء ، ومنهم الأشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى :

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ٦٣

مسفرة مضيئة متهللة ، من أسفر الصبح إذا أضاء ، وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى من كثرت صلاته بالليل ، حسن وجهه بالنهار ، وعن الضحاك ، من آثار الوضوء ، وقيل : من طول ما أغبرت في سبيل الله ، وعندي أنه بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان والرحمة ضاحكة ، قال الكلبي : يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة فرحة بما نالت من كرامة الله ورضاه ، واعلم أن قوله : مسفرة إشارة إلى الخلاص عن هذا العالم وتبعاته / وأما الضاحكة والمستبشرة ، فهما محمولتان على القوة النظرية والعملية ، أو على وجدان المنفعة ووجدان التعظيم.

قال المبرد : الغبرة ما يصيب الإنسان من الغبار ، وقوله : ﴿ترهقها﴾ أي تدركها عن قرب ، كقولك رهقت الجبل إذا لحقته بسرعة ، والرهق عجلة الهلاك ، والقترة سواد كالدخان ، ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه ، كما ترى وجوه الزنوج إذا أغبرت ، وكأن الله تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة ، كما جمعوا بين الكفر والفجور ، والله أعلم.

واعلم أن المرئجة والخوارج تمسكوا بهذه الآية ، أما المرجئة فقالوا : إن هذه الآية دلت على أن أهل القيامة قسمان : أهل الثواب ، وأهل العقاب ، ودلت على أن أهل العقاب هم الكفرة ، وثبت بالدليل أن الفساق من أهل الصلاة ليسوا بكفرة ، وإذا لم يكونوا من الكفرة كانوا من أهل الثواب ، وذلك يدل على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس له عقاب ، وأما الخوارج فإنهم قالوا : دلت سائر الدلائل على أن صاحب الكبيرة يعاقب ، ودلت هذه الآية على أن كل من يعاقب فإنه كافر ، فيلزم أن كل مذنب فإنه كافر والجواب : أكثر ما في الباب أن المذكور ههنا هو هذا الفريقان ، وذلك لا يقتضي نفي الفريق الثالث ، والله أعلم ؛ والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيد المرسلين محمد النبي وآله وصحبه أجمعين.

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ٦٣

٦٨". (١)

٣٥-"ثم لما قرر أمر الربوبية بهذا الطريق أمره بثلاثة أشياء أولها مقام الشريعة وهو أن يواظب على الأعمال الظاهرة وهو قوله إياك نعبد وثانيها مقام الطريقة وهو أن يحاول السفر من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فيرى عالم الشهادة كالمسخر لعالم الغيب فيعلم أنه لا يتيسر له شيء من الأعمال الظاهرة إلا بمدد يصل إليه من عالم الغيب وهو قوله وإياك نستعين وثالثها أنه يشاهد عالم الشهادة معزولا بالكلية ويكون الأمر كله لله وحينئذ يقول اهدنا الصراط المستقيم ثم إن ههنا دقيقة وهي أن الروح الواحد يكون أضعف قوة من الأرواح الكثيرة المجتمعة على تحصيل مطلوب واحد فحينئذ علم العبد أن روحه وحده لا يكفي في طلب هذا المقصود فعند هذا أدخل روحه في زمرة الأرواح المقدسة المطهرة المتوجهة إلى طلب المكاشفات الروحانية والأنوار الربانية حتى إذا اتصل بها وانخرط في سلكها صار الطلب أقوى والاستعداد أتم فحينئذ يفوز في تلك الجمعية بما لا يقدر على الفوز به حال الوحدة فلهذا قال صراط الذين أنعمت عليهم ثم لما بين أن الاتصال بالأرواح المطهرة يوجب مزيد القوة والاستعداد بين أيضا أن الاتصال بالأرواح الخبيثة يوجب الخيبة والخسران والخذلان والحرمان فلهذا قال غير المغضوب عليهم وهم الفساق ولا الضالين وهم الكفار ولما تمت هذه الدرجات الثلاث وكملت هذه المقامات الثلاثة أعني الشريعة المدلول عليها بقوله إياك نعبد والطريقة المدلول عليها بقوله وإياك نستعين والحقيقة المدلول عليها بقوله اهدنا الصراط المستقيم - ثم لما حصل الاستعداد بالاتصال بأرباب الصفاء والاستكمال بسبب المباعدة عن أرباب الجفاء والشقاء فعند هذا كملت المعارج

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٤٦٧٧

البشرية والكمالات الإنسانية المسألة الثالثة في تقرير مشرع آخر من لطائف هذه السورة اعلم أن الإنسان خلق محتاجا إلى جر الخيرات واللذات ودفع المكروهات والمخافات ثم إن هذا العالم عالم الأسباب فلا يمكنه تحصيل الخيرات واللذات إلا بواسطة أسباب معينة ولا يمكنه دفع الآفات والمخافات إلا بواسطة أسباب معينة ولما كان جلب النفع ودفع الضرر محبوبا بالذات وكان استقراء أحوال هذا العلم يدل على أنه لا يمكن تحصيل الخير ولا دفع الشر إلا بتلك الأسباب المعينة ثم تقرر في العقول أن ما لا يمكن الوصول إلى المحبوب إلا بواسطته فهو محبوب – صار هذا المعنى سببا لوقوع الحب الشديد لهذه الأسباب الظاهرة وإذا علم أنه لا يمكنه الوصول إلى الخيرات واللذات إلا بواسطة خدمة الأمير والوزير والأعوان والأنصار بقي الإنسان **متعلق القلب** بهذه الأشياء شديد الحب لها عظيم الميل والرغبة إليها ثم قد ثبت في العلوم الحكمية أن كثرة الأفعال سبب لحدوث الملكات الراسخة وثبت أيضا أن حب التشبه غالب على طباع الخلق أما الأول فكل من واظب على صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف مدة مديدة صارت تلك الحرفة والصناعة ملكة راسخة قوية وكلما كانت المواظبة عليها أكثر كانت الملكة أقوى وأرسخ وأما الثاني فهو أن الإنسان إذا جالس الفساق مال طبعة إلى الفسق وما ذاك إلا لأن الأرواح جبلت على حب المحاكاة وإذا عرفت هذا فنقول إنا بينا أن استقراء حال الدنيا يوجب **تعلق القلب** بهذه الأسباب الظاهرة التي بها يمكن التوسل إلى جر المنافع ودفع المضار وبينا أنه كلما كانت مواظبة الإنسان عليها أكثر كان استحكام هذا الميل". (١)

٣٦-"والطلب في قلبه أقوى وأثبت وأيضا فأكثر أهل الدنيا موصوفون بهذه الصفة مواظبون على هذه الحالة وبينا أن النفوس مجبولة على حب المحاكاة وذلك أيضا يوجب استحكام هذه الحالة فقد ظهر بالبينات التي ذكرناها أن الأسباب الموجبة لحب الدنيا والمرغبة في التعلق بأسبابها كثيرة قوية شديدة جدا ثم نقول إنه إذا اتفق للإنسان هداية إلهية تهديه إلى سواء السبيل وقع في قلبه أن يتأمل في هذه الأسباب تأملا شافيا وافيا فيقول هذا الأمير المستولي على هذا العالم استولى على الدنيا بفرط قوته وكمال حكمته أم لا الأول باطل لأن ذلك الأمير ربما كان أكثر الناس عجزا وأقلهم عقلا فعند هذا يظهر له أن تلك الإمارة والرياسة ما حصلت له بقوته وما هيئت له بسبب حكمته وإنما حصلت تلك الإمارة والرياسة لأجل قسمة قسام وقضاء حكيم علام لا دافع لحكمه ولا مرد لقضائه ثم ينضم إلى هذا النوع من الاعتبار أنواع أخرى من الاعتبارات تعاضدها وتقويها فعند حصول هذه المكاشفة ينقطع قلبه عن الأسباب الظاهرة وينتقل منها إلى الرجوع في كل المهمات

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١/ ١٥٤

والمطلوبات إلى مسبب الأسباب ومفتح الأبواب ثم إذا توالت هذه الاعتبارات وتواترت هذه المكاشفات صار الإنسان بحيث كلما وصل إليه نفع وخير قال هو النافع وكلما وصل إليه شر ومكروه قال هو الضار وعند هذا لا يحمد أحدا على فعل إلا الله ولا يتوجه قلبه في طلب أمر من الأمور إلا إلى الله فيصير الحمد كله لله والثناء كله لله فعند هذا يقول العبد الحمد لله واعلم أن الاستقراء المذكور يدل العبد على أن أحوال هذا العالم لا تنتظم إلا بتقدير الله ثم يترقى من العالم الصغير إلى العالم الكبير فيعلم أنه لا تنتظم حالة من أحوال العالم الأكبر إلا بتقدير الله وذلك هو قوله رب العالمين ثم إن العبد يتأمل في أحوال العالم الأعلى فيشاهد أن أحوال العالمين منظومة على الوصف الأتقن والترتيب الأقوم والكمال الأعلى والمنهج الأسنى فيرى الذرات ناطقة بالإقرار بكمال رحمته وفضله وإحسانه فعند ذلك يقول الرحمن الرحيم فعند هذا يظهر للعبد أن جميع مصالحة في الدنيا إنما تهيأت برحمة الله وفضله وإحسانه ثم يبقى العبد **متعلق القلب** بسبب أنه كيف يكون حاله بعد الموت فكأنه يقال مالك يوم الدين ليس إلا الذي عرفته بأنه الرحمن الرحيم فحينئذ ينشرح صدر العبد وينفسح قلبه ويعلم أن المتكفل بإصلاح مهماته في الدنيا والآخرة ليس إلا الله وحينئذ ينقطع التفاته عما سوى الله ولا يبقى **متعلق القلب** بغير الله ثم إن العبد حين كان **متعلق القلب** بالأمير والوزير كان مشغولا بخدمتهما وبعد الفراغ من تلك الخدمة كان يستعين في تحصيل المهمات بهما وكان يطلب الخير منهما فعند زوال ذلك التعلق يعلم أنه لما كان مشتغلا بخدمة الأمير والوزير فلأن يشتغل بخدمة المعبود كان أولى فعند هذا يقول إياك نعبد والمعنى إني كنت قبل هذا أستعين بغيرك وأما الآن فلا أستعين بأحد سواك ولما كان يطلب المال والجاه اللذين هما على شفا حفرة الانقراض والانقضاء من الأمير والوزير فلأن يطلب الهداية والمعرفة من رب السماء والأرض أولى فيقول اهدنا الصراط المستقيم ثم إن أهل الدنيا فريقان أحدهما الذين لا يعبدون أحدا إلا الله ولا يستعينون إلا بالله ولا يطلبون الأغراض والمقاصد إلا من الله والفرقة الثانية الذين يخدمون الخلق ويستعينون بهم ويطلبون الخير منهم فلا جرم العبد يقول إلهي اجعلني في زمرة الفرقة". (١)

٣٧-"معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيرا شديدا لا يصل إليه إلا الفرد بعد الفرد لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر ومن هذا الباب عمل (أرجعيانوس) الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مجتازا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخا من فراخ البراصل والبراصل هو طائر عطوف وكان يضمر صغيرا حزينا بخلاف سائر البراصل وكانت

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١٥٥/١

البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيره المخالف لصفير البراصل ضربا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ لأنها تظن أن هناك فرخا من جنسها فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها (أسطرخس) الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلىء تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع

النوع السادس من السحر الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية البلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق

النوع السابع من السحر تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن **لتعلق القلب** أثرا عظيما في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار

النوع الثامن من السحر السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه والله أعلم

المسألة الرابعة في أقوال المسلمين في أن هذه الأنواع هل هي ممكنة أم لا أما المعتزلة فقد اتفقوا على إنكارها إلا النوع المنسوب إلى التخيل والمنسوب إلى إطعام بعض الأدوية المبلدة والمنسوب إلى التضريب والنميمة فأما الأقسام الخمسة الأول فقد أنكروها ولعلهم كفروا من قال بها وجوز وجودها وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارا والحمار إنسانا إلا أنهم قالوا إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة فأما أن يكون المؤثر في ذلك الفلك والنجوم

فلا وأما الفلاسفة والمنجمون والصابئة فقولهم على ما سلف تقريره". (١)

٣٨-"اعلم أنه تعالى لما شرع في شرح فضائح المنافقين وقبائحهم لسبب تخلفهم عن غزوة تبوك فلما تم ذلك الشرح والبيان وذكر أقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد إلى بيان فضيلة الجهاد وحقيقته فقال إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وفي الآية مسائل

المسألة الأولى قال القرطبي لما بايعت الأنصار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال (أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم) قالوا فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال (الجنة) قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فأغلى ثمنهم

المسألة الثانية قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيئا في الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملك ولهذا قال الحسن اشترى أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها لكن هذا ذكره تعالى لحسن التلطف في الدعاء إلى الطاعة وحقيقة هذا أن المؤمن متى قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه وينفق ماله في سبيل الله أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما فعل فجعل هذا استبدالا وشراء هذا معنى قوله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة أي بالجنة وكذا قراءة عمر بن الخطاب والأعمش قال الحسن اسمعوا والله بيعة رابحة وكفة راجحة بايع الله بها كل مؤمن والله ما على الأرض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة وقال الصادق عليه الصلاة والسلام (ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها) وقوله وأموالهم يريد التي ينفقونها في سبيل الله وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالهم وفي الآية لطائف

اللطيفة الأولى المشتري لا بد له من بائع وههنا البائع هو الله والمشتري هو الله وهذا إنما يصح في حق القيم بأمر الطفل الذي لا يمكنه رعاية المصالح في البيع والشراء وصحة هذا البيع مشروطة برعاية الغبطة العظيمة فهذا المثل جار مجرى التنبيه على كون العبد شبيها بالطفل الذي لا يهتدي إلى رعاية مصالح نفسه وأنه تعالى هو المراعي لمصالحه بشرط الغبطة التامة والمقصود منه التنبيه على السهولة والمسامحة والعفو عن الذنوب والإيصال إلى درجات الخيرات ومراتب السعادات

واللطيفة الثانية أنه تعالى أضاف الأنفس والأموال إليهم فوجب أن كون الأنفس والأموال مضافة إليهم يوجب أمرين مغايرين لهم والأمر في نفسه كذلك لأن الأنسان عبارة عن الجوهر الأصلي الباقي وهذا البدن يجري

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١٩٣/٣

مجرى الآلة والأدوات والمركب وكذلك المال خلق وسيلة إلى رعاية مصالح هذا المركب فالحق سبحانه اشترى من الإنسان هذا المركب وهذا المال بالجنة وهو التحقيق لأن الإنسان ما دام يبقى **متعلق القلب** بمصالح عالم الجسم المتغير المتبدل وهو البدن والمال امتنع وصوله إلى السعادات العالية والدرجات الشريفة فإذا انقطع التفاته إليها وبلغ ذلك الانقطاع إلى أن عرض البدن للقتل والمال للإنفاق في طلب رضوان الله فقد بلغ إلى حيث رجح الهدى على الهوى والمولى على الدنيا والآخرة على الأولى فعند هذا يكون من السعداء الأبرار والأفاضل الأخيار فالبائع هو جوهر الروح القدسية والمشتري هو الله وأحد العوضين الجسد البالي والمال الفاني والعوض الثاني الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والهم والغم زائل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به". (١)

٣٩-"السؤال الأول ما الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الوقت الجواب فيه وجوه أحدها أنه تعالى قلبها حية لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه وذلك لأنه عليه السلام إلى هذا الوقت ما سمع إلا النداء والنداء وإن كان مخالفا للعادات إلا أنه لم يكن معجزا لاحتمال أن يكون ذلك من عادات الملائكة أو الجن فلا جرم قلب الله العصا حية ليصير ذلك دليلا قاهرا والعجب أن موسى عليه السلام قال أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى فيه وجعلها متكأ له بأن جعلها معجزة له وثانيها أن النداء كان إكراما له فقلب العصا حية مزيدا في الكرامة ليكون توالي الخلع والكرامات سببا لزوال الوحشة عن قلبه وثالثها أنه عرض عليه ليشاهده أولا فإذا شاهده عند فرعون لا يخافه ورابعها أنه كان راعيا فقيرا ثم إنه نصب للمنصب العظيم فلعله بقي في قلبه تعجب من ذلك فقلب العصا حية تنبيها على أني لما قدرت على ذلك فكيف يستبعد مني نصرة مثلك في إظهار الدين وخامسها أنه لما قال قال هى عصاى أتوكؤا إلى قوله ولى فيها مأرب أخرى فقيل له ألقاها فلما ألقاها وصارت حية فر موسى عليه السلام منها فكأنه قيل له ادعيت أنها عصاك وأن لك فيها مآرب أخرى فلم تفر منها تنبيها على سر قوله ففروا إلى الله (الذاريات ٥٠) وقوله قل الله ثم ذرهم (الأنعام ٩١) السؤال الثاني قال ههنا حية وفي موضع آخر ثعبان وجان أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفيه وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١٥٨/١٦

فلما رءاها تهتز كأنها جان السؤال الثالث كيف كانت صفة الحية الجواب كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعا وابتلعت كل ما مرت به من الصخور والأشجار حتى سمع موسى صرير الحجر في فمها وجوفها أما قوله تعالى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى ففيه سؤالات السؤال الأول لما نودي موسى وخص بتلك الكرامات العظيمة وعلم أنه معبوث من عند الله تعالى إلى الخلق فلم خاف والجواب من وجوه أحدها أن ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لأنه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وأيضا فهذه الأشياء معلومة بدلائل العقول وعند الفزع الشديد قد يذهل الإنسان عنه قال الشيخ أبو القاسم الأنصاري رحمه الله تعالى وذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه في النبوة لأن الساحر يعلم أن الذي أتى به تمويه فلا يخافه ألبتة وثانيها قال بعضهم خافها لأنه عليه السلام عرف ما لقي آدم منها وثالثها أن مجرد قوله لا تخف لا يدل على حصول الخوف كقوله تعالى ولا تطع الكافرين (الأحزاب ١) لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله فلما رءاها تهتز كأنها جان ولى مدبرا (النمل ١٠) يدل عليه ولكن ذلك الخوف إنما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين محمد (صلى الله عليه وسلم) فإنه عليه السلام أظهر **تعلق القلب** بالعصا والنفرة عن الثعبان وأما محمد عليه السلام فما أظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة عن النار السؤال الثاني متى أخذها بعد انقلابها عصا أو قبل ذلك والجواب روي أنه أدخل يده بين أسنانها فانقلبت خشبة والقرآن يدل عليه أيضا بقوله سنعيدها سيرتها الاولى وذلك يقع في الاستقبال وأيضا فهذا أقرب للكرامة لأنه كما أن انقلاب العصا حية معجزة فكذلك إدخال يده في فمها من غير ضرر معجزة وانقلابها". (١)

٤٠-"الأولى أن الكاغدة ليس لها خطر عظيم وإذا كتب فيها القرآن لم يجز إحراقها فقلب المؤمن كتب فيه جميع أحكام ذات الله تعالى وصفاته فكيف يليق بالكريم إحراقه الثانية بشر الحافي أكرم كاغدا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فإكرام قلب فيه معرفة الله تعالى أولى بذلك والثالثة كاغد ليس فيه خط إذا كتب فيه اسم الله الأعظم عظم قدره حتى أنه لا يجوز للجنب والحائض أن يمسه بل قال الشافعي رحمه الله تعالى ليس له أن يمس جلد المصحف وقال الله تعالى لا يمسه إلا المطهرون (الواقعة ٧٩) فالقلب الذي فيه أكرم المخلوقات ولقد كرمنا بنى ءادم (الإسراء ٧٠) كيف يجوز للشيطان الخبيث أن يمسه والله أعلم وسادسها السكينة هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين (الفتح ٤) فلما رغب موسى عليه السلام في طلب السكينة قال رب اشرح لى صدرى والنكتة أن أبا بكر رضي الله عنه كان مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٢٥/٢٢

) وكان خائفا فلما نزلت السكينة عليه قال لا تحزن فلما نزلت سكينة الإيمان فرجوا أن يسمعوا خطاب ألا تخافوا ولا تحزنوا (فصلت ٣٠) وأيضا لما نزلت السكينة صار من الخلفاء وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض (النور ٥٥) أي أن يصيروا خلفاء الله في أرضه وسابعها المحبة والزينة ولاكن الله حبب إليكم الايمان وزينة في قلوبكم (الحجرات ٧) والنكتة أن من ألقى حبة في أرض فإنه لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه وتعالى ألقى حبة المحبة في أرض القلب فكيف يحرقها وثامنها وألف بين قلوبكم (الأنفال ٦٣) والنكتة أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) ألف بين قلوب أصحابه ثم إنه ما تركهم (في) غيبة ولا حضور (سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فالرحيم كيف يتركهم وتاسعها الطمأنينة ألا بذكر الله تطمئن القلوب (الرعد ٢٨) وموسى طلب الطمأنينة فقال رب اشرح لى صدرى والنكتة أن حاجة العبد لا نهاية لها فلهذا لو أعطى كل ما في العالم من الأجسام فإنه لا يكفيه لأن حاجته غير متناهية والأجسام متناهية والمتناهي لا يصير مقابلا لغير المتناهي بل الذي يكفي في الحاجة الغير المتناهية الكمال الذي لا نهاية له وما ذاك إلا للحق سبحانه وتعالى فلهذا قال ألا بذكر الله تطمئن القلوب ولما عرفت حقيقة شرح الصدر للمؤمنين فاعرف صفات قلوب الكافرين لوجوه أحدها فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وثانيها ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وثالثها في قلوبهم مرض ورابعها جعلنا قلوبهم قاسية وخامسها إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وسادسها ختم الله على قلوبهم وسابعها أم على قلوب أقفالها وثامنها كلا بل ران على قلوبهم وتاسعها أولئك الذين طبع الله على قلوبهم إلهنا وسيدنا بفضلك وإحسانك أغلق هذه الأبواب التسعة من خذلانك عنا واجبرنا بإحسانك وافتح لنا تلك الأبواب التسعة من إحسانك بفضلك ورحمتك إنك على ما تشاء قدير الفصل الخامس في حقيقة شرح الصدر ذكر العلماء فيه وجهين الأول أن لا يبقى للقلب التفات إلى الدنيا لا بالرغبة ولا بالرهبة أما الرغبة فهي أن يكون **متعلق القلب** بالأهل والولد وبتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم وأما الرهبة فهي أن يكون خائفا من الأعداء والمنازعين فإذا شرح الله صدره صغر كل ما يتعلق بالدنيا في عين همته فيصير كالذباب والبق والبعوض لا تدعوه رغبة إليها ولا تمنعه رهبة عنها فيصير الكل عنده كالعدم وحينئذ يقبل القلب بالكلية نحو طلب مرضاة الله تعالى فإن القلب في المثال كينبوع من الماء والقوة البشرية لضعفها كالينبوع الصغير فإذا فرقت ماء العين". (١)

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٣٨/٢٢

٤١ -"الأمر لا لما بعده ويدل عليه قوله يحلون فيها من أساور من ذهب وقوله أذهب عنا الحزن

جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير

ثم قال جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير

وفي الداخلين وجوه أحدها الأقسام الثلاثة وهي على قولنا أن الظالم والمقتصد والسابق أقسام المؤمنين والثاني الذين يتلون كتاب الله والثالث هم السابقون وهو أقوى لقرب ذكرهم ولأنه ذكر إكرامهم بقوله يحلون فالمكرم هو السابق وعلى هذا فيه أبحاث

الأول تقديم الفاعل على الفعل و تأخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى إذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله خلق السماوات وقول القائل زيد بني الجدار فإن الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات وكذلك زيد قبل البناء ثم الجدار من بنائه وإذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمرا فإن الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وإنما فعل من أفعال تحقق بالنسبة إلى الدار وكذلك عمرو فعل من أفعال زيد تعلق به فسمى مفعولا لا يحصل هذا الترتيب ولكن الأصل تقديم الفاعل على المفعول ولهذا يعاد المفعول المقدم بالضمير تقول عمرا ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة فما الفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكر بالهاء في يدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلونها جنات عدن نقول السامع إذا علم أن له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فإذا قيل له أنت تدخل فإلى أن يسمع الدار أو السوق يبقى **متعلق القلب** بأنه في أي المداخل يكون فإذا قيل له دار زيد تدخلها فبذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق إن له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار فإن بني المدخلين بونا بعيدا الثاني قوله يحلون فيها إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير الدخول فقال يدخلونها وفيها تقع تحليتهم الثالث قوله من أساور بجمع الجمع فإنه جمع أسورة وهي جمع سوار وقوله ولباسهم فيها حرير ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد أو غيره والإكثار من الزينة لا يدل إلا على الغنى الرابع ذكر الأساور من بين سائر الحلي في كثير من المواضع منها قوله تعالى وحلوا أساور من فضة وذلك لأن التحلي بمعنيين أحدهما إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل وثانيهما إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء وذلك لأن التحلي إما باللآلىء والجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللآلىء يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكبيرة عند الحاجة حيث يعجز عن الوصول إلى الأشياء القليلة

الوجود لا لحاجة والتحلي بالذهب والفضلة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية وإلا لصرف الذهب والفضة إلى دفع الحاجة إذا عرفت هذا فنقول الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإنها للبطش فإذا حليت بالأساور علم الفراغ والذهب واللؤلؤ إشارة إلى النوعين اللذين منهما الحلي". (١)

٤٢-"طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف (الجن ١٣) على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ قال سيبويه وزعم هارون وكان من القراء أنها في بعض المصاحف (ودوا لو تدهن فيدهنوا) واعلم أنه تعالى لما نهاه عن طاعة المكذبين وهذا يتناول النهي عن طاعة جميع الكفار إلا أنه أعاد النهي عن طاعة من كان من الكفار موصفا بصفات مذمومة وراء الكفر وتلك الصفات هي هذه

الصفة الأولى كونه حلافا والحلاف من كان كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم (البقرة ٢٢٤)

الصفة الثانية كونه مهينا قال الزجاج هو فعيل من المهانة ثم فيه وجهان أحدهما أن المهانة هي القلة والحقارة في الرأي والتمييز والثاني أنه إنما كان مهينا لأن المراد الحلاف في الكذب والكذاب حقير عند الناس وأقول كونه حلافا يدل على أنه لا يعرف عظمة الله تعالى وجلاله إذ لو عرف ذلك لما أقدم في كل حين وأوان بسبب كل باطل على الاستشهاد باسمه وصفته ومن لم يكن عالما بعظمة الله وكان **متعلق القلب** بطلب الدنيا كان مهينا فهذا يدل على أن عزة النفس لا تحصل إلا لمن عرف نفسه بالعبودية وأن مهانتها لا تحصل إلا لمن غفل عن سر العبودية

الصفة الثالثة كونه همازا وهو العياب الطعان قال المبرد هو الذي يهمز الناس أي يذكرهم بالمكروه وأثر ذلك يظهر العيب وعن الحسن يلوي شدقيه في أقفية الناس وقد استقصينا (القول) فيه في قوله ويل لكل همزة (الهمزة ١)

الصفة الرابعة كونه مشاء بنميم أي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم وينم نما ونميما ونميمة

الصفة الخامسة كونه مناعا للخير وفيه قولان أحدهما أن المراد أنه بخيل والخير المال والثاني كان يمنع أهله من الخير وهو الإسلام وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وما قاربهم لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبدا فمنعهم الإسلام فهو الخير الذي منعهم وعن ابن عباس أنه

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٢٤/٢٦

أبو جهل وعن مجاهد الأسود بن عبد يغوث وعن السدي الأخنس بن شريق
الصفة السادسة كونه معتديا قال مقاتل معناه أنه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فيأتي بالظلم ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة يعني أنه نهاية في جميع القبائح والفضائح
الصفة السابعة كونه أثيما وهو مبالغة في الإثم
الصفة الثامنة العتل وأقوال المفسرين فيه كثيرة وهي محصورة في أمرين أحدهما أنه ذم في الخلق والثاني أنه ذم في الخلق وهو مأخوذ من قولك عتله إذا قاده بعنف وغلظة ومنه قوله تعالى فاعتلوه (الدخان ٤٧) أما الذين حملوه". (١)

٤٣-"المسألة الثانية يقال هلع الرجل يهلع هلعا وهلاعا فهو هالع وهلوع وهو شدة الحرص وقلة الصبر يقال جاع فهلع وقال الفراء الهلوع الضجور وقال المبرد الهلع الضجر يقال نعوذ بالله من الهلع عند منازلة الأقران وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبدالله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا تفسير أبين من تفسيره هو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس
المسألة الثالثة قال القاضي قوله تعالى إن الإنسان خلق هلوعا نظير لقوله خلق الإنسان من عجل وليس المراد أنه مخلوق على هذا الوصف والدليل عليه أن الله تعالى ذمه عليه والله تعالى لا يذم فعله ولأنه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم في ترك هذه الخصلة المذمومة ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها واعلم أن الهلع لفظ واقع على أمرين أحدهما الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع والثاني تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية أما تلك الحالة النفسانية فلا شك أنها تحدث بخلق الله تعالى لأن من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه إزالة تلك الحالة من نفسه ومن خلق شجاعا بطلا لا يمكنه إزالة تلك الحالة عن نفسه بل الأفعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والإقدام عليها فهي أمور اختيارية أما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار
بم قوله تعالى
إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا
المراد من الشر والخير الفقر والغنى أو المرض والصحة فالمعنى أنه إذا صار فقيرا أو مريضا أخذ في الجزع والشكاية

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٧٤/٣٠

وإذا صار غنيا أو صحيحا أخذ في منع المعروف وشح بماله ولم يلتفت إلى الناس فإن قيل حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله عليه قلنا إنما ذمه عليه لأنه قاصر النظر على الأحوال الجسمانية العاجلة وكان من الواجب عليه أن يكون مشغولا بأحوال الآخرة فإذا وقع في مرض أو فقر وعلم أنه فعل الله تعالى كان راضيا به لعلمه أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وإذا وجد المال والصحة صرفهما إلى طلب السعادات الأخروية واعلم أنه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفا بثمانية أشياء

(٢٢)

إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دآئمون

أولها قوله إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فإن قيل قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون (المعارج ٣٤) قلنا معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة وتارة بأمور لاحقة بها وتارة بأمور متراخية عنها أما الأمور السابقة فهو أن يكون قبل دخول وقتها **متعلق القلب** بدخول أوقاتها ومتعلق بالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب". (١)

٤٤-"ثم إنه تعالى وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفيه مسألتان

المسألة الأولى يحتمل أن يكون المراد من الفرار ما يشعر به ظاهره وهو التباعد والاحتراز والسبب في ذلك الفرار الاحتراز عن المطالبة بالتبعات يقول الأخ ما واسيتني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ويحتمل أن يكون المراد من الفرار ليس هو التباعد بل المعنى أنه يوم يفر المرء من موالاة أخيه لاهتمامه بشأنه وهو كقوله تعالى إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا البقرة ١٦٦ وأما الفرار من نصرته وهو كقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا الدخان ٤١ وأما ترك السؤال وهو كقوله تعالى ولا يسأل حميم حميما المعارج ١٠

المسألة الثانية المراد أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم فإنه يفر منهم في دار الآخرة ذكروا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١١٤/٣٠

في فائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه فإنهما أقرب من الأخوين بل من الصاحبة والولد لأن **تعلق القلب** بهما من تعلقه بالأبوين

ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وفي قوله يغنيه وجهان الأول قال ابن قتيبة يغنيه أي يصرفه ويصده عن قرابته وأنشد سيغنيك حرب بني مالك

عن الفحش والجهل في المحفل

أي سيشغلك ويقال أغن عني وجهك أي اصرفه الثاني قال أهل المعاني يغنيه أي ذلك الهم الذي بسبب خاصة نفسه قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شبيها بالغني في أنه حصل عنده من ذلك المملوك شيء كثير

واعلم أنه تعالى لما ذكر حال يوم القيامة في الهول بين أن المكلفين فيه على قسمين منهم السعداء ومنهم الأشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة مسفرة مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله وعندي أنه بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان والرحمة ضاحكة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة فرحة بما نالت من كرامة الله ورضاه واعلم أن قوله مسفرة إشارة إلى الخلاص عن هذا العالم وتبعاته وأما الضاحكة والمستبشرة فهما محمولتان على القوة النظرية والعملية أو على وجدان المنفعة ووجدان التعظيم". (١)

٤٥-"أي : فإنه لم يصرح بثبوت هذه الصفات المذكورة لابن الحشرج بل كنى عن ذلك في قبة مضروبة عليه فأفاد اثباتها له ، والقبة تكون فوق الخيمة تتخذها الرؤساء ، وقرأ حمزة والكسائي بالإمالة محضة والدوري عن أبي عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ﴿وإن﴾ أي : والحال إني ﴿كنت﴾ أي : كان ذلك في طبعي ﴿لمن الساخرين﴾ أي : المستهزئين المتكبرين المنزلين أنفسهم في غير منزلتها وذلك أنه ما كفاني المعصية حتى كنت أسخر من أهل الطاعة أي : تقول هذا لعله يقبل منها ويعفى عنها على عادة المعترفين في وقت الشدائد لعلهم يعاودون إلى أجمل العوائد. الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم : ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٤٦

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٥٩/٣١

﴿أو تقول﴾ أي : تلك النفس المفرطة ﴿لو أن الله﴾ أي : الذي له القدرة الكاملة والعلم الشامل ﴿هداني﴾ أي : لبيان الطريق ﴿لكنت من المتقين﴾ أي : الذين لا يقدمون على فعل إلا ما يدلهم عليه دليل. الثالث من الكلمات ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه :

﴿أو تقول﴾ أي : تلك النفس المفرطة ﴿حين ترى العذاب﴾ أي : الذي واجهها عيانا ﴿لو أن﴾ أي : يا ليت ﴿لي كرة﴾ أي : رجعة إلى دار العمل ﴿فأكون﴾ أي : يتسبب عن رجوعي إليها أن أكون ﴿من المحسنين﴾ أي : العاملين بالإحسان الذي دعا إليه القرآن.

تنبيه : في نصب فأكون وجهان أحدهما : عطفه على كرة فإنها مصدر فعطف مصدر مؤول

٥٤٩

على مصدر مصرح به كقولها :

*للبس عباءة وتقر عيني ** أحب إلي من لبس الشفوف*

والثاني : أنه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله تعالى : ﴿لو أن لي كرة﴾ والفرق بين الوجهين أن الأول : يكون فيه الكون متمنى ويجوز أن تضمر أن وأن تظهر ، والثاني : يكون فيه الكون مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى ويجب أن تضمر أن. ثم أجاب الله تعالى هذا القائل بقوله سبحانه :

﴾

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٤٩

بلى قد جاءتك أياتي﴾ أي : القرآن وهي سبب الهداية ﴿فكذبت بها﴾ أي : قلت ليست من عند الله ﴿واستكبرت﴾ أي : تكبرت عن الإيمان بها ﴿وكنت من الكافرين﴾.

فإن قيل : هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله : ﴿لو أن الله هداني﴾ (الزمر : ٥٧)

ولم يفصل بينهما ؟

أجيب : بأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى ، فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن ، وأما الثاني فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ، ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب ، فإن قيل : كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفي ؟

أجيب : بأن قوله ﴿لو أن الله هداني﴾ بمعنى ما هديت.

﴿ويوم القيامة﴾ أي : الذي لا يصح في الحكمة تركه ﴿ترى﴾ أي : أيها المحسن ﴿الذين كذبوا على الله﴾ أي : الحائز لجميع صفات الكمال بنسبة الشريك والولد إليه ، وقال الحسن : هم الذين يقولون إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ، قال البقاعي : وكأنه عنى من المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم إنهم يخلقون أفعالهم قال : ويدخل فيه من تكلم في الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم أنه كاذب في أي شيء كان ، فإنه من حيث إن فعله فعل من يظن أن الله تعالى لا يعلم كذبه أي : ولا يقدر على جزائه كأنه كذب على الله وقوله تعالى : ﴿وجوههم مسودة﴾ جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية وقيل : في محل نصب مفعولا ثانيا لأن الرؤية قلبية ، ورد بأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلبية** بهما ، وذكر أن هذا السواد مخالف لسائر أنواع السواد ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي : مأوى ﴿للمتكبرين﴾ أي : الذين تكبروا على اتباع أمر الله تعالى وهو تقرير لأنهم يرونه كذلك.

ولما ذكر الله تعالى الذين أشقاهم أتبعهم حال الذين أسعدهم بقوله تعالى :

﴿وينجي الله﴾ أي : يفعل بما له من صفات الكمال في نجاتهم فعل المبالغ في ذلك ﴿الذين اتقوا﴾ أي : بالغوا في وقاية أنفسهم من غضبه فكما وقاهم في الدنيا من المخالفات حماهم هنا من العقوبات ﴿بمفازتهم﴾ أي : بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ، ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها ، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بألف بعد الزاي جمعا

٥٥٠

على أن لكل متق مفازة ، والباقون بغير ألف بعد الزاي إفرادا وقوله تعالى ﴿لا يمسهم السوء﴾ جملة مفسرة لمفازتهم كأنه قيل : وما مفازتهم ؟

فقال : لا يمسهم السوء فلا محل لها ، ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من الذين اتقوا ، ومعنى الكلام لا يمسهم مكروه ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي : ولا يطرق بواطنهم حزن على فائت لأنه لا يفوت لهم شيء أصلا.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٤٩". (١)

٤٦-"وروي عنه أن تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿إذا مسه﴾ أي : أدنى مس ﴿الشر﴾ أي : هذا الجنس ، وهو ما تطاير شرره من الضرر ﴿جزوعا﴾ أي : عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣/٣٦٧

ينقد نصفين ويتفتت ﴿وإذا مسه﴾ كذلك ﴿الخير﴾ هذا الجنس وهو ما يلائمه فيجمعه من السعة في المال وغيره من أنواع الرزق ﴿منوعا﴾ أي : مبالغا في الإمساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة ، وهذا الوصف ضد الإيمان لأنه نصفان شكر وصبر.

فإن قيل : حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة ، وهذا هو اللائق بالعقل فلم

٤٢٤

ذمه الله تعالى عليه ؟

أجيب : بأنه إنما ذمه عليه لقصور نظره على الأمور العاجلة ، والواجب عليه أن يكون شاكرا راضيا في كل حال.

وقوله تعالى : ﴿إلا المصلين﴾ استثناء للموصوفين بالصفات الآتية من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبل مضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق ، والإشفاق على الخلق ، والإيمان بالجزاء ، والخوف من العقوبة ، وكسر الشهوة ، وإيثار العاجل على الآجل ، وتلك ناشئة عن الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها ﴿الذين هم﴾ أي : بكلية ضمائرهم وظواهرهم ﴿على صلاتهم﴾ أي : التي هي معظم دينهم وهي النافعة لهم لا لغيرهم بما أفادته الإضافة ، والمراد الجنس الشامل لجميع الأنواع إلا أن معظم المقصود الفرض ، ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله تعالى : ﴿دائمون﴾ أي : لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها ، وقال عقبة بن عامر : هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا ، والدائم : الساكن ، ومنه نهي عن البول في الماء الدائم ، أي : الساكن. وقال ابن جريج والحسن : هم الذين يكثرون فعل التطوع منها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٢٤

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿على صلاتهم دائمون﴾ وقال تعالى في موضع آخر : ﴿على صلواتهم يحافظون﴾ (الأنعام : ٩٢)

؟

أجيب : بأن دوامهم عليها أن لا يتركوها في وقت ، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى تأتي على أكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها ، والإتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة ، وفي تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة ، وأن لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، وأن يكون حاضر القلب فاهما للأذكار

، مطلعا على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول أوقات الصلاة.

ولما ذكر تعالى زكاة الروح أتبعه زكاة عديلها ، فقال تعالى مبينا للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو : ﴿والذين في أموالهم﴾ التي من الله سبحانه بها عليهم ﴿حق معلوم﴾ أي : من الزكوات وجميع النفقات الواجبة. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق ﴿للسائل﴾ أي : الذي يسأل ﴿والمحروم﴾ أي : الذي لا يسأل ، فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى بناره في ليله ونهاره ، ولا مفزع له بعد ربه المالك لعلانيته وسره إلا إلى إفاضة مدامعه بذلة وانكسار ، وهذا من الله تعالى حث على تفقد أرباب الضرورات ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى ، وقد كان للسلف الصالح في هذا قصب السبق ، حكي عن زين العابدين أنه لما مات وجد في ظهره آثار سواد كأنها السيور ، فعجبوا منها فقال بعد موته نسوة أرامل : كان شخص يأتي إلينا ليلا بقرب الماء على ظهره وأجربة الدقيق ففقدناه واحتجنا ، فعلموا أنه هو وأن تلك السيور من ذلك ، وحكي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أن شخصا رآه ماشيا في زمن خلافته في الليل فتبعه ، فجاء إلى بيت نسوة أرامل فقال : أعندكن ماء وإلا املأ لكن ، فأعطينه جرة فأخذها

٤٢٥

وذهب فملأها على كتفه وأتى بها إليهن. والحكايات عنهم في هذا كثيرة.

﴿والذين يصدقون﴾ أي : يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويجددونه كل وقت ﴿بيوم الدين﴾ أي : الجزاء الذي ما مثله يوم وهو يوم القيامة الذي يقع الحساب فيه على النقير والقمطير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالأعمال الصالحة ، فالذين يعلمون لذلك اليوم هم العمال ، وأما المصدقون بمجرد الأقوال فلهم الوبال وإن أنفقوا أمثال الجبال.

﴿والذين هم﴾ أي : بجميع ضمائرهم وظواهرهم ﴿من عذاب ربهم﴾ أي : المحسن إليهم لا من عذاب غيره فإن المحسن أولى بأن يخشى ولو من قطع إحسانه ﴿مشفقون﴾ أي : خائفون في هذه الدار خوفا عظيما هو في غاية الثبات من أن يعذبهم في الآخرة أو في الدنيا أو فيهما ، فهم لذلك لا يفعلون إلا ما يرضيه سبحانه.

﴾

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٢٤

إن عذاب ربهم﴾ أي : الذي هم مغمورون بإحسانه وهم عارفون بأنه قادر على الانتقام ولو بقطع الإحسان ﴿غير مأمون﴾ أي : لا ينبغي لأحد أن يأمنه بل يجوز أن يحل به وإن بالغ في الطاعة ؛ لأن الملك مالك وهو تام الملك ، له أن يفعل ما شاء ، ومن جوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته غاية الإبعاد ولم يزل مترجحا بين

الخوف والرجاء.". (١)

٤٧-"﴿ ١٩٠ - ١٩٤ ﴾ ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار * ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ .

يخبر تعالى: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿ آيات ﴾ ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على **تعلق القلب** بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم. ثم وصف أولي الألباب بأنهم ﴿ يذكرون الله ﴾ في جميع أحوالهم: ﴿ قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم ﴿ يتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا، فيقولون: ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار.

---

(١) تفسير السراج المنير - موافق للمطبوع ٤/٢٧٩

ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه.

﴿ فآمنا ﴾ أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم بالإيمان، سيمن عليهم بالأمان التام.

﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات.

ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز [ص ١٦٢] برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم، فلهذا قال:". (١)

٤٨-"﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ .

﴿ و ﴾ كذلك لقد تاب الله ﴿ على الثلاثة الذين خلفوا ﴾ عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة، وهم: "كعب بن مالك" وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن.

﴿ حتى إذا ﴾ حزنوا حزنا عظيما، و ﴿ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ أي: على سعتها ورحبها ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء.

﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا

---

(١) تفسير السعدي ص/١٦١

الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة.

﴿ ثم تاب عليهم ﴾ أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها ﴿ ليتوبوا ﴾ أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، ﴿ إن الله هو التواب ﴾ أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، ﴿ الرحيم ﴾ وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.

وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا **تعلق القلب** بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين.

ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿ خلفوا ﴾ إشارة إلى أن المؤمنين [ص ٣٥٥] خلفوهم، [أو خلفوا عن من بت في قبول عذرهم، أو في رده] (١) وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا".

ومنها: أن الله تعالى من عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالاقتداء بهم فقال:

---

(١) زيادة من هامش ب.". (١)

٤٩-"﴿ ٢٨ ﴾ ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ .

يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي -أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا

---

(١) تفسير السعدي ص/٣٥٤

فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى.

﴿ ولا تعد عيناك عنهم ﴾ أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك.

﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب **تعلق القلب** بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ولهذا قال: ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره.

﴿ واتبع هواه ﴾ أي: صار تبعا لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، كما قال تعالى: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ﴾ الآية.

﴿ وكان أمره ﴾ أي: مصالح دينه ودنياه ﴿ فرطا ﴾ أي: ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماما، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام. وفي الآية، استحباب الذكر والدعاء والعبادة طرفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه.". (١)

٥٠-"﴿ ١ - ٦ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾ .

أي: هذا ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ سنقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة، فإن في قصها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته لأوليائه، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره ومعرفته، والسبب الموصل إليه.

---

(١) تفسير السعدي ص/٤٧٥

وذلك أن الله تعالى اجتبى واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا، فقال: ﴿ رب إني وهن العظم مني ﴾

أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، **وتعلق القلب** بحول الله وقوته.

﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴾ أي: لم تكن يا رب تردني خائبا ولا محروما من الإجابة، بل لم تزل بي حفيا ولدعائي مجيبا، ولم تزل ألطافك تتوالى علي، وإحسانك واصلا إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقا، أن يتمم إحسانه لاحقا.

﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ أي: وإني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عليه السلام ونصحه، وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين [ص ٤٩٠] من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر، أي ليست تلد أصلا وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد.

﴿ فهب لي من لدنك وليا ﴾ وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾

أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولدا، ذكرا، صالحا، يبق بعد موته، ويكون وليا من بعده، ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته فقال:". (١)

---

(١) تفسير السعدي ص/٤٨٩

٥١-"﴿ ١٩ ﴾ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ .

العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته (١) فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب **تعلق القلب** به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما -وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد -على تكرر الباطل والشبه- إلا نموا وكمالا.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

وقوله: ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب والعفو عن الجرائم.

﴿ و ﴾ استغفر أيضا ﴿ للمؤمنين والمؤمنات ﴾ فإنهم -بسبب إيمانهم- كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة. ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما [ص ٧٨٨] يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساويهم ومعايبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

﴿ والله يعلم متقلبكم ﴾ أي: تصرفاتكم وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، ﴿ ومثواكم ﴾ الذي به تستقرون، فهو يعلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

---

(١) في ب: وجلاله.". (١)

٥٢-"

إننا نجد أن صيغة الجمع موجودة في قوله الحق: ﴿ فيه آيات ﴾ و ﴿ بينات ﴾ وهي وصف الجميع. وبعد ذلك قال الحق: ﴿ مقام إبراهيم ﴾ إنه سبحانه لم يذكر إلا مقام إبراهيم بعد الآيات، والمقام آية واحدة، وهذا يدل على أن مقام إبراهيم فيه الآيات البينات، ونحن نقرأ ﴿ مقام إبراهيم ﴾ بفتح الميم الأولى في كلمة " مقام " ولا ننطقها " مقام " بضم الميم الأولى لأن المقام بضم الميم تعني مكان إقامة إبراهيم، أما مقام بفتح الميم فمكان القيام، لماذا كان قيام إبراهيم عليه السلام؟

لقد كان إبراهيم يقوم ليرفع قواعد البيت الحرام، وكان إبراهيم يقوم على " حجر ". وعندما ننظر إلى مقام إبراهيم فإنك تجد فيه كل الآيات البينات؛ لأن الله طلب من إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعد البيت، وكان يكفيه حين يرفع قواعد البيت أن يعطيه الارتفاع الذي يؤديه طول يديه، وبذلك يكون إبراهيم عليه

---

(١) تفسير السعدي ص/٧٨٧

السلام قد أدى مطلوب الله – كما قلنا من قبل – لكن إبراهيم عليه السلام تعود مع الله أن يؤدي كل تكليفات الله بعشق وحب وإكمال وإتمام، فقال إبراهيم في نفسه: " ولماذا لا أرفع البيت أكثر مما تطول يداي؟ " ولم تكن هناك في ذلك الزمن القديم فكرة " السقالات " ، ولم يكن مع إبراهيم عليه السلام إلا ابنه إسماعيل. وأحضر إبراهيم عليه السلام حجرا، ووقف عليه؛ ليرفع القواعد قدر الحجر.

إذن فإبراهيم خليل الرحمن أراد أن ينفذ أمر الله بالرفع للقواعد لا بقدر الاستطالة البدنية فقط، ولكن بقدر الاحتيال على أن يرفع القواعد فوق ما يطلبه الله، وهذا معنى قول الله عن إبراهيم عليه السلام:﴿ وإذ ابتلا إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾[البقرة: ١٢٤]

أي أنه أدى مطلوب الله أداء كاملا، ولا أدل على هذا الأداء الكامل من أنه أتى بحجر ليقف عليه ليزيد من ارتفاع البيت قدر هذا الحجر. ونعرف أن الذي ساعده وشاركه في رفع القواعد هو ابنه إسماعيل. ومن أكرمه الله برؤية مقام إبراهيم يجد أن الحجر يسع وقوف إنسان واحد، وهكذا نفهم أن إسماعيل كان يساعد ويناول والده الأحجار، أما مكان الأقدام الموجودة في هذا الحجر، فهذا يعني أن إبراهيم عندما كان يقف ويحمل حجرا من المفروض أن يحمله اثنان فإن هذا يتطلب ثبات القدمين في مكان آمن حتى لا يقع.

فهل يا ترى أن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته ساعة رأى إبراهيم يحتال هذه الحيلة قال لخليله: سأكفيك مؤنة ذلك. وجعل الحق القدمين تغوصان في الحجر غوصا يسندهما حتى لا تقعا.

والذي لا يتسع ذهنه إلى أن الله ألان لإبراهيم الحجر، نقول له: إن إبراهيم قد احتال، وخاف أن تزل قدمه، فنحت مكانا في الحجر على قدر قدمه حتى تثبت قدمه حين يحمل ويرفع الحجر، وهذه آيات بينات. فخذ ما يتسع ذهنك وفهمك له، إن الله أعان إبراهيم لأنه فكر أن يبني القواعد ويرفعها أكثر مما تطول يداه، وقد مكن الله له في ذلك وأعانه عليه، ونحن نعلم أن الهداية تكون هداية الدلالة وهداية المعونة.﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾[محمد: ١٧]

﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ ، والآيات هي الأمور العجيبة، وعندما تراها فإنك لا تستطيع أن تنكرها. ودخول البيت يعني الأمن للإنسان الذي يدخله، ونحن نعلم أن البيت قد تم بناؤه في هذا المكان. وهذا المكان تجتمع فيه القبائل، وبين بعض هذه القبائل ثارات ودماء وحروب، لذلك يبين الله الوضع الذي بمقتضاه تحقن الدماء ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ لماذا؟ لأنه بيت الرب ولا يصح أن

يدخل واحد بيت الرب ويعاقب حتى ولو كان قد أجرم جرما يوجب الله عليه الحد فيه. ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه: لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب – والده لم أتعرض له.

ولكن يضيق الخناق على المجرم حتى يخرج. وهذا الأمن محدد بأي أمر اقترفه في دنياه، أما من دخله كان آمنا يوم القيامة فالحكم فيه شيء آخر، إنها درجة عالية من فضل الله، والآيات البينات الواضحة في البيت الحرام يراها من زار البيت الحرام، وليحقق الله أمل كل راغب في زيارة البيت الحرام، وأن يكرر الزيارة لمن ذهب وأراد أن يعود للزيارة مرة أخرى. فساعة تدخل البيت الحرام فأنت هنا تتجه إلى مكان في البيت والمقابل لك في الكرة الأرضية يتجه إلى المكان المقابل، إلى أن تصير الاتجاهات مشتملة على الكعبة كلها. ونحن عندما نكون في الكعبة فإننا نوجه وجوهنا إلى المبنى لأننا نراها، ونحن نوجه الوجوه إلى المبنى المقطوع بأنه منها، والحطيم، وهو القوس المبنى حول حجر إسماعيل، هو من الكعبة أيضا، ولكن النفقة قصرت، فجعلوه ليحدد مكان الكعبة، فظل هكذا، فإذا غاب الإنسان عن الكعبة واتجه إليها فإنه يكفي أن يتجه إلى جهتها.

ولذلك نجد الصفوف في الصلاة حول الكعبة تتخذ شكل الدائرة؛ لأن الذين يصلون في داخل الحرم يشاهدونها، أما الذين يصلون خارجها فيكفي أن يتجهوا إلى جهتها ولو طال الصف إلى ألف متر، لذلك فالصف للمصلين خارج الحرم يكون معتدلا، أما في داخل الحرم فالصفوف تأخذ شكل الدائرة لأن أقصى بعد في الكعبة هو اثنا عشر مترا وربع المتر، ونجد من الآيات العجيبة أنك إذا ما نظرت إلى الحجر الأسود تجد الناس تتهافت على تقبيله، والحجر يمثل أدنى أجناس الكون، ونعلم جميعا أن الإنسان مستخلف كسيد في الكون، ومن بعده الحيوان أقل منه في الفكر ومسخر، ومن بعد الحيوان يكون جنس النبات، ومن بعد ذلك يأتي جنس الجماد ومنه الحجر.

إننا نرى هذا الإنسان السيد في الكون لا يقبل الله منه النسك القبول التام الحسن إلا إذا قبل الحجر، أو حياه، وهكذا ينقل الحق أعلى الأجناس إلى أدناها. والناس تزدحم حول الحجر، ومن لم يقبل الحجر يحس أنه افتقد شيئا كثيرا، وهكذا ترى استطراقا وسلوكا من الخلق إلى باب الله، فالإنسان المتكبر الذي يتوهم أنه سيد على غيره، يأتي إليه أمر في النسك بتقبيل الحجر أو تحيته بالسلام، وهذا الإنسان برغم أن الحق – سبحانه – يقبل منه أن يحيي الحجر الأسود بالسلام ولم يفرض عليه أن يقبله ولكنه مع ذلك يحاول أن يقبل الحجر، وهو أدنى الأجناس، لأن الله قد عظمه، وهذا أول كسر لأنف غرور الإنسان، وحتى لا يظن ظان أنها حجرية أو وثنية، يأتي الأمر من الحق برجم حجر آخر.

إذن فالحجرية لا ملحظ لها هنا، فنحن نجد حجرا يقدس، وحجرا آخر يرجم. نجد حجرا يقبله الإنسان ويعظمه وحجرا آخر يزدريه ويحقره. وذلك يدل على رضوخنا لإرادة الآمر سبحانه وتعالى فقط، فعندما يأمرنا بأن نعظم حجرا فالمؤمن يؤدي حق التعظيم بالسمع والطاعة، وعندما يأمرنا سبحانه برجم حجر آخر، فالمؤمن يرجم هذا الحجر بالسمع والطاعة لله أيضا، فالذاتية الحجرية لا دخل لها على الإطلاق. وبعض من أصحاب الظن السيء قالوا: إن الإسلام قد استبقى بعض الوثنية.

ولهؤلاء نقول: ولماذا تذكرون تعظيم الحجر الأسود، ولم تذكروا رجم إبليس وهو ثلاثة أحجار؟ لقد عظم المؤمن المؤدي للنسك حجرا واحدا ورجم ثلاثة أحجار، إن المؤمن إنما يطيع أمر الله، فليست للحجر أي ذاتية في النسك أو العبادة. لقد رفعنا الحق من حضيض عبادة الأصنام التي هي عين الكفر، لكنه قال لنا: " قبلوا الحجر الأسود " فقد قبلنا الحجر احتراما لأمر الآمر، وذلك هو منتهى اليقين. لقد نقلنا الحق من مساو إلى مساو، من عبادة الحجر إلى تعظيم وتقديس حجر مثله، لكن الأصنام كانت منتهى الشرك، وتقبيل الحجر الأسود منتهى اليقين. أليست هذه آيات بينات؟

وزمزم التي توجد في حضن الكعبة، أليست آيات بينات؟ إن " هاجر " تترك الكعبة وتروح إلى " الصفا " وتصعد إلى " المروة " بعد أن تضع " إسماعيل " بجانب الكعبة، وتدور بحثا عن المياه. وسعت هاجر سبعة أشواط لعلها ترى طيرا أو تجد إنسانا يعرف طريق المياه لان ابنها يحتاج إلى الشرب، ولو أنها وجدت على الصفا أو المروة مياها في أول سعيها أكانت تجد تصديقا لقولها لإبراهيم عندما جاء بها للإقامة في هذا المكان " إن الله لا يضيعنا " إنها سعت.

وكأن الله يقول لها ولكل إنسان: عليك بالسعي، ولكن لن أعطيك من السعي، إنما أعطيك الماء تحت رجل إسماعيل. إذن فصدقت في قولها: لن يضيعنا الله، لقد جعلها الحق سبحانه تسعى سبعة أشواط، ولا يمكن لامرأة في مثل عمرها أن تقدر على أكثر من ذلك، وهذا يعلمنا أن الإنسان عليه أن يباشر الأسباب، ولكن القلب عليه أن يتعلق بمسبب الأسباب، وهو الله سبحانه، وفي هذا ما يعدل سلوك الناس جميعا. فساعة يرى الإنسان أن البئر مكان قدم إسماعيل وعلى البعد تكون الصفا والمروة، وتسعى بينهما، وبعد ذلك تجد زمزم مكان ضربة قدم إسماعيل، أليس في هذا آيات بينات تهدى الإنسان أن يباشر الأسباب ويأخذ بها، **ويتعلق القلب** بمسبب الأسباب؟

إن هذا يعطي المؤمن إيمانية التوكل، وهي تختلف عن الكسل و " بلادة التواكل " فإيمانية التوكل هي أن الجوارح تعمل، والقلوب تتوكل، أما الكسل عن الأخذ بالأسباب مع الادعاء بالتوكل فهذه بلادة، ومثل

هذا الكسول المتواكل عندما يأتي الأكل أمامه يأكل بنهم وشره، ولو كان صادقا لترك اللقمة تقفز إلى فمه، ولماذا يمضغها إذن؟ لماذا يختار التواكل والكسل، وعدم العمل، ثم يمد يده ليأكل؟ إن هذه هي " صفات التواكل ".

إننا نأخذ من سعي " هاجر " وتفجر الماء عبرة، هي الأخذ بأسباب الله، وبعد ذلك فإننا نجد كل إنسان في البيت الحرام مشغولا بنفسه مع ربه، ومن فرط انشغاله يكون غافلا عمن يكون معه، ولو كان أحب إنسان له فإنه لا يدري به. وساعة تدخل وتنظر إلى الكعبة ينفض من عقلك كل فكر في أي شيء من الأشياء، لا تذكر أولادك أو مالك، لكنك بعد أن تفرغ من المناسك تعود للتفكير في أولادك وعملك، وإلا لو ظل حبك وشوقك وتعلقك ومواجيدك بهذه البقعة لضاق المكان بالناس جميعا. بعد ذلك يقول الحق سبحانه عن البيت الحرام: ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾. وهنا يجب أن نفهم أن هناك فارقا بين أن يكون " الخبر " تاريخا للواقع، وبين أن يكون " الخبر " خبرا تكليفيا فلو كان ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ تاريخا للواقع لتم نقض ذلك بأشياء كثيرة، فقد وجد فيه قوم ولم يأمنوا.

ونحن نعرف حادث الاعتداء الأخير الذي حاوله جهيمان منذ سنوات قال الناس: إن جهيمان عندما اعتدى على الناس، لم يستطع حجيج بيت الرحمن أن يكونوا آمنين في البيت وتساءل بعضهم، فكيف قال الحق: ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾؟ بل قال بعض أهل الانحراف: إذن مسألة دخول جهيمان إلى البيت الحرام تجعل ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ ليست صادقة! ولهؤلاء نقول:

إن هناك فرقا بين إخبار الحق بواقع قد حدث، وبين إخبار بتكليف.

إن الإخبار بالواقع كان معناه ألا يدخل أحد البيت الحرام ويهيجه أو يهاجمه أحد أبدا، ولكن الإخبار التكليفي معناه: أن يخبر الله بخبر ويقصد به تكليف خلقه به، والتكليف كما نعرف عرضة لأن يطاع، وعرضة لأن يعصى، فإذا قال الله سبحانه: ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ فهذا معناه: يأيها المؤمنون، من دخل البيت الحرام فأمنوه. ونضرب المثل – ولله المثل الأعلى – تقول أنت لولدك: يا بني هذا بيت يفتح للضيوف من دخله يكرم. أهذا يدل على إنجاز الإكرام لكل من دخل هذا البيت وحصوله له بالفعل وأن هذا لا يتخلف أبدا أم أنك قلت الخبر وتريد لولدك أن ينفذه؟

إن هذا خبر يحمل أمرا لابنك هو ضرورة إكرام من يدخل هذا البيت، وتلك الوصية عرضة لتطاع وعرضة لأن تخالف، لذلك فنحن نفهم من قول الحق: ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ على أساس أنها أمر تكليفي،

عرضة للطاعة وللعصيان، ومثال آخر على ذلك هو قول الله تعالى:﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[النور: ٢٦]

بعض الناس يقول: نجد واقع الحياة غير ذلك، حيث نجد امرأة طيبة تقع في عصمة رجل غير طيب وتتزوجه. ونجد رجلا طيبا يقع مع امرأة غير طيبة ويتزوجها، فكيف يقول الله ذلك؟ ونحن نرد على أصحاب هذا القول: إن الله لم يقل ذلك تأريخا للواقع. ولكنه أمر تكليفي. أي افعلوا ذلك، وحكمي وتكليفي أن يكون الطيبات للطيبين والطيبون يكونون للطيبات. فإذا امتثل الخلق أمر الحق فعليهم أن يفعلوا ذلك، وإن لم يمتثل بعض الخلق لأمر الحق فإن الواقع بنبيء بحدوث وجود طيبين لغير طيبات أو العكس.

إذن فقول الحق: ﴾ ومن دخله كان آمنا ﴿ هو خبر يراد به أمر تكليفي، فمن أراد أن يكون صادقا فيما كلفه الله به فليؤمن من دخل البيت الحرام. وبعد ذلك يقول الحق سبحانه:

﴾ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴿ [آل عمران: ٩٧]

وحين تسمع " لـ " و " على " ، فافهم أن الفائدة تقع على ما دخلت عليه " اللام " ، والتبعة تقع على ما دخلت عليه " على ". فحين نقول:: " لفلان على فلان كذا " فالنفعية لفلان الأول والتبعة على فلان الثاني. وحين يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴾ ولله على الناس حج البيت ﴿. فعلى هذا فالنفعية هنا تكون لله، والتبعة هنا تكون على الناس، لكن لو فطنا إلى سر العبارة لوجدنا أن الله لا ينتفع بشيء من تكليفه لنا، فالحج لله، ولكنه يعود إليك، فما لله عاد إليك، وما عليك عاد لك.

وكل تكليف عليك فأثره لك، فإياك أن تفهم من ذلك القول الكريم: ﴾ ولله على الناس حج البيت ﴿ أن اللام الأولى للنفعية، وإياك أن تفهم أن " على " هي للتبعة، نعم إن الحج لله، ولكن الفائدة لا تعود إلا عليك، وهو تكليف عليك، وفائدته تعود عليك، فالحق سبحانه وتعالى منزه عن أن يفيد من حكم من أحكامه، وهو سبحانه حين ينزل حكما تكليفيا فعلى العبد المؤمن أن يعرف أن فائدة الحكم عائدة عليه وعلى حياته، ولله يكون القصد والحج، لا لشيء سواه.

ولماذا يقول الحق: إن على العبد المؤمن أن يحج البيت الحرام؟ لأنه الخالق وهو خبير وعليم بأن التكليف شاق على النفس، ولكن على المؤمن المكلف حين يجد تكليفا شاقا عليه أن ينظر إلى الفائدة العائدة من هذا الحكم، فإن نظر إلى الفائدة من الحكم وجد أنها تعود عليه، ولذلك يسهل على العبد المؤمن أمر الطاعة. والذي لا يقبل على الطاعة ويهمل الجزاء عليها ويغفل عنه. تكون الطاعة شاقة عليه. والذي يقبل على

المعصية ويهمل الجزاء عليها تكون المعصية هينة عليه. ولكن الطائع لو استحضر غاية الطاعة لعلم أنها له لا عليه.

ولو أن العاصي استحضر العذاب على المعصية لعلم أنها عليه لا له؛ فالعاصي قد يحقق لنفسه شهوة، لكنها شهوة عاجلة، أمدها قصير، ولو استحضر العاصي العقوبة على المعصية وقت عملها ما أقدم على معصيته أبدا. ولكن الذين يرتكبون المعصية ينظرون إلى الشهوة الطارئة، ويعزلون جزاء المعصية عنها، ولو أنصفوا أنفسهم، لا يستحضروا العقاب على المعصية في وقت الرغبة في ارتكابها. وحين يستحضرون جزاء المعصية مع المعصية فإن شهوة المعصية تنتهي منهم، وأضرب هذا المثل دائما عن أعنف غرائز الإنسان وهي غريزة الجنس.

هب أن هناك واحدا رأى فتاة جميلة ثم أراد أن ينالها نقول لهذا المتشرد جنسيا: استحضر العذاب على هذا العمل، وإن أخذت هذه الفتاة فتعال لنريك بعينيك ما أعده الله لك حين تتمتع بهذه الفتاة خارجا عن شرع الله، وأوقد له فرنا مسجورا ومحميا، وقل له: في مثل هذا ستدخل بل وأشد منه إن نلت من الفتاة.

أيقبل هذا المتشرد على ارتكاب تلك المعصية؟ لا؛ فشهوة المعصية تضيع عندما يستحضر العذاب عليها. إن الحق سبحانه يقول: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ والسبيل هو الطريق الموصل للغاية، والطريق الموصل للغاية عادة ما يكون مطروقا، وعندما يتجه الإنسان لأداء فريضة الحج فهو طارق للطريق، أي سيسير عليه، هكذا تعرف أن هناك ثلاثة أشياء:

طارق، وهو من كتب الله عليه الحج وهو المكلف.

وسبيل مطروق.

وغاية، وهي حج البيت.

وما دام الطارق سيسلك طريقا فلا بد أن يكون عنده قدرة على أن يسلك هذا الطريق فكيف تتأتى هذه القدرة؟ إن أول شيء في القدرة هو الزاد، وثاني شيء في القدرة هو المطية التي يركبها، وهكذا نتبين أننا نحتاج إلى زاد وراحلة لطارق الحج.

والسبيل الذي يطرقه، أيكون محفوفا بالمخاطر؟ لا، بل يفترض أن يكون السبيل آمنا. إذن فالاستطاعة تلزمها ثلاث حاجات، هي: الزاد، والراحلة، وأمن الطريق. والزاد عادة يخص الإنسان نفسه، ولكن ماذا يكون الحال إن كان الإنسان يعول أسرة وصغارا؟

إذا كان الإنسان على هذا الحال فمن الاستطاعة أن يكون قد ترك زادا لمن يعولهم إلى أن يعود. وعلينا أن ننتبه إلى أن الله قال في كل تكليف: ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم ﴾. ولكنه سبحانه جاء في فريضة الحج بالقول الواضح، بأن الحج لله على الناس وليس لمن أسلموا فقط، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا أهل الكتاب الذين كانوا يتمحكون في إبراهيم عليه السلام أن يحجوا البيت الحرام، فامتنعوا عن الحج، ولو كان الحج للمسلمين المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى أن يحجوا ليكون ذلك جمعا لهم على أن يتجه الخلق جميعا إلى بيت الله ويعبدوا إلها واحدا هو رب هذا البيت، ولكنهم امتنعوا عن الحج. ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن لم يحج بدون مرض حابس، أو سلطان جائر، أو فقر وعوز، يقول في الحديث الشريف:

عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ ".

ولذلك نجد التكليف بالحج قد اتبع مباشرة بقول الحق: ﴿ ومن كفر ﴾ فهل يقع من لا يحج بدون مانع قاهر في الكفر؟ هنا يقف العلماء وقفة. العلماء يقولون: نعم إنه يدخل في الكفر، لماذا؟ لأن الكفر عند العلماء نوعان كفر بالله، أو كفر بنعمة الله، ومثال ذلك قوله – جل شأنه –:﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾[النحل: ١١٢]

أو هو الكفر، كأن يموت الإنسان يهوديا أو نصرانيا، وهنا نقول: انتبه، لا تأخذ الحكم من زاوية وتترك الزاوية الأخرى. إن المسألة التكليفية يوضحها الحق بقوله: ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾. فهل تعارضون في هذا التكليف؟ أو تؤمنون به ولكن لا تنفذونه؟

إن القضية التكليفية الإيمانية هي ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ فهل أنت مؤمن بها أو لا؟ سنجد الإجابة من كل المؤمنين بـ " نعم ".

ولكن الموقف يختلف من مؤمن إلى آخر؛ فنحن نجد مؤمنا يحرص على أداء الحكم من الله، وهو الطائع، ونجد مؤمنا آخر قد لا يحرص على أداء الحكم فيصبح عاصيا.

ونجد في هذا الموقف أن الكفر نوعان، هناك من يكفر بحكم الحج، أي من كفر في الاعتقاد بأن لله على الناس حج البيت، وهذا كافر حقا، لكن هناك نوع آخر وهو الذي يرتكب معصية الكفران بالنعمة؛

لأن الله أعطاه الاستطاعة من زاد، ومن راحلة، ومن أمن طريق، ومن قدرة على زاد يكفي من يعولهم إلى أن يعود، وهنا كان يجب على مثل هذا الإنسان أن يسعى إلى الحج. لذلك قال بعض العارفين لو أن أحدهم أخبر بأن له ميراثا بمكة لذهب إليه حبوا.

إذن فقوله تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ هي قضية إيمانية، فمن اعتقدها يبرأ من الكفر، ومن خالفها وأنكرها فهو في الكفر. ومن قام بالحج فهو طائع، ومن لم يفعل وهو مؤمن بالحج فهو عاص.

ولننظر إلى دقة الأداء القرآني حين يقول الحق: ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾. قد يقول قائل: ولماذا لم يقل الله: ومن كفر فإن الله غني عنه؟ وقال: ﴿ فإن الله غني عن العالمين ﴾؟ ونقول: إن الله غني عن كل مخلوقاته، وإياك أن تفهم أن الذي لم يكفر وآمن، وأدى ما عليه من تكليف، أنه عمل منفعة لله؛ إن الله غني عن الذي أدى وعن الذي لم يؤد، إياك أن تظن أن من أدى قد صنع لله معروفا، أو قدم لله يدا؛ ﴿ فإن الله غني عن العالمين ﴾ عمن لا يفعل، وعمن يفعل. وبعد ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿ قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله... ﴾

". (١)

٥٣-"خلافا للفقراء (١).

أما إن الحج دون تجارة أفضل، لعروها (٢) عن شوائب الدنيا **وتعلق القلب** بغيرها.

روى الدارقطني في سننه عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر: إني رجل أكرى في هذا الوجه، وإن ناسا يقولون: إنه لا حج لك.

فقال ابن عمر: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله مثل هذا الذي سألتني، فسكت حتى نزلت هذه الاية: " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لك حجا).

قوله تعالى: " فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين " فيه ست (٣) عشرة مسألة.

الاولى - قوله تعالى: " فإذا أفضتم " أي أندفعتم.

ويقال: فاض الاناء إذا امتلا حتى ينصب عن نواحيه.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٤٨٨

ورجل فياض، أي مندفق بالعطاء.

قال زهير: وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله (٤) وحديث مستفيض، أي شائع.

الثانية - قوله تعالى: " من عرفات " قراءة الجماعة " عرفات " بالتنوين، وكذلك لو سميت امرأة بمسلمات، لان التنوين هنا ليس فرقا بين ما ينصرف وما لا ينصرف فتحذفه، وإنما هو بمنزلة النون في مسلمين.

قال النحاس: هذا الجيد.

وحكى سيبويه عن العرب حذف التنوين من عرفات، يقول: هذه عرفات يا هذا، ورأيت عرفات يا هذا، بكسر التاء وبغير تنوين، قال: لما جعلوها معرفة حذفوا التنوين.

وحكى الاخفش والكوفيون فتح التاء، تشبيها بتاء فاطمة وطلحة.

وأنشدوا: تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال والقول الاول أحسن، وأن التنوين فيه على حده في مسلمات، الكسرة مقابلة الياء في مسلمين والتنوين مقابل النون.

وعرفات: اسم علم، سمي بجمع كأذرعات.

وقيل: سمي

---

(١) لعله يريد بالفقراء الصوفية.

(٢) كذا في نسخ الاصل.

ومقتضى الظاهر تذكير الضمير لعوده إلى الحج، ولعله يريد بالتأثيث هنا: الحج بمعنى العبادة.

(٣) يلاحظ أن الاصول اضطربت في العدد هنا.

(٤) الفياض: الكثير العطاء.

المعنفون: الطالبون ما عنده.

يقال: عفاه واعتفاه إذا أتاه يطلب معروفة.

ماتغب فواضله: أي عطاياه دائمة لا تنقطع.

(*)".(١)

---

(١) تفسير القرطبي ٤١٤/٢

٥٤-"وقرأ علقمة وغيره من أصحاب ابن مسعود " عائلة " وهو مصدر كالقائلة من قال يقيل.

وكالعافية.

ويحتمل أن يكون نعتا لمحذوف تقديره: حالا عائلة، ومعناه خصلة شاقة.

يقال منه: عالني الامر يعولني: أي شق علي واشتد.

وحكى الطبري أنه يقال: عال يعول إذا افتقر.

السادسة - في هذه الآية دليل على أن **تعلق القلب** بالاسباب في الرزق جائز وليس ذلك بمناف للتوكل وإن كان الرزق مقدرا وأمر الله وقسمه مفعولا ولكنه علقه بالاسباب حكمة ليعلم القلوب التي تتعلق بالاسباب من القلوب التي تتوكل على رب الارباب.

وقد تقدم أن السبب لا ينافي التوكل.

قال صلى الله عليه وسلم: (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) (١).

أخرجه البخاري.

فأخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق.

ابن العربي: ولكن شيوخ الصوفية قالوا: إنما يغدو ويروح في الطاعات فهو [السبب] (٢) الذي يجلب الرزق ".

قالوا: والدليل عليه أمران: أحدهما - قوله تعالى: " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك " (٣) [طه: ١٣٢] الثاني - قوله تعالى: " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " (٤) [فاطر: ١٠].

فليس ينزل الرزق من محله، وهو السماء، إلا ما يصعد وهو الذكر الطيب والعمل الصالح وليس بالسعي في الارض فإنه ليس فيها رزق.

والصحيح ما أحكمته السنة عند فقهاء الظاهر وهو العمل بالاسباب الدنيوية من الحرث والتجارة في الاسواق والعمارة

للاموال وغرس الثمار.

وقد كانت الصحابة تفعل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهر هم.

قال أبو الحسن بن بطال: أمر الله سبحانه عباده بالانفاق من طيبات ما كسبوا، إلى غير ذلك من الآي.

وقال: " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه " (٥) [البقرة: ١٧٣].

فأحل للمضطر

---

(١) الخمص والمخمصة: الجوع.

والبطنة: امتلاء البطن من الطعام.

أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشية وهي ممتلئة الاجواف.

(٢) زيادة عن ابن العربي.

(٣) راجع ج ١١ ص ٢٦٣.

(٤) راجع ص ١٠٤ من هذا الجزء.

(٥) راجع ج ٢ ص ٢١٦.

(*)".(١)

٥٥-"خلافا للفقراء «١». أما إن الحج دون تجارة أفضل، لعروها «٢» عن شوائب الدنيا وتعلق القلب بغيرها. روى الدارقطني في سننه عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر: إني رجل أكري في هذا الوجه، وإن ناسا يقولون: إنه لا حج لك. فقال ابن عمر: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله مثل هذا الذي سألتني، فسكت حتى نزلت هذه الآية:" ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لك حجا). قوله تعالى:" فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين" فيه ست «٣» عشرة مسألة. الأولى- قوله تعالى:" فإذا أفضتم" أي اندفعتم. ويقال: فاض الإناء إذا امتلأ حتى ينصب عن نواحيه. ورجل فياض، أي مندفق بالعطاء. قال زهير:

وأبيض فياض يداه غمامة ... على معتفيه ما تغب فواضله «٤»

وحديث مستفيض، أي شائع. الثانية- قوله تعالى:" من عرفات" قراءة الجماعة" عرفات" بالتنوين، وكذلك لو سميت امرأة بمسلمات، لأن التنوين هنا ليس فرقا بين ما ينصرف وما لا ينصرف فتحذفه، وإنما هو بمنزلة النون في مسلمين. قال النحاس: هذا الجيد. وحكى سيبويه عن العرب حذف التنوين من عرفات، يقول:

---

(١) تفسير القرطبي ١٠٧/٨

هذه عرفات يا هذا، ورأيت عرفات يا هذا، بكسر التاء وبغير تنوين، قال: لما جعلوها معرفة حذفوا التنوين. وحكى الأخفش والكوفيون فتح التاء، تشبيها بتاء فاطمة وطلحة. وأنشدوا:

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عال

والقول الأول أحسن، وأن التنوين فيه على حده في مسلمات، الكسرة مقابلة الياء في مسلمين والتنوين مقابل النون. وعرفات: اسم علم، سمي بجمع كأذرعات. وقيل: سمي

---

(١). لعله يريد بالفقراء الصوفية.

(٢). كذا في نسخ الأصل. ومقتضى الظاهر تذكير الضمير لعوده إلى الحج، ولعله يريد بالتأنيث هنا: الحج بمعنى العبادة. [.....]

(٣). يلاحظ أن الأصول اضطربت في العدد هنا.

(٤). الفياض: الكثير العطاء. المعنفون: الطالبون ما عنده. يقال: عفاه واعتفاه إذا أتاه يطلب معروفة. ما تغب فواضله: أي عطاياه دائمة لا تنقطع.". (١)

٥٦-"وقرأ علقمة وغيره من أصحاب ابن مسعود" عائلة" وهو مصدر كالقائلة من قال يقيل. وكالعافية. ويحتمل أن يكون نعتا لمحذوف تقديره: حالا عائلة، ومعناه خصلة شاقة. يقال منه: عالني الأمر يعولني: أي شق علي واشتد. وحكى الطبري أنه يقال: عال يعول إذا افتقر. السادسة- في هذه الآية دليل على أن **تعلق القلب** بالأسباب في الرزق جائز وليس ذلك بمناف للتوكل وإن كان الرزق مقدرا وأمر الله وقسمه مفعولا ولكنه علقه بالأسباب حكمة ليعلم القلوب التي تتعلق بالأسباب من القلوب التي تتوكل على رب الأرباب. وقد تقدم أن السبب لا ينافي التوكل. قال صلى الله عليه وسلم: (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) «١». أخرجه البخاري. فأخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق. ابن العربي: ولكن شيوخ الصوفية قالوا: إنما يغدو ويروح في الطاعات فهو [السبب «٢»] الذي يجلب الرزق". قالوا: والدليل عليه أمران: أحدهما- قوله تعالى:" وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك" «٣» [طه: ١٣٢] الثاني- قوله تعالى:" إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" «٤» [فاطر: ١٠]. فليس ينزل الرزق من محله، وهو السماء، إلا ما يصعد وهو الذكر الطيب

---

(١) تفسير القرطبي ٤١٤/٢

والعمل الصالح وليس بالسعي في الأرض فإنه ليس فيها رزق. والصحيح ما أحكمته السنة عند فقهاء الظاهر وهو العمل بالأسباب الدنيوية من الحرث والتجارة في الأسواق والعمارة للأموال وغرس الثمار. وقد كانت الصحابة تفعل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهر هم. قال أبو الحسن بن بطال: أمر الله سبحانه عباده بالإنفاق من طيبات ما كسبوا، إلى غير ذلك من الآي. وقال:" فمن اضطر غير با غ ولا عاد فلا إثم عليه" «٥» [البقرة: ١٧٣]. فأحل للمضطر

---

(١). الخمص والمخمصة: الجوع. والبطنة: امتلاء البطن من الطعام. أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشية وهي ممتلئة الأجواف.

(٢). زيادة عن ابن العربي.

(٣). راجع ج ١١ ص ٢٦٣.

(٤). راجع ص ١٠٤ من هذا الجزء.

(٥). راجع ج ٢ ص ٢١٦.". (١)

٥٧-"قوله جل ذكره : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ .

شغل الخلق لأن الجنس أولى بالجنس . ولما أراد الحق- سبحانه - بقاء الجنس هيأ سبب التناسب والتناسل لاستيفاء مثل الأصل ، ثم من على البعض بخلق البنين ، وابتلى قوما بالبنات -كل بتقديره على ما يشاء .

قوله جل ذكره : ﴿ ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴾ .

والرزق الطيب لعبد ما تستطيبه نفسه ، ولآخر ما يستطيبه سره .

فمنهم من يستطيب مأكولا ومشروبا ، ومنهم من يستطيب خلوة وصفوة . . . إلى غير ذلك من الأرزاق .

﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾ ، وهو حسبان حصول شيء من الأغيار ، **وتعلق القلب** بهم استكفاء منهم أو استدفاعا لمحذور أو استجلابا لمحبوب .

﴿ وبنعمت الله هم يكفرون ﴾ والنعمة التي كفروا بها هي الثقة بالله ، وانتظار الفرج منه ، وحسن التوكل عليه

---

(١) تفسير القرطبي ١٠٧/٨

.". (١)

٥٨-"أحدها : قوله : ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ ، وتقدم تحريه في البقرة " وهذا البلد آمنا " ، ومسول الجعل التصيير.

قال الزمخشري : " فإن قلت : فرق بين قوله : ﴿اجعل هذا البلد آمنا﴾ وبين قوله ﴿هذا بلدا آمنا﴾ [البقرة : ١٢٦].

قلت : قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ، ولا يخافون ، في الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال : هو بلد مخوف فاجعله آمنا ".

قوله " واجنبني " ، يقال : جنبه شرا ، وأجنبه إياه ثلاثيا ، ورباعيا ، وهي لغة نجد وجنبه إياه مشددا ، وهي لغة الحجاز وهو المنع ، وأصله من الجانب.

وقال الراغب : " قوله تعالى : ﴿واجنبني وبني﴾ من جنبته عن كذا ، أي : أبعدته منه ، وقيل : من جنبت الفرس ، [كأنما] سأله أن يقوده عن جانب الشرك بألطاف منه وأسباب خفية ".

و " أن نعبد " على حذف الحرف ، أي : عن أن نعبد.

وقرأ الجحدري وعيسى الثقفي ـ رحمهما الله ـ " وأجنبني " بطقع الهمزة من " أجنب ".

قال بعضهم : يقال : جنبته الشيء ، وأجنبته تجنبا ، وأجنبته إجنابا ، بمعنى واحد.

فإن قيل : ههنا إشكال من وجوه : أحدهما : أن إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ دعا ربه أن يجعل مكة بلدا آمنا وقد خرب جماعة الكعبة ، وأغاروا على مكة.

وثانيها : أن الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ معصومون من عبادة الأصنام ، فما فائدة هذا الدعاء.

وثالثها : أن كثيرا من أبنائه عبدوا الأصنام ؛ لأن كفار قريش كانوا من أولاده وكانوا يعبدون الأصنام فأين الإجابة ؟ .

فالجواب عن الأول من وجهين : الأول : أنه نقل عن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه لما فرغ من بناء الكعبة دعا بأن يجعل الله الكعبة ، وتلك البلدة آمنة من الخراب.

والثاني : أن المراد جعل أهلها آمنين ، كقوله تعالى : ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف : ٨٢] والمراد أهلها ، وعلى هذا أكثر المفسرين ، وعلى هذا التقدير ، فالمراد بالأمن ما

(١) تفسير القشيري ٤/١٧٦

٣٩٣

اختصت به مكة من زيادة الأمن ، وهو أن من التجأ إلى مكة أمن ، وكان الناس مع شدة عداوتهم إذا التقوا بمكة لا يخاف بعضهم بعضا ، ولذلك أمن الوحش ، فإنهم يقربون إذا كانوا بمكة ويستوحشون من الناس إذا كاناو خارج مكة.

وعن الثاني قال الزجاج : معناه : ثبتني على اجتناب عبادتها ، كما قال : ﴿واجعلنا مسلمين لك﴾ [البقرة : ١٢٨] أي : ثبتنا على الإسلام.

ولقائل أن يقول : السؤال باق ، لأنه من المعلوم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ ثبت الأنبياء على الإسلام ، واجتناب عبادة الأصنام ، فما الفائدة من هذا السؤال ؟ .

قال ابن الخطيب : والصحيح عندي في الجواب وجهان : الأول : أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وإن كان يعلم أن الله ـ تعالى يصعمه من عبادة الأصنام ، إلا أنه ذكر ذلك للنفس وإظهارا للحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى في كل المطالب.

والثاني : أن الصوفية يقولون : إن الشرك نوعان : شرك ظاهر ، وهو الذي يقوله المشركون ، وشرك خفي ، وهو تعلق القلب بالأسباب الظاهرة.

والتوحيد هو أن يقطع نظره عن الوسائط ، وأن لا يرى متوسطا سوى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فيحتمل أن يكون قوله ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ المراد أن يعصمه عن هذا الشرط الخفي ، والله تعالى أعمل.

والجواب عن الثالث من وجوه : أحدها : قال الزمخشري : " قوله " وبني : أراد بنيه [من صلبه] ".

والفائدة في هذا الدعاء غير الفائدة التي ذكرناها في قوله : " واجنبني وبني ".

وثانيها : قال بعضهم : أراد من أولاده ، وأولاد أولاده كل من كان موجودا حال الدعاء ، ولا شك أن دعوته مجابة فيهم.

وثالثها : قال مجاهد : لم يعبد أحد من ولد إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ صنما ، والصنم هو التمثال المصور ، وما ليس بصنم هو من الوثن ، وكفار قريش ما عبدوا التمثال ، وإنما كانوا بعبدون أحجارا مخصوصة.

وهذا الجواب ليس بقوي ؛ لأنه ـ صلوات الله وسلامه معليه ـ لا يجوز أن يريد بهذا الدعاء إلا عبادة غير الله ، والحجر كالصنم في ذلك.

واربعها : أن هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من أولاده ، بدليل قوله في آخر الآية

٣٩٤

". (١)

٥٩-"وأجاب فقال : فإن قلت : فكيف جعلت " جنات عدن " بدلا من " الفضل " الذي هو السبق بالخيرات (المشار إليه بذلك ؟ قلت : لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب) فأبدل عنه " جنات عدن " وقرأ زر والزهري جنة مفردا والجحدري جنات بالنصب على الاشتغال وهي تؤيد رفعها بالابتداء وجوز أبو البقاء أن كون " جنات " بالرفع خبرا ثانيا لاسم الإشارة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقدمت قراءة يدخلونها للفاعل أو المعفول وباقي الآية في الحج.

فصل قيل : المراد بالداخلين الأقسام الثلاثة.

وهذا على قولنا بأنهم أقسام المؤمنين.

وقيل : الذين يتلون كتاب الله وقيل : هم السابقون وهو أقوى لقرب ذكرهم ولأنه ذكر إكرامهم بقوله : ﴿يحلون﴾ والمكرم هو السابق.

فإن قيل : تقديم الفالع على الفعل و تأخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى إذا كان المفعول حقيقيا كقولنا : الله الذي خلق السموات وقول القائل : زيد بنى الجدار ، فإن الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات وكذا زيد ثم البناء ثم الجدار من البناء وإذا لم يكن المفعول حقيقا كقولنا : دخل الداخل الدار ، وضرب عمرا فإن " الدار " في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وإنما فعله متحقق بالنسبة إلى الدار وكذلك عمرو فعل (من أفعال) زيد تعلق به فسمي مفعولا ولكن الأصل تقديم الفعل على المفعول ولهذا يعاد الفعل المقدم بالضمير تقول : عمرا ضربه

١٤١

زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة فما الفائدة في تقديم " الجنات " على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكرها بالهاء في " يدخلونها " وما الفرق بني هذا و " بين " قوله القائل : يدخلون جنات عدن ؟ فالجواب : أن السامع إذا علم له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم غير المدخل فإذا قيل له : أنت تدخل مال إلى أن يسمع الدار والسوق فيبقى **متعلق القلب** بأنه في أي المداخل يكون.

فإذا قيل : " الدار تدخلها " فيذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بأنه له دخولا يعلم الدخول

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣١٢٢

فلا يبقى متعلق القلب ولا سيما الجنة والنار فإن بين المدخلين بونا بعيدا.

قوله : ﴿يحلون فيها﴾ إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير المدخول فقال : ﴿يدحلونها﴾ وفيها يقع تحليتهم ، وقوله : " من أساور " بجمع الجمع فإنه جمع " أسورة " وهي جمع " سوار " " من ذهب ولؤلؤا " وقوله : ﴿ولباسهم﴾ أي ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد أو غيره والإكثار من الزينة لا يدل (إلا) على الغنى ، وذكر الأساور من بين سائر الحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى : ﴿وحلوا اا أساور من فضة﴾ [الإنسان : ٢١] وذلك لأن التحلي بمعنيين : أحدهما : إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون (حاله) حالة الطبخ والغسل.

وثانيهما : إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء لأن التحلي إما بالآلئ والجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللآلىء يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول إلى الأشياء العزيزة الوجود لا لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية وإلا لصرف الذهب والفضة إلى دفع حاجته وإذا عرف هذا فنقول : الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإذا حليت بالأساور علم الفراغ من الأعمال.

١٤٢

". (١)

٦٠-"وتسال عن ركبانها أين يمموا

والثاني : أنه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله : ﴿لو أن لي كرة﴾ والفرق بين الوجهين أن الأول يكون فيه الكون متمنى ويجوز أن تضمر " أن " وأن تظهر والثاني يكون فيه الكون مترتبا على حصول المتمني لا متمني ويجب أن تضمر " أن ".

قوله : ﴿بلى﴾ حرف جواب وفيما وقعت جوابا له وجهان : أحدهما : هو نفي مقدر ، قال ابن عطية : وحق " بلى " أن تجيء بعد نفي عليه تقرير ، كأن النفس قال : لم يتسع لي النظر أو لم يبين لي الأمر قال أبو حيان : ليس حقها النفي المقدر بل حقها النفي ثم حمل التقرير عليه ولذلك أجاب بعض العرب النفي المقدر بنعم دون بلى ، وكذا وقع في عبارة سيبويه نفسه.

٥٣٤

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٤٢٠٨

والثاني : أن التمني المذكور وجوابه متضمنان لنفي الهداية كأنه قال : لم أهتد فرد الله عليه ذلك.

قال الزجاج : " بلى " جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي إلا أنه حصل فيه معنى النفي لأنه قوله : " لو أن الله هداني " أنه ما هداني فلا جرم حسن ذكر " بلى " بعده.

قال الزمخشري : فإن قلت : هلا قرن الجواب بينهما بما هو جواب له وهو قوله : لو أن اله هداني ولم يفصل بينهما قلت : لأنه لا يخلوا إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن ، وإما أن يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تغير النظم بالجمع بين القراءتين ، وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريق في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب.

قوله : ﴿جآءتك﴾ قرأ العامة بفتح الكاف " فكذبت واستكبرت وكنت " بفتح التاء خطابا للكافرين دون النفس.

وقرأ الجحدري وأبو حيوة وابن يعمر والشافعي عن ابن كثير وروتها أم سملة عنه – عليه (الصلاة و) السلام – بها قرأ أبو بكر وابنته عائشة – رضي الله عنهما – بكسر الكاف والتاء ؛ خطابا للنفس والحسن والأعرج والأعمش " جأتك " بوزن " جعتك " بهمزة دون ألف ؛ فيحتمل أن يكون قصرا كقراءة قنبل ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق : ٧] وأن يكون في الكلمة قلب بأن قدمت اللام على العين فالتقى ساكنان ، فحذفت الألف لالتقائهما نحو : رمت وغزت ، ومعنى الآية يقال لهذا القائل : بلى قد جاءتك آياتي يعني القرآن " فكذبت " وقلت ليست من الله واستكبرت أي تكبرت عن الإيمان بها وكنت من الكافرين.

٥٣٥

قوله : ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ العامة على رفع ﴿وجوههم مسودة﴾ وهي جملة من مبتدأ وخبر ، وفي محلها وجهان : أحدهما : النصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية ، وكذا أعربها الزمخشري ومن مذهبه أنه لا يجوز إسقاط الواو من مثلها إلا شاذا تابعا في ذلك الفراء ، فهذا رجوع منع عن ذلك.

والثاني : أنها في محل نصب مفعولا ثانيا ، لأن الرؤية قلبية وهي بعيد لأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلبية** بهما ، وقرئ : " وجوهم مسودة " بنصبهما على أن " وجوهم " بدل بعض من " كل " ، و " مسودة " على ما تقدم من النصب على الحال أو على المفعول الثاني.

وقال أبو البقاء : ولو قرئ وجوهم بالنصب لكان على بدل الاشتمال ، قال شهاب الدين : قد قرئ به

والحمد لله ولكن ليس كما قال : على بدل الاشتمال بل على بدل البعض ، وكأنه سبق لسان أو طغيان قلم.

وقرأ أبي أجوههم بقلب الواو همزة وهو فصيح نحو : ﴿أقتت﴾ [المرسلات : ١١] وبابه ، وقوله : ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ عن الإيمان.

قوله : ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ قرأ الأخوان وأبو بكر بمفازاتهم جمعا لما اختلفت أنواع المصدر جمع كقوله تعالى : ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ [الأحزاب : ١٠] ، ولأن لكل متق نوعا آخر من المفازة ، والباقون بالإفراد على الأصل.

٥٣٦

وقيل : ثم مضاف محذوف أي بدواعي مفازتهم أو بأسبابها.

والمفازة المنجاة ، وقيل : لا حاجة إلى ذلك ، وإذ المراد بالمفازة الفلاح.

قال البغوي : لأن المفازة بمعنى الفوز أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة.

وقال المبرد : المفازة مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات.

قوله : ﴿لا يمسهم السواء﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة مفسرة لمفازتهم كأنه قيل : وما مفازتهم ؟ فقيل : " لا يمسهم السوء " فلا محل لهان ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من " الذين اتقوا ".

ومعنى الكلام لا يصيبهم مكروه ولا هم يحزنون.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٥٢٧

". (١)

٦١-"قال ابن الخطيب : دوامهم عليها ألا يتركوها في وقت من الأوقات ، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها ، حتى يأتي بها على أكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها ، والإتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة والاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة ، وألا يلتفت يمينا ولا شمالا ، وأن يكون حاضر القلب فاهما للأذكار ، مطلعا على حكم الصلاة **متعلق القلب** بدخول أوقات الصلوات.

قوله : ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم﴾.

قال قتادة وابن سيرين : يريد الزكاة المفروضة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٤٣٧٠

وقال مجاهد : سوى الزكاة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : صلة الرحم وحمل الكل.

والأول أصح ؛ لأنه وصف الحق بانه معلوم ، والمعلوم هو المقدر ، وسوى الزكاة ليس بمعلوم إنما هو قدر الحاجة ، وذلك يقل ويكثر.

وقال ابن عباس : من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق ، وأيضا فالله – تعالى – استثناه ممن ذمه ، فدل على أن الذي لا يعطي هذا الحق يكون مذموما ، ولا حق على هذه الصفة إلا الزكاة.

وقوله : ﴿للسآئل والمحروم﴾.

تقدم في الذاريات.

قوله : ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ [المعارج : ٢٦] ، أي : بيوم الجزاء ، وهو يوم القيامة ، أي : يؤمنون بالبعث ، والنشور.

﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ ، أي : خائفون ، والإشفاق : الخوف إما من ترك واجب ، وإما من فعل محظور ، ثم أكد ذلك الخوف بقوله : ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾.

قال ابن عباس : لمن أشرك أو كذب أنبياءه.

وقيل : لا يأمنه أحد ، بل الواجب على كل أحد أن يخافه ويشفق منه.

﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فأنهم غير ملومين فمن ابتغى ورآء ذلك فأولائك هم العادون﴾ تقدم تفسيره في سورة " المؤمنون " [المؤمنين : ٥ ، ٦ ، ٧].

٣٧٠

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ تقدم أيضا [المؤمنين : ٨].

وقرىء : " لأمانتهم " على التوحيد ، وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن.

فـ " الأمانة " اسم جنس تدخل فيها أمانات الدين ، فإن الشرائع أمانات ائتمن الله عليها عباده ، ويدخل فيها أمانات الناس من الودائع ، وقد مضى ذلك.

قوله : ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾.

قرأ حفص : " بشهاداتهم " جمعا ، اعتبارا بتعدد الأنواع ، والباقون : بالإفراد ، أو المراد الجنس.

قال الواحدي : والإفراد أولى ؛ لأنه مصدر ، فيفرد كما تفرد المصادر ، وإن أضيف إلى الجمع كـ ﴿لصوت الحمير﴾ [لقمان : ١٩] ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات.

قال أكثر المفسرين : يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون بها عند الحكام ، ولا

يكتمونها.
وقال ابن عباس : بشهادتهم : أن الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.
قوله : ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ قال قتادة : على وضوئها وركوعها وسجودها ، فالدوام خلاف المحافظة فدوامهم عليها محافظتهم على أدائها لا يخلون بها ، ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ، ومحافظتهم عليها أن يراعو إسباغ الوضوء لها ، ومواقيتها ، ويقيموا أركانها ، ويكملوها بسنتها ، وآدابها ، ويحفظونها من الإحباط باقتراف المآثم ، فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات ، والمحافظة على أحوالها ، ذكره القرطبي.
ثم قال : ﴿أولائك في جنات مكرمون﴾ ، أي : أكرمهم الله فيها ، بأنواع الكرامات.
جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٣٦٦
قوله : ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾.
روي أن المشركين كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ، ويستهزئون به
٣٧١
ويكذبونه ، ويقولن : إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم ، فنزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾.
وقال أبو مسلم : ظاهر الآية يدل على أنهم هم المنافقون ، فهم الذين كانوا عنده ، وإسراعهم المذكور هو الإسراع في الكفر ، لقوله تعالى : ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ [آل عمران : ١٧٦].
و " الإهطاع " : الإسراع.
قال الأخفش : " مهطعين " ، أي : مسرعين ، قال : [الوافر] ٤٨٦٧ - بمكة أهلها ولقد أراهم
إليه مهطعين إلى السماع
". (١)

٦٢-"وجواب " إذا " محذوف ، يدل عليه قوله : " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ".
والتقدير : فإذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه.
فصل في تعلق الآية لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعتاد ليتزودوا له بالأعمال الصالحة ، والإنفاق مما امتن به عليهم.

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٥٠٤٣

وقال ابن الخطيب : لما ذكر تعالى هذه الأشياء ، وكان المقصود منها أمور ثلاثة : أولها : الدلائل الدالة على التوحيد.

وثانيها : الدلائل الدالة على القدرة والمعاد.

وثالثها : أن هذا الإله الذي أحسن إلى عبيده بهذه الأنواع الظيمة من الإحسان ، لا يليق بالعاقل أن يتمرد عن طاعته ، وأن يتكبر على عبيده أتبع لك بما يكون كالمؤكد لهذه الأغراض ، وهو شرح [أهوال الآخرة] ، فإن الإنسان إذا سمعها خاف ، فيدعوه ذلك الخوف إلى التأمل في الدلائل ، والإيمان بها ، والإعراض عن الكفر ، ويدعوهة أيضا إلى ترك التكبر على الناس ، وإلى إظهار التواضع فقال تعالى : ﴿فإذا جآءت الصآخة﴾ يعني : صيحة القيامة ، وهي النفخة الأخيرة ، تصخ الأسماع أي : تصمها ، فلا تسمع إلا ما يدعى به الأحياء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة إلا الجن والإنس ".

قوله : ﴿يوم يفر المرء﴾ بدل من " إذا " ، ولا يجوز أن يكون " يغنيه " عاملا ، في " إذا " ، ولا في " يوم " ؛ لأنه صفة لـ " شأن " ولا يتقدم معمول الصفة على موصوفها.

والعامة على " يغنيه " من الإغناء.

١٧٠

وابن محيصن والزهري ، وابن أبي عبلة وحميد ، وابن السميفع : " يعنيه " بفتح الياء والعين المهملة من قولهم : عناني في الأمر ، أي : قصدني.

فصل في معنى الآية قوله : " يفر " ، أي : يهرب في يوم مجيء الصاخة ، " من أخيه " أي : من موالاة أخيه ، ومكالمته لأنه مشتغل بنفسه ، لقوله بعده : ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ ، أي : يشغله عن غيره.

وقيل : إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه بالتبعات ، يقول الأخ : ما واسيتني بمالك ، والأبوان يقولان : قصرت في برنا ، والصاحبة تقول : أطعمتني الحرام ، والبنون يقولون : ما علمتنا.

وقيل : لعلمه أنهم لا ينفعونه ، ولا يغنون عنه شيئا ، لقوله تعالى : ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا﴾ [الدخان : ٤١].

وقال عبد الله بن طاهر : يفر منهم لما تبين له عجزهم ، وقلة حيلتهم.

وذكر الضحاك عن ابن عباس ، قال : يفر قابيل من أخيه هابيل ، ويفر النبي من أمه ، ويفر إبراهيم من أبيه ، ونوح من ابنه ، ولوط من امرأته ، وآدم من سوءة بنيه.

قال ابن الخطيب : المراد : أن الذن كان المرء يفر إليهم في دار الدنيا ، ويستجير بهم ، فإنه يفر منهم في دار الآخرة ، وذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل : : يوم يفر المرء من أخيه " ، بل من أبويه ، فإنهما أقرب من الأخوين ، بل من الصاحبة والولد ؛ لأن **تعلق القلب** بهما أشد من تعلقه بالأبوين.

ثم لما ذكر الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى : ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾.

قال ابن قتيبة : " يغنيه " أي : يصرفه عن قرابته ، ومنه يقال : أغن عني وجهك ، أي : اصرفه.

وقال أهل المعاني : إن ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره ، فلم يبق فيه متسع لهم آخر ، فصار شبيها بالغني فيأنه ملك شيئا كثيرا.

قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾.

لما ذكر تعالى حال يوم القيامة في الهول بين أن المكلفين فيه على قسمين : سعداء ، وأشقياء ، فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ أي : مضيئة مشرقة ، وقد علمت ما لها من الفوز ، والنعيم ، من أسفر الصبح : إذا أضاء ، وهي وجوه المؤمنين " ضاحكة " أي : مسرورة فرحة.

١٧١

قال الكلبي : يعني بالفراغ من الحساب ﴿مستبشرة﴾ أي : بما آتاها الله تعالى من الكرامة.

وقال عطاء الخراساني : " مسفرة " من طول ما اغبرت في سبيل الله.

وقال الضحاك : من آثقار الوضوء.

وقال ابن عباس – رضي الله عنه – : من قيام الليل ، لقوله عليه الصلاة والسلام : " من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ".

قوله تعالى : ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾.

قال المبرد : " الغبرة " الغبار ، والقترة : سواد كالدخان.

وقال أبو عبيدة : القتر في كلام العرب : الغبار ، جمع القترة ؛ قال الفرزدق : [البسيط] ٥١١٦ – متوج برداء الملك يتبعه

موج ترى فوقه الرايات والقترا

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٧٠

وفي عطفه على الغبرة ما يرد هذا إلا أن يقال : اختلف اللفظ فحسن العطف ، كقوله : [الوافر] ٥١١٧ -
....
....
كذبا ومينا
وقوله : [الطويل] ٥١١٨ - ....
....
النأي والبعد

وهو خلاف الأصل ، وفي الحديث : " إن البهائم إذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار ".
وقال زيد بن أسلم : القترة : ما ارتفعت إلى السماء ، والغبرة : ما انحطت إلى الأرض ، والغبار والغبرة واحد.
١٧٣
قال ابن عباس : " ترهقها " أي : تغشاها ، " قترة " أي : كسوف وسواد.
وعنه - أيضا - : ذلة وشدة.
وقيل : ترهقها ، أي : تدركها عن قرب ، كقولك : رهقته الخيل إذا أدركته مسرعة ، والرهق " عجلة الهلاك ، القترة : سواد كالدخان ، ولا يرى أوحش من اجتماع الغبار والسواد في الوجه ، كما ترى وجوه الزنوج إذا غبرت ، فجمع الله - تعالى - في وجوههم بين السواد ، والغبرة ، كما جمعوا بين الكفر ، والفجور ، والله أعلم.
والعامة : على فتح التاء في " قترة " ، وأسكنها ابن أبي عبلة.
قوله : ﴿أولائك هم الكفرة﴾ : جمع كافر ، " الفجرة " : جمع فاجر ، وهو الكاذب المفتري على الله تعالى.
وقيل : الفاسق : يقال : فجر فجورا ، أي : فسق ، فجر : أي : كذب.
وأصله الميل ، والفاجر المائل.
روى الثعلبي عن أبي - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله صلى الله وسلم : " من قرأ سورة ﴿عبس وتولى ﴾ جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر ".
١٧٣

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٧٠". (١)

٦٣-"قلبه بغير الله سبحانه ولا يسع فيه محبة أحد من الخلائق - فما بال يعقوب عليه السلام وهو من الأنبياء الكبار والمصطفين الأخيار اولى الأيدي والابصار - قد شغفه حب يوسف عليه السلام الكريم حتى ابيضت عيناه من البكاء عليه وهو كظيم - وما قيل ان العالم بأسرها مجال ومرايا لله سبحانه - فاشتغال قلبه بيوسف اشتغال به تعالى على الحقيقة - فذلك قول فى غلبة التوحيد لاهل الابتداء أو التوسط ويستنكف عنه أهل الانتهاء فكيف الأنبياء عليهم السلام - ولو كان كذلك فلا وجه حينئذ لتخصيص تعلق الحب بيوسف عليه السلام دون غيره - والجواب عن الاشكال ان هذا مختص بالنشأة الدنيوية يعنى لا يمكن اشتغال قلب الصوفي بعد الفناء بشيء من الأشياء الدنيوية واما الأشياء الاخروية فليس هذا شأنها - فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما - رواه ابن ماجة عن أبي هريرة والطبراني عن ابن مسعود بسند صحيح والبزار عن ابن مسعود نحوه والطبراني بسند صحيح عن أبي الدرداء - بخلاف الاخرة فانها مرضية لله تعالى **وتعلق القلب** بها مرضى لله تعالى قال الله تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار - يعنى اولى القوة فى طاعة الله والبصارة فى معرفة الله تعالى وأحكامه - إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار - أى جعلناهم خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها هى ذكر الدار الاخرة - قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الاخرة وذكرها - وجعلنا الاخرة مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون - واطلاق الدار على الاخرة للاشعار بانها الدار على الحقيقة والدنيا معبر - هذه الآية صريح فى ان الاخرة مرضية لله تعالى وحبها وما فيها موجب للمدح - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى يعنى فى المنام سيد بنى دارا و". (٢)

٦٤-"بوجهتها التي إلى الوجود - وبهذه الحيثية مربيات للاشياء الاخروية - ولذلك صارت الاخرى مرضية لله تعالى مقبولة - وصار **تعلق القلب** بتلك الأشياء كتعلقه بصاحبها - فالكاملون فى محبة الله تعالى هم الكاملون فى محبة الدار الاخرة - وهذا وجه الفرق بين الأشياء الدنيوية والاخروية وجواز تعلق الحب بإحداهما دون الاخرى - إذا تمهد هذا فنقول ظهر بالنظر الصريح والكشف الصحيح للمجدد للالف الثاني

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٥٢١١

(٢) تفسير المظهرى ص/٣٣٦٣

رضى الله عنه ان وجود يوسف عليه السلام وجماله وان كان مخلوقا فى الدار الدنيا لكنه كان على خلاف سائر الأشياء الموجودة فيها – من جنس الموجودات الاخروية وربتها صفات الله تعالى بوجهتها التي إلى الوجود كما ربت الجنة وما فيها من الحور والغلمان – فلا جرم جاز تعلق قلب أهل الكمال وحبهم به عليه السلام كما جاز تعلقها بالجنة وما فيها – كذا ذكر المجدد رضى الله عنه فى المكتوب المائة من المجلد الثالث – بقي هاهنا إشكالان أحدهما ان المجدد رضى الله عنه قال فى مقام اخر ان الممكنات سوى الأنبياء والملائكة مجال ومظاهر لظلال الأسماء والصفات التي هى مباد لتعيناتها – دون الأسماء والصفات أنفسها – واما الملائكة والأنبياء فاصول الأسماء والصفات مباد لتعيناتهم – وهم مجال ومظاهر لها – فكيف قال هاهنا ان الممكنات بأسرها مجال لاسمائه وصفاته تعالى – وكيف يتصور حينئذ ان تتجلى الصفات بانفسها فى الأشياء الدنيوية بوجهتها التي إلى الاعدام – وفى الأشياء الاخروية بوجهتها التي إلى الوجود – وحله ان كونها مجال لظلال الأسماء لا ينافى كونها ظلالا لاصولها فان ظل ظل الشيء ظل له – فالاسماء والصفات تتجلى فى الأنبياء بلا توسط الظلال وفى غيرهم بتوسطها – ثم هى تتجلى فى الأشياء الدنيوية بتوسط الظلال بوجهتها إلى العدم وفى الأشياء الاخروية بوجهتها التي إلى الذات والوجود الصرف فلا منافاة ثانيهما « ١ » انه يلزم حينئذ فضل يوسف عليه السلام على". (١)

٦٥-"و ما يدريك ما نافية أو استفهامية للانكار ومعناه النفي يعنى أنت ما أدريت بحاله واى شيء يجعلك داريا بحاله وفيه ايماء إلى العذر فى حق النبي صلعم يعنى انك لو كنت عالما بحال الأعمى لم تعرض عنه مقبلا على غيره وفى الآية إجلال للنبى صلعم بوجوه أحدها انه ذكر موجب الإنكار والاعراض عنه فى بدأ الكلام بلفظ الغيبة ولم يسند ذلك الفعل إليه بالتخاطب إيهاما بان من صدر ذلك الفعل كأنه غيره وليس من شأنه ان يصدر منه مثله وتوجيه ذلك

التفسير المظهري ج ١٠ ، ص : ١٩٨

ان الأعمال انما هى بالنيات وما كانت فى نية النبي صلعم الاعراض عنه مطلقا بل كان غرضه ان هذا الرجل مؤمن لا يضره التأخير فى تعليمه ولا يخاف منه التولي والانحراف وان صناديد قر يش عند الاعراض عنهم يذهبون ولا ينظرون ولو انهم أمنوا لا من معهم خلق كثير وتساع كلمة الله فبهذا الغرض كأنه لم يصدر عن النبي صلعم التولي عن الأعمى وان وجد منه صورة التولي وثانيها انه ذكر الإيماء إلى الاعتذار منه صلى الله

---

(١) تفسير المظهرى ص/٣٣٦٧

عليه وسلم بانك لم تكن تعلم والا لما صدر عنك ذلك وثالثها الالتفات إليه من الغيبة إلى التخاطب أينا ساله دفعا للايحاش وإقبالا عليه دفعا لتوهم الاعراض ورابعها اسناد موجب العذر إليه صلى الله عليه وسلم بالتخاطب تصريحا بكونه معذورا فيما صدر عنه لعله يزكى أصله يتزكى أى يتطهر بكماله من الشرك الجلى والخفي ورزائل النفس وهوائها **وتعلق القلب** بغير الله سبحانه وذهاب الغفلة عن سائر لطايف عالم الأمر وزوال صولة كل عنصر من عناصر عالم الخلق بفيض صحبة النبي صلعم وبركة أنفاسه الشريفة واقتباس أنواره الظاهرة والباطنة.". (١)

٦٦-" إبراهيم ١٢ - ١٧

بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم ألا ترى إلى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله معناه وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية **وتعلق القلب** بالربوبية والشكر عندالعطاء والصبر عند البلاء ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون إي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرار وقال الذين كفروا لرسلهم سبلنا لرسلهم أبو عمرو لنخرجنكم من أرضنا من ديارنا أو لتعودن في ملتنا أي ليكونن أحد الأمرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين القول مضمر أو أجرى الايحاء مجرى القول لأنه ضرب منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره ذلك الإهلاك والإسكان أي ذلك الأمر حق لمن خاف مقامى موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مقحم أو خاف قيامى عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك حق للمتقين وخاف وعيد عذابي وبالياء يعقوب واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم وهو معطوف على أوحى إليهم وخاب كل جبار وخسر كل متكبر بطر عنيد مجانب للحق معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير لكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه جهنم

---

(١) تفسير المظهري ص/٦٩٥١

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف ويسقي معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد ما يسيل من جلود اهل النار وصديد عطف بيان الماء لأنه مبهم فبين بقوله صديد يتجرعه يشربه جرعة جرعة ولا يكاد ". (١)

٦٧-"[الزمر : ٧٣] ﴿ واعلموا أن الله غني ﴾ فمن كمال غناه أراد أن يغنيكم بثواب الإنفاق ﴿ حميد ﴾ على ما أنعم بهذا التكليف ليتوسل به إلى الكمال الأبدي . ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لأنها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله **وتعلق القلب** بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية . فمن فتح على نفسه باب وسوسة فسوف يبتلى بهذه الآفات وأضعافها ، ومن فتح على نفسه باب عدة الحق أفاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله وإحسانه . فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام ، والفضل ما لا تدركه الأوهام ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [يونس : ٢٦] فمن ذلك أن يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه أهل الإنكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الأسرار والحكم الإلهيات . فالمعقولات ما تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين أهل الأديان ، والأسرار الإلهية مواهب الحق لا ترد إلا على قلوب الأنبياء والأولياء ﴿ نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ [النور : ٣٥] ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا إلى لب عالم النور . ثم أخبر عن توفية الأجور للمنفق في المفروض والمنذور ﴿ وما للظالمين ﴾ الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالإنفاق النفاق وبالإخلاص الرياء ﴿ من أنصار ﴾ ولا ناصر بالحقيقة إلا الله ، ومن أذن له الله إبداء الصدقات ضد إخفائها ، وإخفاؤها تخليتها عن شوب الحظوظ وإليه الإشارة في قوله A : « سبعة يظلهم الله في ظله » ثم قال : « ورجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله » أي عن حظوظ نفسه لتكون خالصة لوجه الله . فصاحبها يكون في ظل الله قال A : « إن المرء يكون في ظل صدقته يوم القيامة » أي إن كانت صدقته لله كان في ظل الله ، وإن كانت للجنة كان في ظل الجنة ، وإن كانت للهوى كان في ظل الهاوية . فمعنى قوله : ﴿ إن تبدو الصدقات ﴾ أي تظهروها لطمع ثواب الجنة فإن طمع الصواب شوب حظ ﴿ فنعما هي ﴾

---

(١) تفسير النسفي ٢/٢٢٦

فإنها مرتبة الأبرار ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ [الانفطار : ١٣] ﴿ وإن تخفوها ﴾ عن كل حظ ونصيب ﴿ وتؤتوها الفقراء ﴾ الذين تعطونها إياهم لوجه الله لا لحظ النفس ﴿ فهو خير لكم ﴾ لأن جزاءها لقاء الله . ثم أخبر عن الهداية وأن ليس لأحد عليها الولاية وأن الله فيها ولي الكفاية ، يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الأنبياء الفضيلة ، وأنت سيد الأولين والآخرين وأنت أكرم الخلائق على رب العالمين ولكن ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ ولكن الهداية من خصائص شأننا ولوائح برهاننا ، أنت تدعوهم ونحن نهديهم .". (١)

٦٨-"وقيل : المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الأصدقاء والأموال والأمتعة . فعلى هذا يصح الاستثناءان من غير شائبة التناقض كأنه أمر لوطا أن يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فإنها هالكة من الهالكين . ثم أمر أن يقعطوا العلائق وأخبر أن امرأته تبقى متعلقة القلب بها .
يروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل له ﴿ إن موعدهم الصبح ﴾ فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا : ﴿ أليس الصبح بقريب؟ ﴾ ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ بإهلاكهم ﴿ جعلنا ﴾ أي جعل رسلنا ﴿ عاليها سافلها ﴾ روي أن جبرائيل أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك لم يتبدد لهم طعام ولم يتكسر لهم إناء ، ثم قلبها دفعة وضربها على الأرض ، ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل - وهو معرب سنك وكل - كأنه مركب من حجر وطين وهو في غاية الصلابة . وقيل : سجيل أي مثل السجل وهي الدلو العظيمة أو مثلها في تضمن الأحكام الكثيرة ، وقيل : أي مرسلة عليهم من أسجلته إذا أرسلته . وقيل : أي مما كتب الله أن يعذب به أو كتب عليه أسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان . وقيل : من سجين أي من جهنم فأبدلت النون لاما . ويل : إنه اسم من أسماء السماء الدنيا . ومعنى ﴿ منضود ﴾ موضع بعضها فوق بعض في النزول يأتي على سبيل المتابعة والتلاصق . أو نضد في السماء نضدا معدا لإهلاك الظلمة وفي السماء معادنها في جبال مخصوصة كقوله : ﴿ من جبال فيها من برد ﴾ [النور : ٤٣] ﴿ مسومة ﴾ معلمة للعذاب أو بياض وحمرة ، عن الحسن والسدي عليها أمثال الخواتيم . وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض . وقال الربيع : مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به . وقال أبو صالح : رأيت منها عند أم هانىء حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع . ومعنى ﴿ عند ربك ﴾ أي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها إلا هو ،

---

(١) تفسير النيسابوري ٢/١٥٨

أو مقرر في علمه إهلاك من أهلك بكل واحد منها ﴿ وما هي ﴾ أي تلك الحجارة ﴿ من الظالمين ﴾ أي من كل ظالم ﴿ ببعيد ﴾ وهو وعيد لأهل مكة عن رسول الله A أنه سأل جبرائيل عن هذا فقال يعني من ظالمي أمتك ما من ظالم إلا وهو بصدد سقوط الحجر عليه ساعة فساعة . وقيل : أي تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمي أهل مكة يمرون بها في مسايرهم إلى الشام . وقيل : المراد أنها وإن كانت في السماء إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانت كأنها بمكان قريب والله تعالى أعلم بمراده .". (١)

٦٩-"قال سفيان : الجبار الذي يقتل عند الغضب دليله قوله : ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ﴾ [القصص : ١٩] ثم إنه سبحانه سلم عليه في ثلاثة مواطن هي أوحش المواطن وأحوجها إلى طلب السلامة فيها ، ويحتمل أن يكون هذا السلام من الملائكة عليه إلا أنه لما كان بإذن الله كان كلام الله ، وقيل : إنما قال : ﴿ حيا ﴾ مع أن المبعوث هو المعاد إلى حال الحياة تنبيها على كونه من الشهداء وهم أحياء إلا أنه يشكل بما يجيء في قصة عيسى ﴿ ويوم أبعث حيا ﴾ [مريم : ٣٣] وذلك أنه ورد في الأخبار أن عيسى سيموت بعد النزول . والظاهر أنه أراد ويوم يجعل حيا فوضع الأخص موضع الأعم تأكيدا . قيل : السلام عليه يوم ولد لا بد أن يكون تفضلا من الله تعالى لأنه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه ، وأما الآخران فيجوز أن يكونا لأجل الثواب . قلت : أكثر أموره خارق للعادة ، فيحتمل أن يوجد منه في بطن أمه عمل يستحق الثواب كما يحكى أن أمه قالت لمريم وهما حاملان : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك .

التأويل : إن زكريا الروح ﴿ نادى ربه نداء خفيا ﴾ من سر السر ﴿ قال رب إني وهن ﴾ مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية ، وإني خفت صفات النفس أن تغلب ﴿ وكانت امرأتي ﴾ يعني الجثة التي هي روح الروح ﴿ عاقرا ﴾ لا تلد إلا بموهبة من الله ﴿ فهب لي من لدنك ﴾ سأل ﴿ وليا ﴾ فأعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن العلم اللدني فإنه ولد الروح والنفس أعدى عدوه ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ أي يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانية ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ بأن توطنه من تجلي صفات ربوبيتك ما يرضى به نظيره ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ [الضحى : ٥] ﴿ اسمه يحيى ﴾ إن الله أحياه بنوره ﴿ ولم نجعل له من قبل سميا ﴾ لا من الحيوانات ولا من الملائكة لأنه هو الذي يقبل فيض الألوهية بلا واسطة ، وهو سر حمل الأمانة كما قال : « ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن » ﴿ وقد بلغت

---

(١) تفسير النيسابوري ٤/٣٢١

من الكبر ﴾ أي بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب ﴿ عتيا ﴾ يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس ﴿ آيتك أن لا تكلم الناس ﴾ لا تخاطب إلا الله ولا تلتفت إلى ما سواه ﴿ ثلاث ليال ﴾ هي ثلاث مراتب الجماديات والحيوانيات والروحانيات ﴿ سويا ﴾ متمكنا في هذا الحال من غير تلون ﴿ فخرج ﴾ زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته ، فأشار إليهم أن كونوا متوجهين إلى الله معرضين عما سواه آناء الليل وأطراف النهار بل بكرة الأزل وعشي الأبد ﴿ يا يحيى ﴾ القلب ﴿ خذ ﴾ كتاب الفيض الإلهي المكتوب لك في الأزل ﴿ بقوة ﴾ ربانية لا بقوة جسدانية لأنه خلق ضعيفا ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ في صباه إذ خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ﴿ زكاة ﴾ وتطهرا من الالتفات إلى غيرنا ﴿ وبرا بوالديه ﴾ الروح والقالب .". (١)

٧٠-"فالكافي للمهمات لا يكون إلا من له كمالات غير متناهيات فلا يزيل قلق الحوائج واضطراب الأماني إلا الله سبحانه ، وبإزاء هذه الكرامات ورد في حق الكفار أضدادها ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ [التوبة : ١٢٧] ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ [البقرة : ١٠] ﴿ قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة : ١٣] ﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ [الكهف : ٥٧] ﴿ وختم الله على قلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد : ٢٤] ﴿ بل ران على قلوبهم ﴾ [المطففين : ١٤] ﴿ طبع الله على قلوبهم ﴾ [النحل : ١٠٨] فلأجل تلك الكرامات والهرب من أضدادها قال موسى ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ﴾ .
الثامنة : في حقيقة شرح الصدر وذلك أن لا يبقى للقلب التفات إلى الدنيا إلا رغبة بأن يكون متعلق القلب الأهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ، ولا رهبة بأن يكون خائفا من الأعداء والمنازعين فإن القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير ، فإذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت وإذا انصب الكل في موضع واحد ظهر أثرها وقويت فائدتها ، فسأل موسى ربه أن يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية إلى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ . أو نقول : إنه لما كلف بضبط الوحي في قوله ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله ﴿ فاعبدني ﴾ فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين ، والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ أو نقول : معدن النور هو القلب ، والاشتغال بما سوى الله

(١) تفسير النيسابوري ٥/٢٢٣

– من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار – هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب إلى فضاء الصدر ، فإذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم في الدارين صغروا في عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة إلى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسخ القلب بل الصدر للنور ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ .

التاسعة : لنضرب مثلا لذلك فنقول : البدن بالكلية كالمملكة ، والصدر كالقلعة ، والفؤاد كالصفة ، والقلب كالسرير ، والروح كالملك ، والعقل كالوزير ، والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم إلى البلدة ، والغضب كالاسفهيد الذي يشتغل بالضرب ، والتأديب والحواس كالجواسيس ، وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع . ثم إن الشيطان كملك مطاع وإنه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الأخلاق الذميمة جنوده ، فإذا أخرج الروح وزيره وهو العقل أخرج الشيطان في مقابله الهوى فجعل العقل يدعو إلى الله تعالى والهوى إلى الشيطان . ثم إن الروح أخرج الفطنة إعانة للعقل فأخرج الخصم في مقابلته الشهوة ، فالفطنة توقفك على معايب الدنيا ، والشهوة تحسن لذات الدنيا . ثم إن الروح أمد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال « تفكر ساعة خيرمن عبادة سنة » فأخرج الشيطان في مقابلة الفكرة الغفلة ، ثم أخرج الروح الحلم والثبات فإن العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا ، فأخرج الشيطان بإزائه العجلة والسرعة فلهذا قال A". (١)

٧١–"بل الجزع والمنع أيضا من خلقه ولا اعتراض لأحد عليه خلق بعض الناس هلوعا وخلق المستثنين منهم غير هلوع بل مشغولي القلب بأحوال الآخرة ، وكل ذلك تصرف منه في ملكه ، وقالت المعتزلة : ليس المراد أنه مخلوق على هذا الوصف لأنه تعالى ذكره في معرض الذم والله تعالى لا يذم فعله . ولأنه تعالى استثنى منهم جماعة جاهدوا أنفسهم وظلفوها عن الشهوات . ولو كانت ضرورية لم يقدروا على تركها . والجواب أن الذين خلقهم كلذلك لم يقدروا على الترك والذين تركوها هم الذين خلقوا على هذا الوصف وهم أصناف ثمانية : الأول الذين يداومون على الصلوات والمراد منها أداؤها في أوقاتها ، وأما المحافظة عليها فترجع إلى الاهتمام بشأنها وذلك يحصل برعاية أمور سابقة على الصلاة كالوضوء وستر العورة وطلب القبلة وغيرها ، حتى إذا جاء وقت الصلاة لم يكن **يتعلق القلب** بشرائطها وأمور مقارنة للصلاة كالخشوع والاحتراز عن الرياء والإتيان بالنوافل والمكملات ، وأمور لاحقة بالصلاة كالاحتراز عن اللغو وما يضاد الطاعة لأن الصلاة تنهى

---

(١) تفسير النيسابوري ٥/٢٨١

عن الفحشاء والمنكر ، فارتكابه المعصية بعد الصلاة دليل على أن تلك الصلاة لم تقع في حيز القبول . الثاني ﴿ والذين في أموالهم حق ﴾ قال ابن عباس والحسن وابن سيرين : هو الزكاة المفروضة . قلت : الدليل عليه وصفه بأنه معلوم واقترانه بإدامة الصلاة ، وقال مجاهد وعطاء والنخعي : هو ما سوى الزكاة وإنه على طريق الندب والاستحباب . قلت : هذا التفسير بما في « الذاريات » أشبه لأنه لم يصف الحق هناك بأنه معلوم ولأنه مدح هناك قوما بالتزام ما لا يلزمهم كقلة الهجوع والإستغفار بالأسحار . الثالث ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ أي يؤمنون بالغيب والجزاء . الرابع ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ خائفون والمؤمن خائف من التقصير في الطاعة وبعض الفسقة لا يخافون من إرتكاب أنواع الظلم وأصناف المعصية . ثم أكد ذلك الخوف بقوله ﴿ إن عذاب ربهم غير مأمون ﴾ لأن الأمور بخواتيمها والخاتمة غير مقطوع بها . الخامس ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ إلى قوله ﴿ العادون ﴾ وقد مر في « المؤمنين » . والسادس ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ وقد مر أيضا . السابع ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ من أفرد فلانها مصدر ، ومن جمع فللنظر إلى اختلاف الشهادات وكثرة أنواعها . وأكثر المفسرين قالوا : هي الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق ولا يكتمونها ، وهذه من جملة الأمانات خصها بالذكر تنبيها على فضلها لأن في إقامتها إحياء للحقوق وفي تركها تضييع لها . وروى عطاء عن ابن عباس أنها الشهادة بالله أنه واحد لا شريك له . الثامن ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ وقد ذكرناه . ثم عين مكان هؤلاء بقوله تعالى ﴿ أولئك في جنات مكرمون ﴾ قال المفسرون : كان المشركون يحتفون حول رسول الله A فرقا يستهزؤن به وبالمؤمنين ويقولون : إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت .". (١)

٧٢-"وأما البسط فهو إكرام في الظاهر الغلب ، والبسط لأجل الاستدراج قليل وعلى قلته فهو خير من خسران الدنيا والآخرة جميعا . وعلام توجه الإنكار والذم؟ فيه وجهان : أحدهما على قوله ﴿ ربي أهانن ﴾ فقط لأنه سمي ترك التفضل إهانة وقد لا يكون كذلك . والثاني على مجموع الأمرين لا من حيث مجموعهما بل على كل منهما . أما على دعوى الإهانة فكما قلنا ، وأما على دعوى الإكرام فلأنه اعتقد حصول الاستحقاق في ذلك الإكرام كقوله ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [القصص : ٧٨] وكان عليه أن يرى ذلك محض الفضل والعناية منه تعالى ، أو لأنه قال في ذلك كبرا وافتخارا وتكاثرا ، أو لأن هذا القول يشبه قول من لا يرى السعادة إلا في اللذات العاجلة ، أو قول من غفل عن الاستدراج والمكر . ويحتمل أن يتوجه

(١) تفسير النيسابوري ٧/٢١٤

الذم على مجموع الأمرين من حيث المجموع حتى لو قال في البسط « أكرمني » تحدثا بنعمة الله ، وفي القبض لم يقل « أهانني » بل قال « الحمد لله على كل حال » لم يكن مذموما . ثم ردع الإنسان عن تلك المقالة بقوله ﴿ كلا ﴾ أي لم أبتله بالغنى لكرامته علي ولا بالفقر لهوانه لدي ولكنهما من محض المشيئة ، أو على حسب المصالح . ثم نبه الإضراب في قوله ﴿ بل لا تكرمون اليتيم ﴾ على أن هناك شرا من ذلك وهو أنه يكرمهم بكثرة المال ثم لا يؤدون حق الله فيه . وعن مقاتل : كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه فنزلت . والتراث أصله الوراث نحو تجاه ووجاه . واللم الجمع لشديد ومنه كتيبة ملمومة مصدر جعل نعتا أي أكلا جامعا بجميع أجزائه كقوله ﴿ ولا تأكلوها إسرافا ﴾ [النساء : ٦] وقال الحسن : أي يجمعون نصيب اليتامى إلى نصيبهم كقوله ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ [النساء : ٢] وقيل : جامعا بين حلال ما جمعه الميت وبين حرامه . وقيل : جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة اللذيذة والملابس الفاخرة كما يفعل أهل البطالة من الوراث . والجم الكثير جم الماء وغيره يجم جموما إذا كثر جام ، وجم نهي عن التهالك . والشره على جمع المال . وفي وصف الحب بالجم دلالة على أن حب المال **وتعلق القلب** بتحصيل ما يسد الخلة منه غير مكروه بل مندوب إليه لبقاء نظام العالم على أن كل السلامة وجل الفراغ في الترك كما هو دأب المتوكلين .

إن السلامة من ليلى وجارتها ... أن لا تمر على حال بواديها

ولا ينبئك مثل خبير . ثم ردعهم عن الفعل المذكور وذكر تحسر المقصر في طاعة الله يوم القيامة .". (١)

٧٣-"﴿ يؤتى الحكمة ﴾ اى مواعظ القرآن ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعمل بها ﴿ من يشاء ﴾ من عباده اى يؤتيها ايه بموجب سعة فضلة واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى ضمن الآى من الحكم البالغة التى عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها . والموصول مفعول اول ليؤتى قدم عليه الثانى للعناية به ﴿ ومن يؤت الحكمة ﴾ اى يعط العلم والعمل ﴿ فقد اوتى خيرا كثيرا ﴾ اى أى خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين ﴿ وما يذكر ﴾ اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة ﴿ الا اولوا الالباب ﴾ اى العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى . فالمراد منهم الحكماء العلام العمال ولا يتناول كل مكلف وان كان ذا عقل لان من لا يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكأنه لا عقل له قيل من اعطى علم القرآن ينبغى ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطيه خير كثير

(١) تفسير النيسابوري ٧/٣٣٨

والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام « القرآن غنى لا غنى بعده »
والاشارة أن الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهرا فهو يأمر بالفحشاء حقيقة . والفحشاء اسم جامع لكل سوء لان عدته بالفقر تتضمن معانى الفحشاء وهى البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والاعراض عن الحق والاقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى **وتعلق القلب** بغيره ومتابعة الشهوات وايثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل حطيئة وبزر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات ومن سد هذا الباب فان الله يكرمه بانواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتى من اجتنب عن وساوسه الحكمة وهى من مواهبه ترد على قلوب الانبياء والاولياء عند تجلى صفات الجلال والجمال وفناء اوصاف الخلقية بشواهد صفات الخالقية فيكاشف الاسرار بحقائق معان اورثتها تلك الانوار سرا بسر واضمارا باضمار . فحقيقة الحكمة نور من انوار صفات الحق يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فهذه ليست مما تدرك بالعقول والبراهين العقلية والنقلية واما المعقولات فهى مشتركة بين اهل الدين واهل الكفر فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقلى وهذا ميسر لكل عاقل بالدراية وعالم بالقراءة فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال فيدرك عقله المعقول بالبرهان دراية عقلية ومن لم يصف العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قراءة بتفهيم استاذ مرشد فاما الحكمة فليست من هذا القبيل وما يذكر الا اولوا الالباب وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول الانسانية بل سعوا فى طلب لبها بمتابعة الانبياء عليهم السلام فاخرجوهم من ظلمات قشور العقول الانسانية الى نور لب المواهب الربانية فتحقق لهم ان من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فانتبه ايها المغرور المفتون بدار الغرور فلا يغرنك بالله الغرور قال من قال". (١)

٧٤-"﴿ يعدهم ﴾ ما لا ينجزه من طول العمر والعافية ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس ﴿ ويمنيهم ﴾ ما لا ينالون نحو ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء او نيل المثوبات الاخروية من غير عمل ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بألسنة اوليائه . وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله اى ما يعدهم لشىء الا لان يغرهم واعلم ان العمدة فى اغواء الشيطان ان يزين زخارف الدنيا ويلقى الامانى فى قلب الانسان مثل ان يلقى فى

---

(١) تفسير حقي ٢/٩١

قلبه انه سيطول عمره وينال من الدنيا امله ومقصوده ويستولى على اعدائه ويحصل له ما تيسر لارباب المناصب والاموال وكل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره وان طال فربما لا ينال امله ومطلوبه وان طال عمره ووجد مطلوبه على احسن الوجوه فلا بد ان يفارقه بالموت فيقع فى اعظم انواع الغم والحسرة فان **تعلق القلب** بالمحبوب كلما كان اشد واقوى كانت مفارقته اعظم تأثيرا فى حصول الغم والحسرة ولذلك قيل

الفت مكير همجو الف هيج باكسى ... تابشنوى الم نشوى وقت انقطاع

فنبه سبحانه وتعالى على ان الشيطان انما يعد ويمنى لاجل ان يغر الانسان ويخدعه ويفوت عنه اعز المطالب وانفع المآرب

فالعاقل من لا يتبع وسواس الشيطان ويبتغى رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة". (١)

٧٥-"قال اناس من تجار بكر بن وائل وغيرهم من المشركين بعد قراءة على هذه الآية ستعلمون يا اهل مكة اذا فعلتم هذا ما تلقون من الشدة ومن اين تأكلون اما والله لتقطعن سبلكم ولا نحمل اليكم شيأ فوقع ذلك فى انفس اهل مكة وشق عليهم والقى الشيطان فى قلوب المسلمين الحزن وقال لهم من اين تعيشون وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم الميرة فقال المسلمون قد كنا نصيب من تجاراتهم فالآن تنقطع عنا الاسواق والتجارات ويذهب عنا الذى كنا نصيبه فيها فانزل الله تعال قوله ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ اى فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه ليكمن الارزاق والمكاسب ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ من عطائه او من تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليكم مدرارا اكثر من خيرهم وميرهم ورفق اهل تبالة وجرش واسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ﴿ ان شاء ﴾ ان يغنيكم قيده بالمشيئة مع ان التقييد بها ينافى ما هو المقصود من الاية وهو ازالة خوفهم من العيلة لفوائد الفائدة الاولى ان لا **يتعلق القلب** بتحقق الموعود بل يتعلق بكرم من وعد به ويتضرع اليه فى نيل جميع المهمات ودفع جميع الآفات والبليات

والثانية التنبيه على ان الاغناء الموعود ليس يجب على الله تعالى بل هو متفضل فى ذلك لا يتفضل به الا عن مشيئته وارادته

والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة الى جميع الاشخاص ولا بالنسبة الى جميع الامكنة والازمان

---

(١) تفسير حقي ٩٨/٣

﴿ ان الله عليم ﴾ بمصالحكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يعطى ويمنع

قال الكاشفى [حكم كنند است بتحقيق آمال ايشان اكردرى دربندد ديكرى بكشايد]

كمان مدار اكر ضايعم توبكذارى ... كه ضايعم نكذارد مسبب الاسباب

براى من در احسان اكرتودربندى ... درى دكر بكشايد مفتح الابواب

–روى– عن الشيخ ابى يعقوب البصرى رضى الله عنه قال جعت مرة فى الحرم عشرة ايام فوجد ضعفا فحدثتنى نفسى ان اخرج الى الوادى لعلى اجد شيأ ليسكن به ضعفى فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة ايام فآخرها يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت فرميت بها فدخلت المسجد فقعدت فاذا برجل جاء فجلس بين يدى ووضع قمطره وقال هذه لك قلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذرا ان خلصنا الله ان يتصدق بشيء ونذرت انا ان خلصنى الله ان اتصدق بهذه على اولى من يقع عليه بصرى من المجاورين وانت اول من لقيته قلت افتحها فاذا بها كعك سميذ ممصر ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضه من ذا وقلت رد الباقى الى صبيانك هدية منى اليهم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك مند عشرة ايام وانت تطلبه من الوادى". (١)

٧٦–"نقد عمرش زفكرت معوج ... خرج شد در رعايت مخرج

صرف كردش همه حيات سره ... در قرآآت سبع وعشره

والمقصود من البيت انه يلزم بعد تحصيل قدر ما يتحصل به تصحيح الحروف ورعاية المخرج صرف باقى العمر الى الاهم وهو معرفة الله تعالى وهو **متعلق القلب** الذى هو اشرف من اللسان وسائر الاعضاء ومعرفة الله انما تحصل غالبا بالذكر ثم الفكر بانكشاف حقائق الاشياء وحقائق القرآن فكما ان الله تعالى ايد النبى عليه السلام بجبريل فكذا ايد الولى بالقرآن وهو جبريل وعلم الشريعة يبقى هنا لان متعلقه على الفناء وانما يذهب الى الآخرة ثوابه بحسب العمل بالخلوص . واما علم الحقيقة فيذهب الى الآخرة لانه على البقاء وهو ازلى ابدى لا زوال له فى كل موطن ومقام كما افاده لى حضرة شيخى وسندى قدس الله نفسه الزاكية ونفعنى واياكم

---

(١) تفسير حقي ٢٣/٥

بعلومه النافعة". (١)

٧٧-"﴿ فقالوا ﴾ مجيبين له من غير تلعثم فى ذلك ﴿ على الله توكلنا ﴾ لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ثم دعوا ربهم قائلين ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ اى موضع عذاب لهم بان تسلطهم علينا فيعذبونا ويفتنونا عن ديننا ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وسوء جوارهم : قال المتنبي

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه ان الداعى ينبغى ان يتوكل اولا لتجاب دعوته وحقيقة التوكل اسقاط الخوف والرجاء عما سوى الله تعالى والاستغراق فى بحر شهود المسبب والانقطاع عن ملاحظة الاسباب

وقال بعضهم التزكل **تعلق القلب** بمحبة القادر المطلق ونسيان غيره يعنى لم يثبت لنفسه ولا لغيره قوة وتأثيرا بل كان منقادا للحكم الازلى بمثابة الميت فى يد الغسال

هركه در بحر توكل غرقه كشت ... همتش از ما سوى الله در كذشت

اي توكل كرجه دارد رنجها ... فهو حسبه بخشد ازوى كنجها

ولما آمن هؤلاء الذرية بموسى واشتغلوا بعبادة الله تعالى لزمهم ان يبنوا مساجد للاجتماع فيها للعبادة فان فرعون كان قد خرب مساجد بنى اسرائيل حيث ظهر عليهم لكن لم يقدروا على اظهار شعائر دينهم خوفا من اذى فرعون امروا باتخاذ المساجد فى بيوتهم كما كان المؤمنون فى اول الاسلام يعبدون ربهم سرا فى دار الارقم بمكة". (٢)

٧٨-"﴿ وان ربك هو ﴾ لا غير ﴿ يحشرهم ﴾ اى يجمع المتقدمين والمتأخرين يوم القيامة للجزاء وهو القادر على ذلك والمتولى له لا غير فهو رد لمنكرى اغلبعث ﴿ انه حكيم ﴾ بالغ الحكمة متقن فى افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هى عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغى وهى صفة من صفاته تعالى لا من صفات المخلوقين وما يسمونه الفلاسفة الحكمة مهى من نتائج العقل والعقل من صفات المخلوقين فكما لا يجوز ان يقال الله العاقل لا يجوز للمخروق الحكيم الا بالمجاز لمن آتاه الله الحكمة كما فى التأويلات

---

(١) تفسير حقي ٥/٢٩٤

(٢) تفسير حقي ٥/٣٢٧

النجمية ﴿ عليم ﴾ وسع علمه كل شئ ولعل تقديم صفى الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء

وقال الامام الواحدى فى اسباب النزول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت تصلى خلف النبى عليه السلام امرأة حسناء فى آخر النساء فكان بعضهم يتقدم فى الصف الول ليراها وكان بعضهم فى الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطه فنزلت

وقيل كانت النساء يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من فى قلبه ريبة يتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من فى قلبها ريبة تتقدم الى وصف النساء لتقرب من الرجال فنزلت وفى الحديث « خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها » قال فى فتح القريب هذا ليس على عمومه بل محمول على ما اذا اختلطن بالرجال فاذا صلين متميزات لامع الرجال فهن كالرجال ومن صلى منهن فى جانب بعيد عن الرجال فاول صفوفهن خير لزوال العلة والمراد بشر الصفوف فى الرجال والنساء كونها اقل ثوابا وفضلا وابعدها عن مطلوب الشرع وخيرها بعكسه . وانما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن عن مخالطة الرجال ورؤيتهن وتعلق القلب بهن عند رؤية حركاتهن وسماع كلامهن ونحو ذلك . وذم اول صفوفهن لعكس ذلك والصف الاول الممدوح الذى وردت الاحاديث بفضله والحث عليه هو الذى يلى الامام سواء كان صاحبه على بعد من الامام واقرب وسواء تخلله مقصورة او منبرا واعمدة ونحوها ام لا هذا هو الصحح وقيل الصف الاول هو المتصل من طرف المسجد الى طرفه ر تتخلله مقصورة ونحوها فان تخلل الذى يلى الامام شئ فليس باول الاول ما لم يتخلله شئ وان تأخر

وقيل الصف الاول عبارة عن مجيئ الانسان الى المسجد اولا وان صلى فى صف متأخر وعن انس رضى الله عنه حض رسول الله A على الصف الاول فى الصلاة فازدحم الناس عليه وكان بنو عذرة ورهم قاصيه عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشترى دورا قريبة من المسجد فانزل الله تعالى هذه الآية يعنى انما يؤجرون بالنية وفى الحديث". (١)

٧٩-"﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على اذاهم قولا وفعلا ﴿ ان وعد الله ﴾ بنصرتك واظهار دينك ﴿ حق ﴾ لا بد من انجازه والوفاء به [نكه داريد وقت كارهارا كه هركارى بوقتى بازيسته است] ﴿ ولا يستخفنك ﴾ اى لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا

قال فى المفردات لا يزعجنك ولا يزيلنك عن اعتقادك بما يوقعون من الشبه ﴿ الذين لا يوقنون ﴾ الايقان [

---

(١) تفسير حقي ٦/٣٩٤

بى كمان شدن] واليقين اخذ من اليقين وهو الماء الصافى كما فى كشف الاسرار اى لا يوقنون بالايات بتكذيبهم اياها واذاهم بباطيلهم التى من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخافة عليه السلام لكنه فى الحقيقة نهى له عن التأثر من استخفافهم على طريق الكناية روى انه لما مات ابو طالب عم النبى عليه السلام بالغ قريش فى الاذى حتى ان بعض سفهائهم نثر على رأسه الشريفة التراب فدخل عليه السلام بيته والتراب على رأسه فقام اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله عليه السلام يقول لها « لا تبكى يا بنية فان الله مانع اباك » وكذا او ذى الاصحاب كلهم فصبروا وظفروا وظفروا بالمراد فكانت الدولة لهم دينا ودنيا وآخره : قال الحافظ

دلادر عاشقى ثابت قدم باش ... كه دراين ره نباشد كار بى اجر

وفى التأويلات النجمية وبقوله ﴿ فاصبر ﴾ يشير الى الطالب الصادق فاصبرعلى مقاساة شدائد فطام النفس عن مألوفاتها تزكية لها وعلى مراقبة القلب عن التدنس بصفات النفس تصفية له وعلى معاونة الروح على بذل الوجود لنيل الجود تحلية له ﴿ ان وعد الله حق ﴾ فيما قال (ألا من طلبنى وجدنى) ﴿ ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ يشير به الى استخفاف اهل البطالة واستجهالهم اهل الايمان التقليدى يعنى لا يقطعون عليك الطريق بطريق الاستهزاء والانكار كما هو عادة اهل الزمان يستخفون طالبى الحق وينظرون اليهم بنظر الحقارة ويزروغم وينكرون عليهم فيما يفعلون من ترك الدنيا وتجردهم عن الاهالى والاولاد والاقارب وذلك لانهم لا يوقنون بوجوب طلب الحق تعالى ويجب على طالبى الحق اولا التجريد لقوله تعالى ﴿ ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ وبعد تجريد الظاهر يجب عليهم التفريد وهو قطع **تعلق القلب** من سعادة الدارين وبهذين القدمين وصل من وصل الى مقام التوحيد كما قال بعضهم خطوتان وقد وصلت قال الشيخ العطار قد سره

مكرسنك وكلوخى بود درراه ... بدريايى در افتادند ناكاه

بزارى سنك كفتا غرقة كشتم ... كنون باقعر كويم سر كذشتم

كلوخى بى زبان آواز برداشت ... شنود آن راز اوهركو خبر داشت

كه ازمن در دو عالم تن نماندست ... وجودم يك سر سوزن نما ندست

زمن نه جان ونه تن مى توان ديد ... همه درياست روشن مى توان ديد

اكر همرنك دريا كردى امروز ... شوى دروى توهم درشب افروز

وليكن تاتوخواهى بود خود را ... نخواهى بافت جانرا وخردرا". (١)

٨٠-"﴿ وصاحبته ﴾ واز زن خودبا آنكه مونس روزكاراو بوده ﴿ وبنيه ﴾ وازفرزندان خود باخيال استظهار بديشان اى يعرض الانسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيأ فقوله يوم منصوب بأعنى تفسيرا للصاخة وتأخير الا حب للمبالغة لان الابوين أقرب من الاخ **وتعلق القلب** الصاحبة والاولاد اشد من تعلقه بالابوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء فى الرجال فى الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الاهبرى قدس سره يفر منهم اذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذى لا يعجزه شئ وتمكن من فسحه التوكل واستراح فى ظل التفويض وفى الآية اشارة الى فرار مرء القلب عن أخيه السر وامه النفس وأبيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الاعمال والاحوال لان فى ذلك اليوم لا يتخلص احد بعلمله بفضله وطوله كما قال عليه السلام « لن يدخل احدكم الجنة بعمله » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا الا ان يتغمدنى الله بغفرانه »". (٢)

٨١-"﴿ وفى ذلك ﴾ الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء او فيما ذكر من احوالهم لا فى احوال غيرهم من اهل الشمال ﴿ فليتنافس المتنافسون ﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله يعنى عمل بجاى آرندكه سبب استحقاق شرب آن كردند . والامر للتحضيض والترغيب ظاهرا وللوجوب باطنا بوجوب الايمان والطاعة واصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس اى المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به واصله من النفس لعزتها وقال البغوى اصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يبخل وفى المفردات المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال ذو النون المصرى C علامة التنافس **تعلق القلب** به وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس بالوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر

---

(١) تفسير حقي ٣٨٨/١٠

(٢) تفسير حقي ٢٢/١٧

والتدبر فى كلام الرحمن وتلقى النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة .". (١)

٨٢-"جزء : ١ رقم الصفحة : ٤١٧

﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ الوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال الله تعالى : ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ (الحج : ٧٢) والمعنى أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل : أمسك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت ﴿ويأمركم بالفحشآء﴾ أي : بالخصلة الفحشاء أي : يغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر المأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا ﴿والله يعدكم﴾ أي : في الإنفاق ﴿مغفرة﴾ لذنوبكم أي : مغفرة كائنة ﴿منه﴾ عز وجل ﴿وفضلا﴾ كائنا منه تعالى أي : خلفا مما أنفقتم زائدا عليه في الدنيا وثوابا في العقبى وفيه تكذيب للشيطان ﴿والله واسع﴾ قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه ﴿عليم﴾ مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم.

﴿يؤتى الحكمة﴾ أي : مواعظ القرآن ومعنى إيتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها أي : يبينها ويوفق للعمل بها ﴿من يشآء﴾ من عباده أي : يؤتيها إياه بموجب سعة فضله وإحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا إلى العمل بها.

والموصول مفعول أول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ أي : يعط العلم والعمل ﴿فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ أي : أي خير كثير فإنه قد حيز له خير الدارين ﴿وما يذكر﴾ أي : وما يتعظ بما أوتي من الحكمة ﴿إلا أولوا الالباب﴾ أي : العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون إلى متابعة الهوى.

فالمراد منهم الحكماء العلام العمال ولا يتناول كل مكلف وإن كان ذا عقل لأن من لا يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكأنه لا عقل له قيل : من أعطى علم القرآن ينبغي أن لا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم لأن ما أعطيه خير كثير والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام : "القرآن غني لا غنى بعده".

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤١٧

والإشارة أن الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهرا فهو يأمر بالفحشاء حقيقة.

والفحشاء اسم جامع لكل سوء لأن عدته بالفقر تتضمن معاني الفحشاء وهي البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل

---

(١) تفسير حقي ١٠٥/١٧

عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والإعراض عن الحق والإقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى **وتعلق القلب** بغيره ومتابعة الشهوات وإيثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبزر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته

٤٣١

فسوف يبتلى بهذه الآفات ومن سد هذا الباب فإن الله يكرمه بأنواع الكرامات ورفعة الدرجات والله واسع عليم يؤتي من اجتنب عن وساوسه الحكمة وهي من مواهبه ترد على قلوب الأنبياء والأولياء عند تجلي صفات الجلال والجمال وفناء أوصاف الخلقية بشواهد صفات الخالقية فيكاشف الأسرار بحقائق معان أورثتها تلك الأنوار سرا بسر وإضمارا بإضمار.

فحقيقة الحكمة نور من أنوار صفات الحق يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فهذه ليست مما تدرك بالعقول والبراهين العقلية والنقلية وأما المعقولات فهي مشتركة بين أهل الدين وأهل الكفر فالمعقول ما يحكم العقل عليه ببرهان عقلي وهذا ميسر لكل عاقل بالدراية وعالم بالقراءة فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال فيدلك عقله المعقول بالبرهان دراية عقلية ومن لم يصف العقل عن هذه الآفات فهو يدرك المعقول قراءة بتفهيم أستاذ مرشد فأما الحكمة فليست من هذا القبيل وما يذكر إلا أولو الألباب وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول الإنسانية بل سعوا في طلب لبها بمتابعة الأنبياء عليهم السلام فأخرجوهم من ظلمات قشور العقول الإنسانية إلى نور لب المواهب الربانية فتحقق لهم أن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فانتبه أيها المغرور المفتون بدار الغرور فلا يغرنك بالله الغرور قال من قال :

نكر تاقضا از كجاسير كرد

كه كورى بودتكيه بر غير كرد

فغان ازبديها كه در نفس ماست

كه ترسم شود ظن إبليس راست

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤١٧

". (١)

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع ٣٥٢/١

٨٣-"ومنها الوشم وهو أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو بنيلنج وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضر.

قال بعض أصحاب الشافعي وجبت إزالته إن أمكن بالعلاج وإلا فبالجرح إن لم يخف فوت عضو.

ومنها الوشر وهو أن تحدد المرأة أسنانها وترققها تشبيها بالشواب.

ومنها التنمص : وهو نتف شعور الوجه يقال تنمصت المرأة إذا تزينت بنتف شعر وجهها وحاجبها والنامصة المرأة التي تزين النساء بالمنمص والمنمص والمنماص المنقاش وقد لعن النبي عليه السلام "النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة".

والواصلة هي التي تصل شعر غيرها بنفسها.

والمستوصلة هي التي تأمر غيرها بأن توصل ذلك إلى شعرها.

قال ابن الملك الواصلة هي التي تصل الشعر بشعر آخر زورا والمستوصلة هي التي تطلبه والرجل والمرأة سواء في ذلك هذا إذا كان المتصل شعر الآدمي لكرامته فلا يباح الانتفاع بشيء من أجزائه أما غيره فلا بأس بوصله.

فيجوز اتخاذ النساء القراميل من الوبر.

وقيل فيه تفصيل إن لم يكن لها زوج فهو حرام أيضا وإن كان فإن فعلته بإذن الزوج أو السيد يجوز وإلا فلا ثم إنها إن فعلت ذلك بصغيرة تأثم فاعلته ولا تأثم المفعولة لأنها غير مكلفة.

ويدخل في التنمص نتف شعر العانة فإن السنة حلق العانة ونتف الإبط.

ومنها السحق وهو لكونه عبارة عن تشبه الأنثى بالذكور من قبيل تغيير خلق الله عن وجهه صفة وفي الحديث المرفوع : "سحاق النساء زنى بينهن" وكذا التخنث لما فيه من تشبه الذكر بالأنثى وهو إظهار اللين في الأعضاء والتكسر في اللسان.

ومنها اللواطة لما فيها من إقامة ما خلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة والنظر إلى صبيح الوجه بالشهوة حرام ومجالسته حرام لأنه عورة من القرن إلى القدم وجاء في بعض الروايات "إن مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا".

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٨٥

ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب والحجارة

٢٨٨

فإن عبادتها وإن لم تكن تغييرا لصورها لكنها تغيير لصفتها فإن شيئا منها لم يخلق لأن يعبد من دون الله وإنما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذي خلق لأجله وكذا الكفر بالله وعصيانه فإنه أيضا تغيير خلق الله من وجهه صفة فإنه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلي بحلية الإيمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد أبطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله صفة ويؤيده قوله عليه السلام : "كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه" وكذا استعمال الجوارح في غير ما خلقت لأجله تغيير لها عن وجهها صفة.

والجمل الأربع وهي لأتخذن ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم كل واحدة منها مقول للشيطان فلا يخلو إما أن يقولها بلسان جسمه أو بلسان فعله وحاله ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله﴾ بإيثار ما يدعو إليه على ما أمره الله به ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعة ﴿فقد خسر خسرانا مبينا﴾ لأنه ضيع رأس ماله بالكلية وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار ﴿يعدهم﴾ ما لا ينجزه من طول العمل والعافية ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس ﴿ويمنيهم﴾ ما لا ينالون نحو أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء أو نيل المثوبات الأخروية من غير عمل ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بإلقاء الخواطر الفاسدة أو بألسنة أوليائه.

وغرورا إما مفعول ثان للوعد أو مفعول لأجله أي ما يعدهم لشيء إلا لأن يغرهم.

واعلم أن العمدة في إغواء الشيطان أن يزين زخارف الدنيا ويلقي الأماني في قلب الإنسان مثل أن يلقي في قلبه أنه سيطول عمره وينال من الدنيا أمله ومقصوده ويستولي على أعدائه ويحصل له ما تيسر لأرباب المناصب والأموال وكل ذلك غرور لأنه ربما لا يطول عمره وإن طال فربما لا ينال أمله ومطلوبه وإن طال عمره ووجد مطلوبه على أحسن الوجوه فلا بد أن يفارقه بالموت فيقع في أعظم أنواع الغم والحسرة فإن **تعلق القلب** بالمحبوب كلما كان أشد وأقوى كانت مفارقته أعظم تأثيرا في حصول الغم والحسرة ولذلك قيل :

الفت مكير همو الف هي باكسى

تابشنوى الم نشوى وقت انقطاع

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٨٥

". (١)

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٢/٢٣٠

٨٤-"قال في "التبيان" أي لا يدخلوا الحرم كله وحدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة أميال ومن طريق العراق على سبعة أميال ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال ومن طريق الطائف على تسعة أميال ومن طريق جدة على عشرة أميال انتهى.

﴿بعد عامهم هاذا﴾ وهو السنة التاسعة من الهجرة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه أميرا وكانت حجة الوداع في السنة العاشرة هو الظاهر الذي عليه الإمام الشافعي وأما على مذهب الإمام الأعظم ، فالمراد من الآية المنع من الدخول حاجا أو معتمرا ، فالمعنى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد هذا العام ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة "ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك" فلا يمنع المشرك عنده من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٠٢

قال في "الأشباه" : في أحكام الذمي ولا يمنع من دخول المسجد جنبا بخلاف المسلم ولا يتوقف دخوله على إذن مسلم عندنا ولو كان المسجد الحرام.

ثم قال في أحكام الحرم ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه انتهى.

يقول الفقير : لعل الحكمة في أن الجنب المسلم يمنع من دخول المسجد دون الجنب الكافر أن ما هو عليه الكافر من الشرك أو الخبث القلبي والجنابة المعنوية أعظم من حدثه الصوري فلا فائدة في منعه نعم إذا كان عليه نجاسة حقيقية يمنع ؛ لأنا مأمورون بتطهير المساجد عن القاذورات ولذا قالوا بحرمة إدخال الصبيان والمجانين في المساجد حيث غلب تنجيسهم وإلا فيكره كما في "الأشباه" هذا فلما منعوا من قربان المسجد الحرام.

قال أناس من تجار بكر بن وائل وغيرهم من المشركين بعد قراءة علي هذه الآية ستعلمون يا أهل

٤١٠

مكة إذا فعلتم هذا ماذا تلقون من الشدة ومن أين تأكلون أما والله لنقطعن سبلكم ولا نحمل إليكم شيئا فوقع ذلك في أنفس أهل مكة وشق عليهم وألقى الشيطان في قلوب المسلمين الحزن ، وقال لهم : من أين تعيشون وقد نفي المشركون وانقطعت عنكم الميرة فقال المسلمون قد كنا نصيب من تجاراتهم فالآن تنقطع عنا الأسواق والتجارات ويذهب عنا الذي كنا نصيبه فيها فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي : فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه إليكم من الأرزاق والمكاسب.

﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ من عطائه أو من تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء

عليكم مدرارا أكثر من خيرهم وميرهم ووفق أهل تبالة وجرش وأسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض.

﴿إن شآء﴾ أن يغنيكم قيده بالمشيئة مع أن التقييد بها ينافي ما هو المقصود من الآية وهو إزالة خوفهم من العيلة بفوائد :

الفائدة الأولى : أن لا يتعلق القلب بتحقق الموعود بل يتعلق بكرم من وعد به ويتضرع إليه في نيل جميع المهمات ودفع جميع الآفات والبليات.

والثانية : التنبيه على أن الإغناء الموعود ليس يجب على الله تعالى بل هو متفضل في ذلك لا يتفضل به إلا عن مشيئته وإرادته.

والثالثة : التنبيه على أن الموعود ليس بموعود بالنسبة إلى جميع الأشخاص ولا بالنسبة إلى جميع الأمكنة والأزمان ﴿إن الله عليم﴾ بمصالحكم ﴿حكيم﴾ فيما يعطي ويمنع.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٠٢

قال الكاشفي : (حكم كننده است بتحقيق آمال ايشان اكردرى دربندد ديكرى بكشايد).

كمان مدار اكر ضايعم توبكذارى

كه ضايعم نكذارد مسبب الأسباب

براى من دراحسان اكر تودربندى

در دكر بكشايد مفتح الأبواب

روي عن الشيخ أبي يعقوب البصري رضي الله عنه ، قال : جعت مرة في الحرم عشرة أيام فوجد ضعفا ، فحدثتني نفسي أن أخرج إلى الوادي لعلي أجد شيئا ليسكن به ضعفي فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة ، وكأن قائلا يقول : لي جعت عشرة أيام فآخرها يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها فدخلت المسجد فقعدت فإذا برجل جاء فجلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك ، قلت كيف خصصتني بها؟ فقال : اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام فأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذرا إن خلصنا الله أن يتصدق بشيء ونذرت أنا إن خلصني الله أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين وأنت أول من لقيته قلت : افتحها فإذا فيها كعك سميذ ممصر ولوزمقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى صبيانك هدية مني إليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير إليك منذ عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي.

قال الصائب :

فكر آب ودانه دركنج قفس بي حاصلست

زير رخ انديشه روزى را باشد مرا

وفي الآية : إشارة إلى أن الله تعالى قد رفع قلم التكليف عن الإنسان إلى أن يبلغ استكمال القالب ففي تلك المدة كانت النفس وصفاتها يطفن حول كعبة القلب مستمدة من القوى

٤١١

". (١)

٨٥-"قال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانيا فانتهرني وقال : جعلت القراءة على عملا اذهب فاقرأ على غيري فانظر ماذا يأمرك وينهاك وماذا يفهمك كذا في الإحياء ونعم ما قيل :

نقد عمرش زفكرت معوج

خرج شد در رعايت مخرج

صرف كردش همه حيات سره

در قبراآت سبع وعشره

والمقصود من البيت أنه يلزم بعد تحصيل قدر ما يتحصل به تصحيح الحروف ورعاية المخرج صرف باقي العمر إلى الأهم وهو معرفة الله تعالى وهو **متعلق القلب** الذي هو أشرف من اللسان وسائر الأعضاء ومعرفة الله إنما تحصل غالبا بالذكر ، ثم بالفكر بانكشاف حقائق الأشياء وحقائق القرآن ، فكما أن الله تعالى أيد النبي عليه السلام بجبريل ، فكذا أيد الولي بالقرآن وهو جبريل ، وعلم الشريعة يبقى هنا لأن متعلقه على الفناء وإنما يذهب إلى الآخرة ثوابه بحسب العمل بالخلوص ، وأما علم الحقيقة فيذهب إلى الآخرة لأنه على البقاء وهو أزلي أبدي لا زوال له في كل موطن ومقام كما أفاده لي حضرة شيخي وسندي قدس الله نفسه الزاكية ونفعني وإياكم بعلومه النافعة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٣

﴿مآ أنزل الله لكم من رزق﴾ ما استفهامية منصوبة المحل بانزل سادة مسد المفعلوين لأرأيتم جعل الرزق منزلا من السماء مع أن الأرزاق إنما تخرج من الأرض إما لأنه مقدر في السماء كما قال تعالى : وفي السماء

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع ٣/٣١٢

رزقكم﴾(الذاريات : ٢٢) ولا يخرج من الأرض إلا على حسب ما قدر فيها فصار بذلك كأنه منزل منها ، أو لأنه إنما يخرج من الأرض بأسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فإن المطر سبب الإنبات والشمس سبب النضج والقمر سبب اللون واللام للمنفعة فدلت على أن المراد منه ما حل.

﴿فجعلتم منه﴾ (الأنعام : ١٣٨) وقولهم ﴿ما فى بطون هاذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ (الأنعام : ١٣٩) وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿فقال لهم الله﴾ (اياخدا) أذن لكم في ذلك الجعل فأنتم فيه ممتثلون لأمره قائلون بالتحريم والتحليل بحكمه أم على الله تفترون في نسبة ذلك إليه.

وفي الكواشي هذه الآية من أبلغ الزواجر عن التجوز فيما يسأل عنه من الحكم ، وباعثة على الاحتياط فيه ومن لم يحتط في الحكم فهو مفتر انتهى.

قال علي كرم الله وجهه : من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض.

وسألت بنت علي البلخي أباها عن القيء إذا خرج إلى الحلق ، فقال : يجب إعادة الوضوء فرأى رسول الله فقال : لا يا علي حتى يكون ملء الفم فقال : علمت أن الفتوى تعرض على رسول الله فآليت على نفسي أن لا أفتي أبدا.

وفي الآية إشارة إلى أنه لا يجوز للمرء أن يعتقد ويقول : إن الرزق المعنوي من الواردات الإلهية والشواهد الربانية حرام على أرباب النفوس وحلال على أصحاب القلوب ، وإن تحصيل هذه السعادات ونيل هذه الكرامات ليس من شأننا وإنما هو من شأن الأخيار الكبراء وخواص الأنبياء والأولياء ، فإن هذا افتراء على الله فإن الله تعالى ما خص قوما بالدعوة إلى الدرجات والمقامات العلية بل جعل الدعوة عامة لقوله : والله يدعو إلى دار السلام﴾(يونس : ٢٥) وقوله : ﴿يدعوكم ليغفر لكم﴾ (إبراهيم : ١٠) فتحريمه هذا الرزق على نفسه من خساسة نفسه وركاكة عقله ودناءة همته وإلا فالله تعالى لم يسد عليه هذا الباب بل هو الفياض الوهاب.

قال الحافظ :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٦

عاشق كه شدكه يا بخالش نظر نكرد

اي خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست

وقال :

طالب لعل وكهرنيست وكرنه خورشيد

همنان در عمل معدن وكانست كه بود

وفي "المثنوى" :

كر كران وكر شتابنده بود

عاقبت جو ينده يا بنده بود

وفي ()الحكم العطائية" وشرحها : من استغرب أن ينقذه الله من شهوته التي اعتقلته عن الخيرات ، وأن يخرجه من وجود غفلته التي شملته في جميع الحالات فقد استعجز القدرة الإلهية ومن استعجزها فقد كفر أو كاد ودليل ذلك أن الله تعالى يقول : ﴿وكان الله على كل شىء مقتدرا﴾ أبان سبحانه أن قدرته شاملة صالحة لكل شيء وهذا أمس الأشياء وإن أردت الاستعانة على تقوية رجائك في ذلك فانظر لحال من كان مثلي ثم انقذه الله وخصه بعنايته كإبراهيم بن أدهم ، وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وذي النون ومالك بن دينار وغيرهم من مجرمي البداية.

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ما استفهامية في محل الرفع على الابتداء وظن خبرها ومفعولاه محذوفان ، وزيادة الكذب مع إن الافتراء لا يكون إلا كذبا لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم أيضا يوم القيامة ظرف لنفس الظن أي : أي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال ، والمراد تهويله

٥٦

". (١)

٨٦-"قال صاحب إنسان العيون : هو عبد الله الحجاج ولا مانع من أن يكون الحجاج من قريش.

وفي حياة الحيوان إن العرب إذا أرادوا مدح الإنسان قالوا : كبش وإذا أرادوا ذمه قالوا : تيس ومن ثمة قال : في المحلل (التيس المستعار).

فما آمن لموسى في مبدأ أمره قبل إلقاء العصا وأما إيمان السحرة فقد وقع بعده فلا ينافي الحصر المذكور هنا إلا ذرية من قومه أي : إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم وذلك إن لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لحمله على التحقير والإهانة ههنا فوجب حمله على التصغير بمعنى قلة العدد أو حداثة السن على خوف أي : كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم أي : ملأ الذرية ولم يؤنث ، لأن الذرية قوم فذكر على المعنى.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٤/٢٨

تلخيصه آمنوا وهم يخافون من فرعون من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ، ويجوز أن يكون الضمير لفرعون على أن المراد بفرعون آله كثمود اسم قبيلة أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون أو يرجع آباؤهم إلى فرعون ليردهم إلى الكفر ، وهو بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك أعجبني زيد علمه وإسناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الآمر بالتعذيب.

قال في التأويلات النجمية : فما آمن لموسى القلب إلا ذرية من قومه وهي صفاته ويجوز أن تكون الهاء في قومه راجعة إلى فرعون النفس ، أي : ما آمن لموسى القلب إلا بعض صفات فرعون النفس فإنه يمكن تبديل أخلاقها الذميمة بالأخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون ، وملائهم يعني على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها بأن يبدلوها بأخلاقها الطبيعية التي جبلت النفس عليها ، وبهذا يشير إلى أن النفس ، وإن تبدلت صفاتها الأمارية إلى المطمئنة لا يؤمن مكرها وتبدلها من المطمئنة إلى الأمارية كما كان حال بلعام وبرصيصا أن يفتنهم بالدنيا وشهواتها ويرجع النفس قهقرى إلى أماريتها انتهى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره : الأطهر فيمواقع النجوم : وعلامة المدعى في الوصول رجوعه إلى رعونة النفس وإعراضها ولهذا قال أبو سليمان الداراني : من رؤساء المشايخ : لو وصلوا ما رجعوا ، وإنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول فمن لم يتخلق لم يتحقق وعلامة من صح وصوله الخروج عن الطبع ، والأدب مع الشرع ، واتباعه حيث سلك انتهى وإن فرعون لعال في الأرض لغالب في أرض مصر ومتكبر وطاغ.

وإنه لمن المسرفين في الظلم الفساد بالقتل وسفك

٧١

الدماء أو في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء ، وهم بنوا إسرائيل فإنهم من فروع يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧٠

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم ءامنتم بالله﴾ أي : صدقتم به وبآياته وعلمتم أن إيصال المنافع ودفع المضار بقبضة اقتداره فعليه توكلوا وثقوا به واعتمدوا عليه ولا تخافوا أحدا غيره.

قال بعضهم : وصف نوح عليه السلام نفسه بالتوكل على وجه يفيد الحصر فقال : فعلى الله توكلت وموسى عليه السلام أمر قومه بذلك فظاهر أن هذه الدرجة فوق درجة نوح انتهى.

يقول الفقير : كان الكلام في القصة الأولى مع نوح وفي الثانية مع قوم موسى ولذا اقتصر نوح في تخصيص التوكل بالله تعالى على نفسه وموسى أمر بذلك ؛ وذا لا يدل على رجحان درجته على درجة نوح في هذا

الباب لتغاير الجهتين ، كما لا يخفى على أولى الألباب إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له ، وليس هذا من تعليق الحكم الذي هو وجوب التوكل بشرطين مختلفين هما الايمان بالله والإسلام وإلا لزم أن لا يجب التوكل بمجرد الإيمان بالله ، بل هما حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة ، علق وجوب التوكل على الإيمان بالله فإنه المقتضى له وعلق حصول التوكل ووجوده على الإسلام فإن الإسلام ، لا يتحقق مع التخليط ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت.

فقالوا مجيبين له من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أي : موضع عذاب لهم بأن تسلطهم علينا فيعذبونا ويفتنونا عن ديننا.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧١

﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وسوء جوارهم.

قال المتنبي :

ومن نكد الدنياعلى الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولا لتجاب دعوته وحقيقة التوكل إسقاط الخوف والرجاء عما سوى الله تعالى ، والاستغراق في بحر شهود المسبب والانقطاع عن ملاحظة الأسباب.

وقال بعضهم : التوكل **تعلق القلب** بمحبة القادر المطلق ونسيان غيره ، يعني : لم يثبت لنفسه ولا لغيره قوة وتأثيرا بل كان منقادا للحكم الأزلي بمثابة الميت في يد الغسال :

هركه در بحر توكل غرقه كشت

" . (١)

٨٧-"كان من الرجال من في قلبه ريبة يتأخر إلى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة تتقدم إلى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت ، وفي الحديث : خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها قال في فتح القريب هذا ليس على عمومه بل محمول على ما إذا اختلطن بالرجال فإذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال ومن صلى منهن في جانب بعيد عن الرجال

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٤/٣٩

فأول صفوفهن خير لزوال العلة والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء كونها أقل ثوابا وفضلا وأبعدها عن مطلوب الشرع وخيرها بعكسه.

وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن عن مخالطة الرجال ورؤيتهن **وتعلق القلب** بهن عند رؤية حركاتهن وسماع كلامهن ونحو ذلك ، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والصف الأول الممدوح الذي وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الذي يلي الإمام ، سواء كان صاحبه على بعد من الإمام أو قرب وسواء تخلله مقصورة أو منبرا وأعمدة ونحوها أم لا هذا هو الصحيح وقيل الصف الأول هو المتصل من طرف المسجد إلى طرفه لا تتخله مقصورة ونحوها فإن تخلل الذي يلي الامام شيء فليس بأول بل الأول ما لم يتخلله شيء وإن تأخر.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٥٥

وقيل الصف الأول عبارة عن مجيء الانسان إلى المسجد أولا وإن صلى في صف متأخر وعن أنس رضي الله عنه حض رسول الله على الصف الأول في الصلاة فازدحم الناس عليه وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد فانزل الله تعالى هذه الآية يعني إنما يؤجرون بالنية وفي الحديث : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

قال في فتح القريب الدار البعيدة لمن يقدر على المشي أفضل وهذا في حق من هو متفرغ لذلك ولا يفوته بكثرة خطاه أو مشيه إلى المسجد مهم من مهمات الدين فإن كان يفوته ذلك كالاشتغال بالعلم والتعلم والتعليم ونحو ذلك من فروض الكفاية فالدار القريبة في حقه أفضل وكذا الضعيف عن المشي ونحوه.

فإن قيل روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي قال : فضل البيت القريب من المسجد على البعيد منه كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد.

فالجواب أن هذا في نفس البقعة وذاك في الفعل فالبعيد دارا مشيه أكثر وثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد ولهذا قيل في قوله : الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس إن شؤم الدار أن تكون بعيدة عن المسجد لا يسمع ساكنها الأذان.

قال العلماء : ينبغي أن يستثنى من أفضلية الأبعد الإمام ، فإن النبي عليه السلام والأئمة بعده لم تتباعد عن المسجد لطلب الأجر.

واختلف فيمن قربت داره من المسجد هل الأفضل له أن يصلي فيه ، أو يذهب إلى الأبعد فقالت طائفة

الصلاة في لأبعد أفضل عملا بظاهر الأحاديث وقيل الصلاة في الأقرب أفضل لما روى الدارقطني أن النبي قال : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ولإ حياء حق المسجد ولماله من الجوار فإن كان في جواره مسجد ليس فيه جماعة وبصلاته فيه تحصل الجماعة كان فعلها في مسجد الجوار أفضل على المذهب ، لما في ذلك من عمارة المسجد وإحيائه بالجماعة ، أما لو كان

٤٥٦

إذا صلى في المسجد الجوار صلى وحده فالبعيد أفضل ولو كان إذا صلى في بيته صلى جماعة وإذا صلى في المسجد صلى وحده ففي بيته أفضل.

قال بعضهم : جار المسجد أربعون دارا من كل جانب ، وقيل جار المسجد من سمع النداء ويقال : أراد بالآية المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره وفي الحديث : أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله تعالى قال في شرح كتاب الشهاب للقضاعي عند قوله عليه السلام : نوروا بالفجر فإنه أعظم للأجر (كفت نماز بامداد بروشنايي كنيدكه مزد بزر كتراباشد يعني بآخر وقت واين مذهب أبو حنيفة رحمه الله باشدكه نماز بآخر وقت فاضلتر باشد يعني كه وجوب متأكد ترباشد كه بفوات نزديكتر باشد ومذهب امام شافعي رحمه الله كفت اول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله وعفو نباشد إلا ازكناه س معلوم كشت كه اول وقت فاضلتر باشد) قال أبو محمد النيسابوري المراد بآخر الوقت بعد خروجه لأن العفو يقتضي ذلك لأنه لا يكون إلا عن ذنب ، فالمراد بأول الوقت عنده جميع الوقت كما قال في أسئلة الحكم لوقت وقتان ، وقت الأداء ووقت القضاء فوقت الأداء هو أول الوقت المرضى عند الله ووقت القضاء هو الوقت المرخص فيه وآخر الوقت هو القضاء وهو عفو الله عمن قضى الصلاة خارج وقتها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٥٥

فإن قيل : ما معنى أول الوقت رضوان الله؟.". (١)

٨٨-"وفي "التأويلات النجمية" : على مخالفة هواهم وموافقة أوامر الشرع ونواهيه وفي الحديث : "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم تزوجها فله أجره مرتين وعبد أدى حق الله وحق مواليه ورجل آمن بالكتاب الأول ثم آمن بالقرآن فله أجره مرتين" كما في "كشف الأسرار" ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ أي يدفعون بالطاعة المعصية وبالقول الحسن القول القبيح.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٣٠٣/٤

وفي "التأويلات النجمية" : أي بأداء الحسنة من الأعمال الصالحة يدفعون ظلمة السيئة وهي مخالفات الشريعة كما قال عليه السلام : "اتبع السيئة الحسنة تمحها" وقال تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيات﴾ وهذا لعوام المؤمنين ولخواصهم أن يدفعوا بحسنة ذكر لا إله إلا الله عن مرآة القلوب سيئة صدأ حب الدنيا وشهواتها ولأخص خواصهم أن يدفعوا بحسنة نفي لا إله سيئة شرك وجود الموجودات بقطع **تعلق القلب** عنها وغض بصر البصيرة عن رؤية ما سوى الله بإثبات وجود إلا الله كما كان الله ولم يكن معه شيء ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في سبيل الخير وفيه إشارة إلى إنفاق الوجود المجازي في طلب الوجود الحقيقي.

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ من اللاغين وهو الساقط من الكلام.

وبالفارسية (سخن بيهوده).

﴿أعرضوا عنه﴾ أي : عن اللغو وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون : تبا لكم تركتم دينكم القديم فيعرضون عنهم ولا يشتغلون بالمقابلة ﴿وقالوا﴾ للاغين ﴿لنآ أعمالنا﴾ من الحلم والصفح ونحوهما ﴿ولكم أعمالكم﴾ من اللغو والسفاهة وغيرهما فكل مطالب بعمله ﴿سلام عليكم﴾ هذا السلام ليس بتسليم مواصل وتحية موافق بل هو براءة وسلام مودع مفارق.

يعني (رتك شما كرديم) ﴿لا نبتغى الجاهلين﴾ الابتغاء الطلب والجهل معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه أي لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم ومخاطبتهم والتخلق بأخلاقهم (ه مصاحبت با شرار موجب بدنامي دنيا است وسبب بد فرجامي عقبى است) :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤١٣

از بدان بكريز وبانيكان نشين

يا ربد زهري بود بي انكبين

وحكم الآية وإن كان منسوخا بآية السيف إلا أن فيه حثا على مكارم الأخلاق وفي الحديث : "ثلاث من لم يكن فيه فلا يعتد بعلمه حلم يرد به جهل جاهل وورع يحجز عن معاصي الله وحسن خلق يعيش به في الناس".

قال الشيخ سعدي : (جالينوس ابلهي را ديدكه دست بكرثيبان دانشمندي زده وبي حرمتي كرده كفت اكراين دانشمند دانا بودي كاراوبناداان بدين جايكه نرسيدي) :

دو عاقل را نباشد كين ويكار

نه دنايي ستيزد باسبكار

اكر نادان بوحشت سخت كويد
خردمندش برحمت دل بجويد
دو صاحب دل نكه دارند موبي
هميدون سركشي وازرم جوبي
٤١٤
اكر برهر دو جانب جاهلانند
اكر زنجير باشد بكسلانند
يكي را زشت خوبي داد دشنام
تحمل كردو كفت أي نيك فرجام
بترزانم كه خواهي كفتن آني
كه دانم عيب من ون من نداني
(يكي برسررتاهي مست خفته بود وزمام اختيار ازدست رفته عابدي بر سر أو كذر كرد ودر حالت مستقبح أو نظر جوان مست سربر آورد وكفت) قوله تعالى : ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ :
إذا رأيت أثيما
كن ساترا وحليما
يا من يقبح لغوي
لم لا تمر كريما
متاب أي ارسا روي از كنهكار
ببخشايندكي دروي نظركن
أكر من ناجوانمردم بكردار
توبر من ون جوانمردان كذركن
واعلم أن اللغو عند أرباب الحقيقة ما يشغلك عن العبادة وذكر الحق وكل كلام بغير خطاب الحال والواقعة وطلب ما سوى الله.
﴿وإذا سمعوا﴾ مثل هذا ﴿اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنآ أعمالنا﴾ في بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي ﴿ولكم أعمالكم﴾ في اكتساب مرادات الوجود المجازي واستجلاب مضرات الشهوات وترك الوجود الحقيقي

والحرمان من سعادة الانتفاع بمنافعه ﴿سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين﴾ الغافلين عن الله وطلب المحجوبين عن الله بما سواه فعلم من هذا أن طالب ما سوى الله تعالى جاهل عن الحقيقية ولو كان عارفا بمحاسنها لكان طالبا لها لا لغيرها فينبغي لطالبها من السلاك أن لا يبتغي صحبة الجهلاء فإنه ليس بينهم وبينه مجانسة والمعاشرة بالأضداد أضيق السجون مع أنه لا يأمن الضعيف أن تؤثر فيه صحبتهم ويتحول حاله ويتغير طبعه ويتوجه عليه المكر وينقلب من الإقبال إلى الإدبار فيكون من المرتدين نعوذ بالله من الحور بعد الكور ونسأله الثبات والتوفيق والموت في طريق التحقيق.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤١٣

". (١)

٨٩-"﴿كذالك﴾ أي : مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿يطبع الله﴾ يختم بسبب اختيارهم الكفر ، وبالفارسية : (مهرمى نهد خداى تعالى) ﴿على قلوب الذين لا يعلمون﴾ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها وترهات فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق.

واعلم أن الطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش والطابع والخاتم ما يطبع به ويختم والطابع فاعل ذلك وبه اعتبر الطبع

٦٠

والطبيعة التي هي السجية فإن ذلك هو نقش النفس بصورة ما أما من حيث الخلقة أو من حيث العادة وهو فيما ينقش به من جهة الخلقة أغلب وشبه إحداث الله تعالى في نفوس الكفار هيئة تمرنهم وتعودهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب إعراضهم عن النظر الصحيح بالختم والطبع على الأواني ونحوها في أنهما مانعان فإن هذه الهيئة مانعة عن نفوذ الحق في قلوبهم كما أن الختم على الأواني ونحوها مانع عن التصرف فيها ثم استعير الطبع لتلك الهيئة ثم اشتق منه يطبع فيكون استعارة تبعية.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣

﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذاهم قولا وفعلا ﴿إن وعد الله﴾ بنصرتك وإظهار دينك ﴿حق﴾ لا بد من إنجازه والوفاء به (نكه داريد وقت كارها راكه هركارى بوقتى بازيسته است) ﴿ولا يستخفنك﴾ أي : لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٣٠١/٦

قال في "المفردات" : لا يزعجنك ولا يزيلنك عن اعتقادك بما يوقعون من الشبه ﴿الذين لا يوقنون﴾ الإيقان (بى كمان شدن) واليقين أخذ من اليقين وهو الماء الصافي كما في "كشف الأسرار" أي : لا يوقنون بالآيات بتكذيبهم إياها وأذاهم بأباطيلهم التي من جملتها قولهم إن أنتم إلا مبطلون فإنهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم أمثال ذلك فظاهر النظم الكريم وإن كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام لكنه في الحقيقة نهى له عن التأثر من استخفافهم على طريق الكناية.

. روي . أنه لما مات أبو طالب عم النبي عليه السلام بالغ قريش في الأذى حتى أن بعض سفهائهم نثر على رأسه الشريفة التراب فدخل عليه السلام بيته والتراب على رأسه فقام إليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله عليه السلام يقول لها : "لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك" وكذا أوذي الأصحاب كلهم فصبروا وظفروا بالمراد فكانت الدولة لهم دينا ودنيا وآخرة ، قال الحافظ :

دلادر عاشقى ثابت قدم باش

كه دراين ره نباشد كار بى اجر

وفي "التأويلات النجمية" : قوله : ﴿فاصبر﴾ يشير إلى الطالب الصادق فاصبر على مقاساة شدائد فطام النفس عن مألوفاتها تزكية لها وعلى مراقبة القلب عن التدنس بصفات النفس تصفية له وعلى معاونة الروح على بذل الوجود لنيل الجود تحلية له ﴿إن وعد الله حق﴾ فيما قال : "ألا من طلبني وجدني".

﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ يشير به إلى استخفاف أهل البطالة واستجهالهم أهل الحق وطلبه وهم ليسوا أهل الإيقان وإن كانوا أهل الإيمان التقليدي يعني لا يقطعون عليك الطريق بطريق الاستهزاء والإنكار كما هو عادة أهل الزمان يستخفون طالبي الحق وينظرون إليهم بنظر الحقارة ويزروهم وينكرون عليهم فيما يفعلون من ترك الدنيا وتجردهم عن الأهالي والأولاد والأقارب وذلك لأنهم لا يوقنون بوجوب طلب الحق تعالى ويجب على طالبي الحق أولا التجريد لقوله تعالى : ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ (التغابن : ١٤) وبعد تجريد الظاهر يجب عليهم التفريد وهو قطع **تعلق القلب** من سعادة الدارين وبهذين القدمين وصل من وصل إلى مقام التوحيد كما قال بعضهم خطوتان وقد وصلت قال الشيخ العطار قدس سره :

مكرسنك وكلوخى بود درراه

بدريايى در افتادند ناكاه

٦١

بزارى سنك كفتا غرقه كشتم

كنون باقعر كويم سر كذشتم
وليكن آن كلوخ ازخود فناشد
ندانم تاكجا رفت وكجاشد
كلوخى بى زبان آواز برداشت
شنود آن راز اوهركو خبر داشت
كه ازمن در دوعالم تن نماندست
وجودم يك سرسوزن نماندست
زمن نه جان ونه تن مى توان ديد
همه درياست روشن مى توان ديد
اكر همرنك درياكردى امروز
شوى دروى توهم درشب افروز
وليكن تاتوخواهى بود خودرا
نخواهى يافت جانرا وخردرا
وفي "المثنوي" :
آن يكى نحوى بكشستى درنشست
روبكشيتبان نهاد آن خود رست
كفت هي ازنحو خواندى كفت لا
كفت نيم عمر توشد درفنا
دل شكسته كشت كشتيبان زتاب
ليك اندم كرد خاموش از جواب
باد كشتى را بكردابى فكند
كفت كشتيبان بآن نحوى بلند
هي دانى آشنا كردن بكو
كفت نى از من توسباهى مجو
كفت كل عمرت اى نحوى فناست

زانكه كشتى غرق اين كردابهاست

محومى بايد نه نحو انيجا بدان

كر تومحوى بى خطر درآب ران

آب دريا مرده را برسرنهد

وربود زنده زدر ياكى رهد

ون بمردى تو زاوصاف بشر

بحر اسرارت نهد بر فرق سر

". (١)

٩٠-"﴿وأبا﴾ أي مرعى من أنه آذا أمه أي قصده لأنه يؤم ويقصد جزه للدواب أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيء للرعى وأب إلى وطنه إذا نزع إليه نزوعا تهيأ لقصده وكذا أب لسيفه إذ تهيأ لسله وأبان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهييء لفعله ومجيئه أو الأب الفاكهة اليابسة تؤب للشاء أي تعد وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفي الحديث "خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجد والله على سبع" أراد بقوله خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة الخ وهي التارات السبع وبقوله رزقتم من سبع قوله حبا وعنبا إلى أبا لعل الحدائق خارجة عن الحساب لأنها منابت تلك المرزوقات وبقوله فاسجدوا على سبع الأعضاء السبعة وهي الوجه واليدان والركبتان والرجلان ﴿متاعا لكم ولانعامكم﴾ مفعول به أي فعل ذلك تمتيعا لكم والمواشيكم فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم وللالتفات لتكميل الامتنان وفي الآية إشارة إلى حب المحبة الذاتية وخمير المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الأفعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالي من أن يصل إليه كل مدع كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقيات وحدائق الشوق والاشتياق والود والتجريد ونحوها وأب مراعي الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواص كالأرواح والأسرار والقلوب وبعضها بالعوام كالنفوس البشرية والقوى الطبيعية العنصرية ﴿فإذا جآءت الصآخة﴾ شروع في بيان أحوال معادهم أثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها وجواب إذا محذوف يدل عليه يوم يفر الخ أي اشتغل كل أحد بنفسه والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٤٥/٧

أي يصيخون لها

٣٣٩

من صخ لحديثه إذا أصاخ واستمتع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصخون لها في قبورهم فاسند الاستماع إلى المسموع مجازا وقيل هي الصيحة التي تصم الآذان لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه فتكون الصاخة حقيقة في النفخة ﴿يوم يفر المرء﴾ روزي كه بكريزد مرد ﴿من أخيه﴾ ازبرادر خودبار وجود موانست ومهرباني ﴿وأمه﴾ واز مادر خود باكثرت حقوق كه او راست

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٣٠

﴿وأبيه﴾ واز در خود باجود شفقت وعاطفت كهل از وديده ﴿وصاحبته﴾ واز زن خودبا آنكه مونس روزكار او بوده ﴿وبنيه﴾ وازفر زندان خود باخيال استظهار بديشان أي يعرض الإنسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشغاله بحال نفسه ولعلمه إنهم لا يغنون عنه شيئا فقوله يوم منصوب بأعنى تفسيرا للصاخة تأخير إلا حب للمبالغة لأن الأبوين أقرب من الأخ **وتعلق القلب** بالصاحبة والأولاد أشد من تعلقه بالأبوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء في الرجال في الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الأبهري قدس سره يفر منهم إذا ظهر له عجزهم ولة حيلهم إلى من يملك كشف تلك الكروب واهموم عنه ولو ظهرله ذلك في الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذي لا يعجزه شيء وتمكن من فسحة التوكل واستراح في ظل التفويض وفي الآية إشارة إلى فرار مرء القلب عن أخيه السر وأمه لنفس وأبيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الأعمال والأحوال وإن في ذلك اليوم لا يتخلص أد بعلمله بل بفضله وطوله كما قال عليه السلام ، لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بغفرانه ﴿لكل امربا منهم يومـاذ شأن يغنيه﴾ استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به قال ابن الشيخ أي الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغنى في إنه ملك شيئا كثيرا ودرباب مشغولى قيامت فرد الدين عطار راقدس سره حكايتي منظوم است.

كشتي آورد در دريا شكست

تخته زان جمله بر بالا نشست

كربه وموسشى دران تخته بماند

كارشان بايكدكر بنه بماند

نه ذكر به موش را روى كريز

نه بموش آن كربه رانكال تيز

هردوشان ازهول درياي عجب

در تحير بازماند خشك لب

درقامت نيز اين غوغا بود

يعني آنجاني توونى ما بود

وفي الخبر إن عائشة رضي الله عنهما ، قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وكيف تحشر النساء قال حفاة عراة قالت عائشة واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية لكل امرىء الخ.

وأما الفرار حذرا من مطالبتهم بالتبعات بأن يقول الإنسان واسيتني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة ٣٤٠

". (١)

٩١-"والأمر للتحضيض والترغيب ظاهرا وللوجوب باطنا بوجوب الإيمان والطاعة وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس أي المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وأصله من النفس لعزتها وقال البغوي : أصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفه وينفس به على غيره أي يبخل وفي "المفردات" المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره قال ذو النون المصري رحمه الله ، علامة التنافس **تعلق القلب** به وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والأنس بالوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر في كلام الرحمن وتلقي النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما ينهما اعتراض مقرر لنفاسته أي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم العين بعينها تجري من جنة عدن سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه أما لأنها أرفع شراب في الجنة قدرا فيكون من علو المكانة وأما لأنها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روى إنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٢٦٤/١٠

أوانيهم فإذا امتلأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستقاء ﴿عينا﴾ نصب على المدح والاختصاص أي بتقدير أعني ﴿يشرب بها المقربون﴾ من جناب الله قربا معنويا روحانيا أي يشربون ماءها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة وهم أصحابا ليمين فالباءم زيدة أو بمعنى من وفيه إشارة إلى أن التسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر إلى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر إلى الله وأخرى بالنظر إلى مخلوقاته فالمقربون أفضل من الأبرار بمحبت غيرنيا ميخته اندشراب ايشان صرفست وآنهاكه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد.

ما شراب عيش ميخواهيم بي دردىء غم

صاف نوشان ديكر ودردى فروشان ديكرند

وقال بعضهم :

تسبيح رهى وصف جمال توبست

وزهر دوجهان ورا وصال توبست

اندردل هركسى ذكر مقصوديست

مقصود دل رهى خيال توبست

ودر بحر الحقائق آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص ازكدورات خمار كونين وأواني مختومه ري قلوب أوليا وأصفياكه ختام أو مسك مبحت است لا يشرب من تلك الأوني إلا الطالبون الصادقون في طريق السلوك إلى الله (على نفسه فليبك من ضاع عمره.

وليس له منها نصيب ولا سهم) وتسنيم أعلاي مراتب محبت ذاتيه كه غير ممزوج باشد بصفات وأفعال ومقربان أهل فنا في الله وبقا بالله إنه كما قال العارف في خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٦٣

عليك بها صرفا فإن شئت مزجها

فعدلت عن ظلم الحبيب هو الظلم

٣٧٢

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الأسنان وبريقها وبالضم هو الجور أي فإن شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وبريقه إن لم تقدر على شربها صرفا ولا تعدل فإن العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم.

وتاكسي بر بساط قرب در مجلس أنس ورياض قدس ازدست ساقى رضا جرعه ازين شراب ناب نشد بوبى ازسراين سخنان بمشام جان وى نرسد.

سر مايه ذوق دوجهان مستى عشقست

آنهاكه ازبن مي نشيد نده دانند

﴿إن الذين أجرموا﴾ كانوا ذوي جرم وذنب ولا ذنب أكبر من الكفر وأذى المؤمنين لإيمانهم فالمراد بهم رؤساء قريش وأكابر المجرمين المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأمثالهم ﴿كانوا﴾ في الدنيا ﴿من الذين ءامنوا﴾ إيمانا صادقا ﴿يضحكون﴾ أي يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل ﴿وإذا مروا﴾ أي فقراء المؤمنين ﴿بهم﴾ أي بالمشركين وهم في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضا يقال مررا ومرورا جاز وذهب كاستمر ومره وبه جاز عليه كما في "القاموس" قال في تاج المصادر المر بكذشتن بكسى.

". (١)

٩٢-"الثالث : العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية ، فإن ذلك يوجب **تعلق القلب** به محبة وإنابة ، والتأله له وحده لا شريك له .

الرابع : ما يراه العباد ويسمعونه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر لرسله وأتباعهم ، ومن النعم العاجلة المشاهدة ، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به ، فإن هذا برهان على أنه وحده المستحق للألوهية .

الخامس : معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله ، واتخذت آلهة ، وأنها فقيرة إلى الله من كل وجه ، ناقصة من كل وجه ، لا تملك لنفسها ، ولا لمن عبدها نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ؛ فالعلم بذلك يعلم به بطلان إلهيتها ، وأن ما يدعون من دون الله هو الباطل ، وأن الله هو الإله الحق المبين .

السادس : اتفاق كتب الله على ذلك ، وتواطؤها عليه .

السابع : اتفاق الأنبياء والرسل والعلماء الربانيين على ذلك ، وشهادتهم به ، وهم خواص الخلق ، وأكملهم أخلاقا وعقولا وعلما ويقينا .". (٢)

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع ١٠/٢٨٩

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٣٣/١

٩٣-"ومنها : أن الإيمان هو السبب الأعظم لتعلق القلب بالله في جميع مطالبه الدينية والدنيوية ؛ والإيمان القوي يدعو إلى هذا المطلب الذي هو أعلى الأمور على الإطلاق ، وهو غاية سعادة العبد ؛ وفي مقابلة هذا يدعو إلى التحرر من رق القلب للمخلوقين ، ومن التعلق بهم ؛ ومن تعلق بالخالق دون المخلوق في كل أحواله حصلت له الحياة الطيبة ، والراحة الحاضرة ، والتوحيد الكامل ، كما أن من عكس القضية نقص إيمانه وتوحيده ، وانفتحت عليه الهموم والغموم والحسرات .

ولا ريب أن هذين الأمرين تبع لقوة الإيمان وضعفه ، وصدقه وكذبه ، وتحققه حقيقة أو دعواه والقلب خال منه .". (١)

٩٤-"والمقصود أن هذين النوعين هما أفضل أنواع الثمار وأكرمها فالجنة المشتملة عليهما من أفضل الجنان ومع هذا فالأنهار تجري تحت هذه الجنة وذلك أكمل لها وأعظم في قدرها ومع ذلك فلم تعدم شيئا من أنواع الثمار المشتهاة بل فيها من كل الثمرات ولكن معظمها ومقصودها النخيل والأعناب فلا تنافي بين كونها من نخيل وأعناب وفيها من كل الثمرات ونظير هذا قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما

بنخل وجعلنا بينهما زرعا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وكان له ثمر﴾

وقد قيل إن الثمار هنا وفي آية البقرة ٢٦٦ المراد بها المنافع والأموال والسياق يدل على أنها الثمار المعروفة لا غيرها لقوله هنا ﴿له فيها من كل الثمرات﴾ ثم قال تعالى ﴿فأصابها أي الجنة إعصار فيه نار فاحترقت﴾ وفي ﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾ وما ذلك إلا ثمار الجنة

ثم قال تعالى ﴿وأصابه الكبر﴾

هذا إشارة إلى شدة حاجته إلى جنته وتعلق قلبه بها من وجوه

أحدها أنه قد كبر سنه عن الكسب والتجارة ونحوها

الثاني أن ابن آدم عند كبر سنه يشتد حرصه الثالث أن له ذرية فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته

الرابع أنهم ضعفاء فهم كل عليه لا ينفعونه بقوتهم وتصرفهم الخامس أن نفقتهم عليه لضعفهم وعجزهم وهذا نهاية ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة لخطرها في نفسها وشدة حاجته وذريته إليها فإذا تصورت هذه

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٨٩/١

الحال وهذه الحاجة فكيف تكون مصيبة هذا الرجل إذا أصاب جنته إعصار وهي الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود وفيه نار مرت بتلك الجنة فأحرقتها وصيرتها رمادا

فصدق والله الحسن هذا مثل قل من يعقله من الناس ولهذا نبه سبحانه وتعالى على عظم هذا المثل وحدا القلوب إلى التفكر فيه لشدة حاجتها إليه فقال تعالى ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ فلو فكر العاقل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه.أ هـ ﴿طريق الهجرتين صـ ٥٤٨ . ٥٥٠﴾". (١)

٩٥-"ومنهم : من يفسره بالرضى فيقول : هو الرضى بالمقدور قال بشر الحافي : يقول أحدهم : توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله رضي بما يفعل الله

وسئل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلا فقال : إذا رضي بالله وكيلا ومنهم : من يفسره بالثقة بالله والطمأنينة إليه والسكون إليه

قال ابن عطاء : التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها قال ذو النون : هو ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوي العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه

وقال بعضهم : التوكل التعلق بالله في كل حال وقيل : التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو إلا إلى من إليه الكفايات

وقيل : نفي الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك وقال ذو النون : خلع الأرباب وقطع الأسباب يريد قطعها من **تعلق القلب** بها لا من ملابسة الجوارح لها ومنهم : من جعله مركبا من أمرين أو أمور فقال أبو سعيد الخراز : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب يريد : حركة ذاته في الأسباب بالظاهر والباطن وسكون إلى المسبب وركون إليه ولا يضطرب قلبه معه ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه

وقال أبو تراب النخشبي : هو طرح البدن في العبودية **وتعلق القلب** بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر فجعله مركبا من خمسة أمور : القيام بحركات العبودية **وتعلق القلب** بتدبير الرب وسكونه إلى قضائه وقدره وطمأنينته وكفايته له وشكره إذا أعطى وصبره إذا منع قال أبو يعقوب النهرجوري : التوكل على الله بكمال الحقيقة كما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام : أما إليك فلا لأنه غائب عن نفسه بالله فلم ير مع الله غير الله

---

(١) جامع لطائف التفسير ٨٥/٩

". (١)

٩٦-"وأيضا توصيف سليمان عليه السلام بتلك الوراثة مما لا يوجب كمالا ولا يستدعي امتيازا لأن البر والفاجر يرث أباه فأي داع لذكر هذه الوراثة العامة في بيان فضائل هذا النبي ومناقبه عليه السلام ، ومما يدل على أن الوراثة في الآية الثانية كذلك أيضا أنه لو كان المراد بالوراثة فيها وراثة المال كان الكلام أشبه شيء بالسفسطة لأن المراد بآل يعقوب حينئذ إن كان نفسه الشريفة يلزم أن مال يعقوب عليه السلام كان باقيا غير مقسوم إلى عهد زكريا وبينهما نحو من ألفي سنة وهو كما ترى ، وإن كان المراد جميع أولاده يلزم أن يكون يحيى وارثا جميع بني إسرائيل أحياء وأمواتا ، وهذا أفحش من الأول ، وإن كان المراد بعض الأولاد ، أو أريد من يعقوب غير المتبادر وهو ابن إسحاق عليهما السلام يقال : أي فائدة في وصف هذا الولي عند طلبه من الله تعالى بأنه يرث أباه ويرث بعض ذوي قرابته ، والابن وارث الأب ومن يقرب منه في جميع الشرائع مع أن هذه الوراثة تفهم من لفظ الولي بلا تكلف وليس المقام مقام تأكيد ، وأيضا ليس في الأنظار العالية وهمم النفوس القدسية التي انقطعت من تعلقات هذا العالم الفاني واتصلت بحضائر القدس الحقاني ميل للمتاع الدنيوي قدر جناح بعوضة حتى يسأل حضرة زكريا عليه السلام ولدا ينتهي إليه ماله ويصل إلى يده متاعه ، ويظهر لفوات ذلك الحزن والخوف ، فإن ذلك يقتضي صريحا كمال المحبة **وتعلق القلب** بالدنيا وما فيها ، وذلك بعيد عن ساحته العلية وهمته القدسية ، وأيضا لا معنى لخوف زكريا عليه السلام من صرف بني أعمامه ماله بعد موته أما إن كان الصرف في طاعة فظاهر ، وأما إن كان في معصية فلأن الرجل إذا مات وانتقل المال إلى الوارث وصرفه في المعاصي لا مؤاخذة على الميت ولا عتاب على أن دفع هذا الخوف كان متيسرا له بأن يصرفه ويتصدق به". (٢)

٩٧-" صلى الله تعالى عليه وسلم وليست شاهدة بالعلم على الأطلاق إذ هم بمراحل عنه وأستدل بالآية على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره ويحرم عليه كتمانه بالشروط المعروفة لدى العلماء وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة المراد بهما سواء كانت اللام للعهد أو للجنس صلاة المسلمين وزكاتهم لأن غيرهما مما نسخه القرآن ملتحق بالعدم والزكاة في الأصل النماء والطهارة ونقلت شرعا لإخراج معروف فإن نقلت من الأول فلأنها

---

(١) جامع لطائف التفسير ٢٣٢/١٦

(٢) جامع لطائف التفسير ٢١٥/٢٠

تزيد بركة المال وتفيد النفس فضيلة الكرم أو لأنها تكون في المال النامي وإن نقلت من الثاني فلأنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل وأستدل بالآية حيث كانت خطابا لليهود من قال : إن الكفار مخاطبون بالفروع وإحتمال أن يكون الأمر فيها بقبول الصلاة المعروفة والزكاة والإيمان بهما أو أن يكون أمرا للمسلمين كما قاله الشيخ أبو منصور خلاف الظاهر فلا ينافي الإستدلال بالظاهر وقدم الأمر بالصلاة لشمول وجوبها ولما فيها من الإخلاص والتضرع للحضرة وهي أفضل العبادات البدنية وقرنها بالزكاة لأنها أفضل العبادات المالية ثم من قال : لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب قال : إنما جاء هذا بعد أن بين أركان ذلك وشرائطه ومن قال بجوازه قال بجواز أن يكون الأمر لقصد أن يوطن السامع نفسه كما يقول السيد لعبده إني أريد أن آمرك بشيء فلا بد أن تفعله وأركعوا مع الركعين ٣٤ أي صلوا مع المصلين وعبر بالركوع عن الصلاة إحترازا عن صلاة اليهود فإنها لا ركوع فيها وإنما قيد ذلك بكونه مع الراكعين لأن اليهود كانوا يصلون وحدانا فأمروا بالصلاة جماعة لما فيها من الفوائد ما فيها وأستدل به بعضهم على وجوبها ومن لم يقل به حمل الأمر على الندب أو المعية على الموافقة وإن لم يكونوا معهم وقيل : الركوع الخضوع والإنقياد لما يلزمهم من الشرع قال الأضبط السعدي : لا تذل الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه ولعل الأمر به حينئذ بعد الأمر بالزكاة لما أنها مظنة ترفع فأمروا بالخضوع لينتهوا عن ذلك إلا أن الأصل في إطلاق الشرع المعاني الشرعية : وفي المراد بالراكعين قولان : فقيل النبي وأصحابه وقيل : الجنس وهو الظاهر ومن باب الإشارة في قوله تعالى : ولا تلبسوا الحق إلخ أي لا تقطعوا على أنفسكم طريق الوصول إلى الحق بالباطل الذي هو **تعلق القلب** بالسوي فإن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ولا تكتموا الحق بالتفاتكم إلى غيره سبحانه وأنتم تعلمون أنه ليس لغيره وجود حقيقي أولا تخلطوا صفاته تعالى الثابتة الحقة بالباطل الذي هو صفات نفوسكم ولا تكتموها بحجاب صفات النفس وأنتم تعلمون من علم توحيد الأفعال أن مصدر الفعل هو الصفة فكما لم تسندوا الفعل إلى غيره لا تثبتوا صفته لغيره وأقيموا الصلاة بمراقبة القلوب وآتوا الزكاة أي بالغوا في تزكية النفس عن الصفات الذميمة لتحصل لكم التحلية بعد التخلية أو أدوا زكاة الهمم فإن لها زكاة كزكاة النعم بل إن لكل شيء زكاة كما قيل : كل شيء له زكاة تؤدي وزكاةالجمال رحمة مثلى وأركعوا أي أخضعوا لما يفعل بكم المحبوب فالخضوع علامة الرضا الذي هو ميراث تجلي الصفات العلى وحاصله أرضوا بقضائي عند مطالعة صفاتي فإن لي أحبابا لسان حال كل منهم يقول : وتعذيبكم عذب لدى وجوركم على بما يقضى الهوى لكم عدل ثم أنه تعالى لما

أمرهم بفعل الخير شكرا لما خصهم به من النعم حرضهم على ذلك من مأخذ آخر بقوله سبحانه : ". (١)

٩٨-" يرث أباه فأي داع لذكر هذه الوراثة العامة في بيان فضائل هذا النبي ومناقبه عليه السلام ومما يدل على أن الوراثة في الآية الثانية كذلك أيضا أنه لو كان المراد بالوراثة فيها وراثة المال كان الكلام أشبه بالسفسطة لأن المراد بآل يعقوب حينئذ إن كان نفسه الشريفة يلزم أن مال يعقوب عليه السلام كان باقيا غير مقسوم إلى عهد زكريا وبينهما نحو من ألفي سنة وهو كما ترى وإن كان المراد جميع أولاده يلزم أن يكون يحيى وارثا جميع بني إسرائيل أحياء وأمواتا وهذا أفحش من الأول وإن كان المراد بعض الأولاد أو أريد من يعقوب غير المتبادر وهو إبن إسحاق عليهما السلام يقال : أي فائدة في وصف هذا الولي عند طلبه من الله تعالى بأنه يرث أباه ويرث بعض ذوي قرابته والإبن وارث الأب ومن يقرب منه في جميع الشرائع مع أن هذه الوراثة تفهم من لفظ الولي بلا تكلف وليس المقام مقام تأكيد وأيضا ليس في الأنظار العالية وهمم النفوس القدسية التي أنقطعت من تعلقات هذا العالم الفاني وأتصلت بحضائر القدس الحقاني ميل للمتاع الدنيوي قدر جناح بعوضة حتى يسأل حضرة زكريا عليه السلام ولدا ينتهي إليه ماله ويصل إلى يده متاعه ويظهر لفوات ذلك الحزن والخوف فإن ذلك يقتضي صريحا كمال المحبة **وتعلق القلب** بالدنيا وما فيها وذلك بعيد عن ساحته العلية وهمته القدسية وأيضا لا معنى لخوف زكريا عليه السلام من صرف بني أعمامه ماله بعد موته أما إن كان الصرف في طاعة فظاهر وأما إن كان في معصية فلأن الرجل إذا مات وأنتقل المال إلى الوارث وصرفه في المعاصي لا مؤاخذة على الميت ولا عتاب على أن دفع هذا الخوف كان متيسرا له بأن يصرفه ويتصدق به في سبيل الله تعالى قبل وفاته ويترك ورثته على أنقى من الراحة وإحتمال موت الفجأة

وعدم التمكن من ذلك لا ينتهض عند الشيعة لأن الأنبياء عندهم يعلمون وقت موتهم فما مراد ذلك النبي عليه السلام بالوراثة إلا وراثة الكمالات النفسانية والعلم والنبوة المرشحة لمنصب الحبورة فإنه عليه السلام خشى من أشرار بني إسرائيل أن يحرفوا الأحكام الآلهية والشرائع الربانية ولا يحفظوا علمه ولا يعملوا به ويكون ذلك سببا للفساد العظيم فطلب الولد ليجري أحكام الله تعالى بعده ويروج الشريعة ويكون محط رحال النبوة وذلك موجب لتضاعيف الأجر وإتصال الثواب والرغبة في مثله من شأن ذوي النفوس القدسية والقلوب الطاهرة الزكية فإن قيل : الوراثة في وراثة العلم مجاز وفي وراثة المال حقيقة وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز لا يجوز بلا ضرورة فما الضرورة هنا أجيب بأن الضرورة هنا حفظ كلام المعصوم من التكذيب وأيضا لا نسلم

---

(١) روح المعاني ٢٤٧/١

كون الوراثة حقيقة في المال فقط بل صار لغلبة الإستعمال في العرف مختصا بالمال وفي أصل الوضع إطلاقه على وراثة العلم والمال والمنصب صحيح وهذا الإطلاق هو حقيقته اللغوية سلمنا أنه مجاز ولكن هذا المجاز متعارف ومشهور بحيث يساوي الحقيقة خصوصا في إستعمال القرآن المجيد ومن ذلك قوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب وأرثوا الكتاب إلى غير ما آية ومن الشيعة من أورد هنا بحثا وهو أن النبي إذا لم يورث أحدا فلم أعطيت أزواجه الطاهرات حجراتهن والجواب أنذلك مغلطة لأن إفراز الحجرات للأزواج إنما كان لأجل كونها مملوكة لهن لا من جهة الميراث بل لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بني كل حجرة لواحدة منهن فصارت الهبة مع القبض متحققة وهي موجبة للملك وقد بني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك لفاطمة رضي الله تعالى عنها وأسامة وسلمه إليهما وكان كل من بيده شيء مما بناه له رسول الله يتصرف فيه ". (١)

٩٩-" تعالى أندادا وفعلوا ما فعلوا من القبائح الجسام وأجنبني وبني أي بعدني واياهم أن نعبد الأصنام ٥٣

- أي عن عبادتها وقرأ الجحدري وعيسى الثقفي وأجنبني بقطع الهمزة وكسر النون بوزن أكرمني وهما لغة أهل نجد يقولون : جنبه مخففا وأجنبه رباعيا وأما أهل الحجاز فيقولون : جنبه مشددا وأصل التجنب أن يكون الرجل في جانب غير ما عليه غيره ثم استعمل بمعنى البعد والمراد هنا على ماقال الزجاج طلب الثبات والدوام على ذلك أي ثبتنا على مانحن عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وإلا فالانبياء معصومون عن الكفر وعبادة غير الله تعالى وتعقب ذلك الامام بأنه لما كان من المعلوم أنه سبحانه يثبت الأنبياء عليهم السلام على الاجتناب فما الفائدة في سؤال التثبيت ثم قال : والصحيح عندي في الجواب وجهان : الأول أنه عليه السلام وإن كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه ذكر ذلك هضما لنفسه وإظهارا للحاجة والفاقة إلى فضل الله سبحانه وتعالى في كل المطالب والثاني أن الصوفية يقولون : الشرك نوعان ظاهر وهو الذي يقول به المشركون وخفى وهو **تعلق القلب** بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد المحض قطع النظر عما سوى الله تعالى فيحتمل أن يكون مراده عليه السلام من هذا الدعاء العصمة عن هذا الشرك انتهى ويرد على هذا الأخير أنه يعود السؤال عليه فيما أظن لأن النظر إلى السوى يحاكي الشرك الذي يقول به المشركون عند الصوفية فقد قال قائلهم ١ : ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي ولا أظن أنهم يجوزون ذلك للانبياء عليهم السلام وحيث بني الكلام على ماقرروه يقال

(١) روح المعاني ٢١٩/٤

: ما فائدة سؤال العصمة عن ذلك والانبياء عليهم السلام معصومون عنه والجواب الصحيح عندي ماقيل : إن عصمة الأنبياء عليهم السلام ليست لأمر طبيعي فيهم بل بمحض توفيق الله تعالى اياهم وتفضله عليهم ولذلك صح طلبها وفي بعض الآثار أن الله سبحانه قال لموسى عليه السلام : ياموسى لاتأمن مكري حتى تجوز الصراط

وأنت تعلم أن المبشرين بالجنة على لسان الصادق المصدوق عليه الصلاة و السلام كانوا كثيرا مايسألون الله تعالى الجنة مع أنهم مقطوع لهم بها ولعل منشأ ذلك ماقيل لموسى عليه السلام فتدبر والمتبادر من بنيه عليه السلام من كان من صلبه فلا يتوهم ان الله تعالى لم يستجب دعاءه لعبادة قريش الأصنام وهم من ذريته عليه السلام حتى يجاب بما قاله بعضهم من ان المراد كل من كان موجودا حال الدعاء من أبنائه ولا شك أن دعوته عليه السلام مجابة فيهم أو بأن دعاءه استجيب في بعض دون بعض ولا نقص فيه كما قال الامام

وقال سفيان بن عيينة : إن المراد ببنيه مايشمل جميع ذريته عليه السلام وزعم أنه لم يعبد أحد من أولاد اسمعيل عليه السلام الصنم وإنما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هذا حجر والبيت حجر وكانوا يدورون به ويسمونه الدوار ولهذا كره غير واحد أن يقال دار بالبيت ٢ بل يقال طاف به وعلى ذلك أيضا حمل مجاهد البنين وقال : لم يعبد أحد من ولد ابراهيم عليه السلام صنما وانما عبد بعضهم الوثن وفرق بينهما بأن الصنم هو التمثال المصور والوثن هو التمثال الغير المصور وليت شعري كيف ذهبت على هذين ". (١)

١٠٠-" بواوين الأولى فاء الكلمة الأصلية والثانية بدل ألف فاعل لأنها تقلب واوا في التصغير كضويرب ولما وقعت الواو مضمومة قبل أخرى في أوله قلبت همزة كما تقرر في التصريف ونقل عنه أيضا أنه قال التصغير لصغره فإنه عليه السلام لما طلبه في كبره علم ولو حدسا أنه يرثه في صغر سنه وقيل : للمدح وليس بذاك

هذا واستدل الشيعة بالآية على أن الأنبياء عليهم السلام تورث عنهم أموالهم لأن الوراثة حقيقية في وراثة المال ولا داعي إلى الصرف عن الحقيقة وقد ذكر الجلال السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي صالح أنهم قالوا في الآية : يرثني مالي وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال في الآية : يرحم الله تعالى أخي زكريا ما كان عليه من ورثة وفي رواية ما كان عليه ممن يرث ماله وقال بعضهم : إن الوراثة ظاهرة في ذلك ولا يجوز ههنا حملها على وراثة النبوة لئلا يغلو قوله : واجعله

(١) روح المعاني ٢٣٤/١٣

رب رضيا ولا على وراثة العلم لأنه كسبي والموروث حاصل بلا كسب ومذهب أهل السنة أن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون مالا ولا يورثون لما صح عندهم من الأخبار

وقد جاء ذلك أيضا من طريق الشيعة فقد روى الكليني في الكافي عن أبي البختري عن أبي عبد الله جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال : إن العلماء ورثة الأنبياء وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ بحظ وافر وكلمة إنما مفيدة للحصر قطعا باعتراف الشيعة والوراثة في الآية محمولة على ما سمعت ولا نسلم كونها حقيقة لغوية في وراثة المال بل هي حقيقة فيما يعم وراثة العلم والمنصب والمال وإنما صارت لغلبة الاستعمال في عرف الفقهاء مختصة بالمال كالمنقولات العرفية ولو سلمنا أنها مجاز في ذلك فهو مجاز متعارف مشهور خصوصا في استعمال القرآن المجيد بحيث يساوي الحقيقة ومن ذلك قوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وقوله تعالى : فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب وقوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وقوله تعالى : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ولله ميراث السموات والأرض قولهم لا داعي إلى الصرف عن الحقيقة قلنا : الداعي متحقق وهي صيانة قول المعصوم عن الكذب ودون تأويله خرط القتاد والآثار الدالة على أنهم يورثون المال لا يعول عليها عند النقاد وزعم البعض أنه لا يجوز حمل الوراثة هنا على وراثة النبوة لئلا يغلو قوله : واجعله رب رضيا قد قدمنا ما يعلم منه ما فيه وزعم أن كسبية الشيء تمنع من كونه موروثا ليس بشيء فقد تعلقت الوراثة بما ليس بكسبي في كلام الصادق ومن ذلك أيضا ما رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : إن سليمان ورث داود وأن محمدا ورث سليمان عليه السلام فإن وراثة النبي سليمان عليه السلام لا يتصور أن تكون وراثة غير العلم والنبوة ونحوهما ومما يؤيد حمل الوراثة هنا على وراثة العلم ونحوه دون المال أنه ليس في الأنظار العالية والهمم العلياء للنفوس القدسية التي انقطعت من تعلقات هذا العالم المتغير الفاني واتصلت بالعالم الباقي ميل للمتاع الدنيوي قدر جناح بعوضة لا سيما جناب زكريا عليه السلام فإنه كان مشهورا بكمال الانقطاع والتجرد فيستحيل عادة أن يخاف من وراثة المال والمتاع الذي ليس له في نظره العالي أدنى قدر أو يظهر من أجله الكلف والحزن والخوف ويستدعي من حضرة الحق سبحانه وتعالى ذلك النحو من الاستدعاء وهو يدل على كمال المحبة **وتعلق القلب** بالدنيا وقالت الشيعة : إنه عليه السلام خاف أن يصرف بنوعمه ماله بعد موته فيما لا ينبغي ". (١)

---

(١) روح المعاني ٦٤/١٦

١٠١-" " تفسمير صورة البقرة
للمم م@ول لمم@سمم@لم@اول " " " @لأ@م@سما*طمممماه@ا@ خاص ، والايام المعد ودات التى يصحبها ذكر خاص ، أيام التث@ريق الثلاثة ، وقد نقل القرطبى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن عن أبى عمر بن عبد البر الأجماع على أن الأيام المعدودات فى الأية الكريمة س أيام منى ، أيام التث@ريق الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة ، وس أيام ممل وضرب. وذكر الله الخاص فى هذه الأيام بالتصدق على الفقراء من الذبائح التى ذبحوها فى يوم النحر ، ورمى الجمار فيها ، بعد أن يكون الحجيج قد رموا جمرة العقبة فى يوم النحر ؟ وفى رمى الجمار يكلبر عند كل حصاة يرميها ؟ وهذا بلا ثك ذكر خاص.
ورمى الجمار على ذلك ال@ثسكل فى أيام منى الثلاثة عملى حسى مادى يقترن
به عمل نفسى وجدانى ، وهو إشعار القلب بعظمة رب الماملين ، وتلك الحركات الجسمية س للدلالة على **التعلق القلبى** بالأرض التى بارك الله فيها ، وبالتالى التعلق بمن ضرفها بالانتاب إليه ، فسصماها حرمه المقدس ، وبيته الأمن. وكون الحركات على هذا الثكلل وبهذا الوضع لبي من الأمور التى تحلل ، كما أن محاولة ممرفة العلة فى@ون الصلاة على هذا الث@كلل محاولة فى كير جداء ، إنما هذا أمر توقيفى ، قد ارتضاه رب الماملين على لسان النبي الكريم سبيل الزلفى إليه ، وتوجه القلوب نحو ذاته العلية التى لا يحدها مكان ، ولا يجرى عليها الزمان.
وقد أشار النبى (صلى الله عليه وسلم) يرو إلى أن هذه الأيام هى أيام منى بما روى الدارقطنى والترمذى أن ناسا من أهل نجد أتوأ رسول اللهء@برو وهو بعرفة ، فسالوه ، فامر مناديا فنادى : (الحج عرفة ، فمن جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك ، أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ، ومن تاخر فلا إثم عليها (١).
وإن هذه الأيام يحرم الصوم فيها عند جمهور الفقهاء ؟ فقد روى أن النبيء@رو
قال : " أيام التشريق أبام كل وشرب وذكر للها (٢).
(١) رواه الترمذى عن عبد الرحمن بن بعمر : كتاب الحج - من أدرك الامام بجمع (٨١٤) ، ورواه النسائى (٢٩٩٤) وأبو داود (١٦٦٤) وابن ماجه (٦ ٠ ٠ ٣) وأحمد (٢٢ ١٨٠) والدارمى (١ ١٨١).
(٢) رواه ملم : كتاب الموم - تحريم موم أيام الثريق (١٩٢٦ ١) وأحمد : أول مسند البصريين (٩٧٩٧ ١).".

(١)

١٠٢-"خاص، والأيام المعد ودات التي يصحبها ذكر خاص، أيام التشريق الثلاثة، وقد نقل القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن عن أبي عمر بن عبد البر الإجماع على أن الأيام المعدودات في الآية الكريمة هي أيام منى، أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، وهي أيام أكل وشرب. وذكر الله الخاص في هذه الأيام بالتصدق على الفقراء من الذبائح التي ذبحوها في يوم النحر، ورمي الجمار فيها، بعد أن يكون الحجيج قد رموا جمرة العقبة في يوم النحر؛ وفي رمي الجمار يكبر عند كل حصاة يرميها؛ وهذا بلا شك ذكر خاص.

ورمي الجمار على ذلك الشكل في أيام منى الثلاثة عملي حسي مادي يقترن به عمل نفسي وجداني، وهو إشعار القلب بعظمة رب المالمين، وتلك الحركات الجسمية هي للدلالة على **التعلق القلبي** بالأرض التي بارك الله فيها، وبالتالي التعلق بمن شرفها بالانتساب إليه، فسماها حرمه المقدس، وبيته الآمن. وكون الحركات على هذا الشكل وبهذا الوضع ليس من الأمور التي تحلل، كما أن محاولة معرفة العلة في كون الصلاة على هذا الشكل محاولة في غير جداء، إنما هذا أمر توقيفي، قد ارتضاه رب المالمين على لسان النبي الكريم سبيل الزلفى إليه، وتوجه القلوب نحو ذاته العلية التي لا يحدها مكان، ولا يجري عليها الزمان.

وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن هذه الأيام هي أيام منى بما روى الدارقطني والترمذي أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بعرفة، فسألوه، فأمر مناديا فنادى: (الحج عرفة، فمن جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك، أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه) (١).

وإن هذه الأيام يحرم الصوم فيها عند جمهور الفقهاء؛ فقد روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " أيام التشريق أيام كل وشرب وذكر لله " (٢).

---

(١) رواه الترمذي عن عبد الرحمن بن يعمر: كتاب الحج - من أدرك الإمام بجمع (٨١٤)، ورواه النسائي (٢٩٩٤) وأبو داود (١٦٦٤) وابن ماجه (٣٠٠٦) وأحمد (١٨٠٢٢) والدارمي (١٨١١).

(٢) رواه مسلم: كتاب الموم - تحريم صوم أيام التشريق (١٩٢٦) وأحمد: أول مسند البصريين (١٩٧٩٧).".

---

(١) زهرة التفاسير ص/٦٣١

(١)

١٠٣-"" صفحة رقم ٥٧ "

تحقيق قوله (صلى الله عليه وسلم) (إن الله طيب ولا يقبل إلأ الطيب) ولستم بآخذي هذا الخبيث لا في أصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لأنكم خلقتم من أصل طيب وطينة طيبة ، فالروح من أطيب الأطايب لأنه أقرب الأقربين إلى حضرة رب العالمين ، والجسد من التراب الطيب) فتيمموا صعيدا طيبا) [النساء : ٤٣] ثم أحياكم بالإيمان) فلنحيينه حياة طيبة) [النحل : ٩٧] ثم يرزقكم من الطيبات) كلوا من طيبات ما رزقناكم) [البقرة : ٥٧] فليس منكم شيء خبيث في الظاهر والباطن) إلا أن تغمضوا فيه (فتقبلوه تكلفا وقسرا (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) فلما لم تكن الخباثة ذاتية للإنسان بل كانت طارئة عليه عارية لديه أنزل الله تعالى كلمة طيبة هي (لا إله إلا الله) ليطيب بالمواظبة عليها أخلاقهم ويستحقوا يوم القيامة أن يقال لهم) سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) [الزمر : ٧٣] (واعلموا أن الله غني (فمن كمال غناه أراد أن يغنيكم بثواب الإنفاق) حميد (على ما أنعم بهذا التكليف ليتوسل به إلى الكمال الأبدي .

) الشيطان يعدكم الفقر (ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لأنها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية .

فمن فتح علت نفسه باب وسوسة فسوف يبتلى بهذه الآفات وأضعافها ، ومن فتح على نفسه باب عدة الحق أفاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله وإحسانه ، فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام ، والفضل ما لا تدركه الأوهام) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [يونس : ٢٦] فمن ذلك أن يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال) يؤتي الحكمة من يشاء (وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه أهل الإنكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الأسرار والحكم الإلهيات .

فالمعقولات ما تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين أهل الأديان ، والأسرار الإلهية مواهب الحق لا ترد لا على قلوب الأنبياء والأولياء) نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) [النور : ٣٥] (وما يذكر إلا أولوا

---

(١) زهرة التفاسير ٦٣١/٢

الألباب (الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا إلى لب عالم النور .
ثم أخبر عن توفية الأجور للمنفق في المفروض والمنذور) وما للظالمين (الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالإنفاق النفاق وبالإخلاص الرياء) من أنصار (ولا ناصر بالحقيقة إلا الله ، ومن أذن له الله". (١)

١٠٤-"" صفحة رقم ٤١ "

عن ضيفه فطمسنا أعينهم) [القمر : ٣٧] فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون إن في بيت لوط سحرة. ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط وأهله فقال : (فأسر بأهلك (الباء للتعدية إن كانت الهمزة للوصل من السرى ، أو زائدة وإن كانت للقطع من الإسراء.) بقطع من الليل (عن ابن عباس : أي في آخر الليل بسحر. وقال قتادة : بعد طائفة من الليل. وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين) ولا يلتفت منكم أحد (أي لا ينظر إلى ما رواءه) إلا امرأتك (أكثر القراء على النصب فاعترض بأن الفصيح في مثله هو البدل لأن الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح ؟ فأجاب جار الله بأن الرفع بدل من) أحد (على القياس والنصب مستثنى من قوله : (فأسر (لا من قوله) لا يلتفت (وزيف بأن الاستثناء من) أسر (يقتضي كونها غير مسرى بها ، والاستثناء) لا يلتفت (يقتضي كونها مسريا بها لأن الالتفات بعد الإسراء فتكون مسريا بها غير مسرى بها. ويمكن أن يجاب بأن) أسر (وإن كان مطلقا في الظاهر إلا أنه في المعنى مقيد بعدم الالتفات إذ المراد أسر بأهلك إسرائ لا التفات فيه إلا امرأتك فإنك تسري بها إسراء مع الالتفات ، فاستثن على هذا إن شئت من) أسر (وإن شئت من) لا يلتفت (ولا تناقض. وبعضهم - كابن الحاجب - جعل) إلا امرأتك (في كلتا القراءتين مستثنى من) لا يلتفت (ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الأقوى. ويمكن أن يقال : إنما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من) أسر (إذ لو جعل استثناء من) لا يلتفت (لزم أن تكون مأمورة بالالتفات لأن القائل إذا قال لا يقم منكم إلا زيد كان ذلك أمرا لزيد بالقيام اللهم إلا أن يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم أحد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما أصابهم ، وإذا كان هذ الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبا للمعصية. قاله في الكشاف. وروي أنه أمر أن يخلفها مع قومها فلم يسر بها. واختلفا القراءتين لاختلف الروايتين. أقول : في هذا الكلام خلل لا يمكن اجتماعهما على الصحة ، والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القرآت كلها. روي أنها لما سمعت هدة العذاب أي صوته التفتت وقالت : يا قوماه : فأدركها حجر قتلها. وقيل : المراد بعدم الالتفات

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٧/٢

قطع تعلق القلب عن الأصدقاء والأموال والأمتعة. فعلى هذا يصح الاستثناءان من غير شائبة التناقض كأنه أمر لوطا أن يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فإنها هالكة من الهالكين. ثم أمر أن يقعطوا العلائق وأخبر أن امرأته تبقى متعلقة القلب بها. يروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل له) إن موعدهم الصبح (فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا : (أليس الصبح بقريب ؟ ( ) فلما جاء أمرنا (بإهلاكهم) جعلنا (أي جعل". (١)

١٠٥-"" صفحة رقم ٤٧٤ "

موضع الأعم تأكيدا. قيل : السلام عليه يوم ولد لا بد أن يكون تفضلا من الله تعالى لأنه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه ، وأما الآخران فيجوز أن يكونا لأجل الثواب. قلت : أكثر أموره خارق للعادة ، فيحتمل أن يوجد منه في بطن أمه عمل يستحق الثواب كما يحكى أن أمه قالت لمريم وهما حاملان : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. التأويل : إن زكريا الروح) نادى ربه نداء خفيا (من سر السر) قال رب إني وهن (مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية ، وإني خفت صفات النفس أن تغلب) وكانت امرأتي (يعني الجثة التي هي روح الروح) عاقرا (لا تلد إلا مبوهبة من الله) فهب لي من لدنك (سأل) وليا (فأعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن العلم اللدني فإنه ولد الروح والنفس أعدى عدوه) يرثني ويرث من آل يعقوب (أي يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانية) واجعله رب رضيا (بأن توطنه من تجلي صفات ربوبيتك ما يرضى به نظيره) ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى : ٥] (اسمه يحي (إن الله أحياه بنوره) ولم نجعل له من قبل سميا (لا من الحيوانات ولا من الملائكة لأنه هو الذي يقبل فيض الألوهية بلا واسطة ، وهو سر حمل الأمانة كما قال : (ولكن يسعى قلب عبدي المؤمن)) وقد بلغت من الكبر (أي بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب) عتيا (يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس) آيتك أن لا تكلم الناس (لا تخاطب إلا الله ولا تلتفت إلى ما سواه) ثلاث ليال (هي ثلاث مراتب الجماديات والحيوانات والروحانيات) سويا (متمكنا في هذا الحال من غير تلون) فخرج (زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته ، فأشار إليهم أن كونوا متوجهين إلى الله معرضين عما سواه آناء الليل وأطراف النهار بل بكرة الأزل وعشي الأبد) يا يحي (القلب) خذ (كتاب الفيض الألهي المكتوب لك في الأزل) بقوة (ربانية لا بقوة جسدانية لأنه خلق ضعيفا) وآتيناه الحكم (في صباه إذ خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره) زكاة (وتطهرا منالالتفات إلى غيرنا) وبرا بوالديه (الروح والقالب. أما البروح فلأن القلب

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/٤١

محل قبول الفيض الألهي لأن الفيض نصيب الروح أولا ولكن لا يمسكه لغاية لطافته كما أن الهواء الصافي لا يقبل الضوء وينفذ فيه ، وأما لاقلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه ، وهذا أحد أسرار حمل الأمانة. وأما بر والدة القلب فهو استعمالها على وفق الشريعة والطريقة) ولم يكن جبارا عصيا (كالنفس الأمارة بالسوء) وسلام عليه يوم يولد (في أصل خلقه) ويوم يموت (من استعمال المعاصي بالتوبة) ويوم يبعث حيا (بالتربية والترقي إلى مقام السلامة الله حسبي .". (١)

١٠٦-"" صفحة رقم ٥٣٤ "

بأن يكون متعلق القلب الأهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ، ولا رهبة بأن يكون خائفا من الأعداء والمنازعين فإن القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير ، فإذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت وإذا انصب الكل في موضع واحد ظهر أثرها وقويت فائدتها ، فسأل موسى ربه أن يقوفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية إلى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله) رب اشرح لي صدري (. أو نقول : إنه لما كلف بضبط الوحي في قوله) فاستمع لما يوحى (وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله) فاعبدني (فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين ، والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال) رب اشرح لي صدري (أو نقول : معدن النور هو القلب ، والاشتغال بما سوى الله - من الزوجة والولد ولاصديق والعدو بل الجنة والنار - هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب إلى فضاء الصدر ، فإذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم في الدارين صغروا في عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة إلى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء منذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسخ القلب بل الصدر للنور) رب اشرح لي صدري (. التاسعة : لنضرب مثلا لذلك فنقول : البدن بالكلية كالمملة ، والصدر كالقلعة ، والفؤاد كالصفة ، والقلب كالسرير ، والروح كالملك ، والعقل كالوزير ، والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم إلى البلدة ، والغضب كالاسفهيد الذي يشتغل بالضرب ، والتأديب والحواس كالجواسيس ، واسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع. ثم إن الشيطان كملك مطاع وإنه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الأخلاق الذميمة جنوده ، فإذا أخرج الروح وزيره وهو العقل أخرج الشيطان في مقابله الهوى فجعل العقل يدعو إلى الله تعالى والهوى إلى الشيطان. ثم إن الروح أخرج الفطنة إعانة للعقل فأخرج الخصم في مقابلته الشهوة ،

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/٤٧٤

فالفطنة توقفك على معايب الدنيا ، والشهوة تحسن لذات الدنيا. ثم إن الروح أمد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال (تفكر ساعة خي رمن عبادة سنة) فأخرج الشيطان في مقابلة الفكرة الغفلة ، ثم أخرج الروح الحلم والثبات فإن العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا ، فأخرج اليطان بإزائه العجلة والسرعة فلهذا قال (صلى الله عليه وسلم) (ما دخل الرفق في شيء إلا زانه وما دخل الخرق في شيء إلا شانه) وخلق السموات والأرض في ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه". (١)

١٠٧-"" صفحة رقم ٣٥٩ "

في أوقاتها ، وأما المحافظة عليها فترجع إلى الاهتمام بشأنها وذلك يحصل برعاية أمور سابقة على الصلاة كالوضوء وستر العورة وطلب القبلة وغيرها ، حتى إذا جاء وقت الصلاة لم يكن **يتعلق القلب** بشرائطها وأمور مقارنة للصلاة كالخشوع والاحتراز عن الرياء والإتيان بالنوافل والمكملات ، وأمور لاحقة بالصلاة كالاحتراز عن اللغو وما يضاد الطاعة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فارتكابه المعصية بعد الصلاة دليل على أن تلك الصلاة لم تقع في حيز القبول .

الثاني) والذين في أموالهم حق (قال ابن عباس والحسن وابن سيرين : هو الزكاة المفروضة قلت : الدليل عليه وصفه بأنه معلوم واقترانه بإدامة الصلاة ، وقال مجاهد وعطاء والنخعي : هو ما سوى الزكاة وإنه على طريق الندب والاستحباب .

قلت : هذا التفسير بما في (الذاريات) اشبه لأنه لم يصف الحق هناك بأنه معلوم ولأنه مدح هناك قوما بالتزام ما لا يلزمهم كقلة الهجوع والإستغفار بالأسحار .

الثالث) والذين يصدقون بيوم الدين (أي يؤمنون بالغيب والجزاء .

الرابع) والذين هم من عذاب ربهم مشفقون (خائفون والمؤمن خائف من التقصير في الطاعة وبعض الفسقة لا يخافون من إرتكاب انواع الظلم وأصناف المعصية .

ثم أكد ذلك الخوف بقوله) إن عذاب ربهم غير مأمون (لأن الأمور بخواتيمها والخاتمة غير مقطوع بها .

الخامس) والذين هم لفروجهم حافظون (إلى قوله) العادون (وقد مر في (المؤمنين) والسادس) والذين هم لأماناتم وعهدهم راعون (وقد مر أيضا .

السابع) والذين هم بشهاداتهم قائمون (من أفرد فلأنها مصدر ، ومن جمع فللنظر إلى اختلاف الشهادات

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/٥٣٤

وكثرة أنواعها .
وأكثر المفسرين قالوا : هي الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق ولا يكتمونها ، وهذه من جملة الأمانات خصها بالذكر تنبيها على فضلها لأن في إقامتها إحياء للحقوق وفي تركها تضييع لها .
وروى عطاء عن ابن عباس أنها الشهادة بالله أنه واحد لا شريك له .
الثامن) والذين هم على صلاتهم يحافظون (وقد ذكرناه .
ثم عين مكان هؤلاء بقوله تعالى) أولئك في جنات مكرمون (قال المفسرون : كان المشركون يحتفون حول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرقا يستهزؤن به وبالمؤمنين ويقولون : إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت .
) فما للذين كفروا قبلك (أي نحوك وفي مقابلتك) مهطعين (مسرعين مادين أعناقهم إليك) عزين (فرقا شتى جمع عزة محذوفة العجز وأصلها عزوة لأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون .
وجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف كما مر في) عضين (قوله) كلا (ردع لهم عن الطمع الفاسد وذلك من وجهين : أحدهما أنهم ينكرون البعث فمن أين لهم هذا الطمع .
والثاني أنهم لم يعدوا لها زادا من الإيمان والعمل الصالح .
وفي قوله) إنا خلقناهم مما يعلمون (رد عليهم من". (١)

١٠٨-"" صفحة رقم ٤٩٨ "
محض الفضل والعناية منه تعالى ، أو لأنه قال في ذلك كبرا وافتخارا وتكاثرا ، أو لأن هذا القول يشبه قول من لا يرى السعادة إلا في اللذات العاجلة ، أو قول من غفل عن الاستدراج والمكر .
ويحتمل أن يتوجه الذم على مجموع الأمرين من حيث المجموع حتى لو قال في البسط (أكرمني) تحدثا بنعمة الله ، وفي القبض لم يقل (اهانني) بل قال (الحمد لله علي كل حال) لم يكن مذموما .
ثم ردع الإنسان عن تلك المقالة بقوله) كلا (أي لم أبتله بالغنى لكرامته علي ولا بالفقر لهوانه لدي ولكنهما من محض المشيئة ، أو على حسب المصالح .
ثم نبه الإضراب في قوله) بل لا تكرمون اليتيم (على أن هناك شرا من ذلك وهو أنه يكرمهم بكثرة المال ثم لا يودون حق الله فيه .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٥٩/٦

وعن مقاتل : كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه فنزلت .

والتراث أصله الوراث نحو تجاه ووجاه .

واللم الجمع لشديد ومنه كتيبة ملمومة مصدر جعل نعتا أي أكلا جامعا بجميع أجزائه كقوله) ولا تأكلوها إسرافا) [النساء : ٦] وقال الحسن : أي يجمعون نصيب اليتامى إلى نصيبهم كقوله) ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) [البقرة : ٨٨] وقيل : جامعا بين حلال ما جمعه الميت وبين حرامه .

وقيل : جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة اللذيذة والملابس الفاخرة كما يفعل أهل البطالة من الوراث .

والجم الكثير جم الماء وغيره يجم جموم إذا ثكر جام ، وجم نهي عن التهالك .

والشره على جمع المال .

وفي وصف الحب بالجم دلالة على أن حب المال وتعلق القلب بتحصيل ما يسد الخلة منه غير مكروه بل مندوب إليه لبقاء نظام العالم على أن كل السلامة وجل الفراغ في الترك كما هو دأب المتوكلين .

إن السلامة من ليلى وجارتها

أن لا تمر على حال بواديها

ولا ينبئك مثل خبير .

ثم ردعهم عن الفعل المذكور وذكر تحسر المقصر في طاعة الله يوم القيامة .

وجواب (إذا) محذوف بعد) صفا (أبو بعد قوله) بجهنم (ليذهب الوهم كل مذهب أي كان ما كان من الأهوال .

ثم استؤنف) وجيء يومئذ (أو عطف على ما قبله ويوقف على هذا التقدير على قوله) بجهنم (ويكون) يومئذ (الثانية متعلقا بما بعده ، ويجزز أن يكون (إذا) منصوبا ب) يتذكر (و) يومئذ (الثانية بدل منه .

ومعنى) دكا دكا (دكا بعد دك كما قيل في (لبيك) أي كرر عليها الدك حتى صارت هباء منبثا .

وقال المبرد : استوت في الانفراض فذهب دورها وقصورها وجبالها وقلاعها حتى تصير قاعاً صفصفا ، ولعل هذا الذي بعد الزلزلة .

قوله) وجاء ربك (أي أمره بالجزاء والحساب أو قهره أو". (١)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٤٩٨

١٠٩-"عن الكبائر، غير مصر على الصغائر.

ثالثها: أن يكون زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة مواظبا على الطاعات المؤكدة والأذكار المأثورة في صحاح الأحاديث مواظبا على **تعلق القلب** بالله سبحانه.

رابعها: أن يكون آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مستبدا برأيه، لا إمعة ليس له رأي، ولا أمرؤ ذا مروءة وعقل تام يعتمد عليه في كل ما يأمر به، وينهي عنه، قال تعالى (ممن ترضون من الشهداء)، فما ظنك بصاحب البيعة؟

خامسها: أن يكون صحب العلماء بالكتاب والسنة، وتأدب بهم دهرا طويلا، وأخذ منهم العلم للظاهر، والنور الباطن والسكينة، وهذا لأن سنة الله جرت بأن الرجل لا يفلح إلا إذا رأى المفلحين، ولا يشترط في ذلك ظهور الكرامات وخوارق العادات ولا ترك الإكتساب؛ لأن الأول ثمرة المجاهدات، لا شرط الكمال، والثاني مخالف للشرع المطهر ولا تغتر بما فعله المغلوبون في أحوالهم، إنما المأثور القناعة بالقليل، والورع من الشبهات.

وإذا تقرر لك هذا عرفت ما هو صاف عما هو كدر، فاشدد يديك عليه ولا تلتفت إلى غير ما ذكرنا، وبالله التوفيق. ولما ذكر تعالى أهل بيعة الرضوان وأضافهم إلى حضرة الرحمن، ذكر من غاب عن ذلك الجناب، وأبطأ عن حضرة تلك العمرة بقوله:". (١)

١١٠-"وقد سبق في السورة بيان حال أولي العلم هؤلاء في قوله : ﴿ والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا ﴾ . . فهذه شهادة أولي العلم وشهادة الملائكة : تصديق . وطاعة . واتباع . واستسلام .

وشهادة الله سبحانه وشهادة الملائكة وأولي العلم بوحدانية الله يصاحبها شهادتهم بأنه - تعالى - قائم بالقسط . بوصفها حالة ملازمة للألوهية .

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو - والملائكة وأولو العلم - قائما بالقسط ﴾ . .

فهي حالة ملازمة للألوهية كما تفيد صياغة العبارة . وهذا إيضاح للقوامة التي وردت في مطلع السورة : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ . . فهي قوامة بالقسط .

وتدبير الله لهذا الكون ولحياة الناس متلبس دائما بالقسط - وهو العدل - فلا يتحقق العدل المطلق في حياة

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٩٨/١٣

الناس ، ولا تستقيم أمورهم استقامة أمور الكون ، التي يؤدي كل كائن معها دوره في تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر . . لا يتحقق هذا إلا بتحكيم منهج الله الذي اختاره لحياة الناس ، وبينه في كتابه . وإلا فلا قسط ولا عدل ، ولا استقامة ولا تناسق ، ولا تلاؤم بين دورة الكون ودورة الإنسان . وهو الظلم إذن والتصادم والتشتت والضياع!

وها نحن أولاء نرى على مدار التاريخ أن الفترات التي حكم فيها كتاب الله وحدها هي التي ذاق فيها الناس طعم القسط ، واستقامت حياتهم استقامة دورة الفلك - بقدر ما تطيق طبيعة البشر المتميزة بالجنوح إلى الطاعة والجنوح إلى المعصية ، والتأرجح بين هذا وذاك؛ والقرب من الطاعة كلما قام منهج الله ، وحكم في حياة الناس كتاب الله . وأنه حيثما حكم في حياة الناس منهج آخر من صنع البشر ، لازمه جهل البشر وقصور البشر . كما لازمه الظلم والتناقض في صورة من الصور . ظلم الفرد للجماعة . أو ظلم الجماعة للفرد . أو ظلم طبقة لطبقة . أو ظلم أمة لأمة . أو ظلم جيل لجيل . . وعدل الله وحده هو المبرأ من الميل لأي من هؤلاء . وهو إله جميع العباد . وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ . .

يؤكد حقيقة وحدة الألوهية مرة أخرى في الآية الواحدة ، مصحوبة بصفة العزة وصفة الحكمة . والقدرة والحكمة لازمتان كلتاهما للقوامة بالقسط . فالقسط يقوم على وضع الأمور في مواضعها مع القدرة على إنفاذها . وصفات الله سبحانه تصور وتوحي بالفاعلية الإيجابية . . فلا سلبية في التصور الإسلامي لله . وهو أكمل تصور وأصدقه لأنه وصف الله لنفسه سبحانه . وقيمة هذه الفاعلية الإيجابية أنها **تعلق القلب** بالله وإرادته وفعله ، فتصبح العقيدة مؤثرا حيا دافعا لا مجرد تصور فكري بارد!

ويرتب على هذه الحقيقة التي عاد لتوكيدها مرتين في الآية الواحدة ، نتيجتها الطبيعية . . ألوهية واحدة . فلا عبودية إلا لهذه الألوهية الواحدة :

﴿ إن الدين عند الله الإسلام .". (١)

١١١-"هذه السورة الصغيرة تعدل ثلث القرآن كما جاء في الروايات الصحيحة . قال البخاري : حدثنا إسماعيل : حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعد ، « أن رجلا سمع رجلا يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يرددها . فلما أصبح جاء إلى النبي A فذكر ذلك

---

(١) في ظلال القرآن ١/٣٤٩

له وكأن الرجل يتقالها فقال النبي A : والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » .

وليس في هذا من غرابة . فإن الأحدية التي أمر رسول الله A أن يعلنها : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ هذه الأحدية عقيدة للضمير ، وتفسير للوجود ، ومنهج للحياة . . وقد تضمنت السورة من ثم أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام الكبيرة . .

﴿ قل هو الله أحد ﴾ . . وهو لفظ أدق من لفظ « واحد » . . لأنه يضيف إلى معنى « واحد » أن لا شي ء غيره معه . وأن ليس كمثله شيء .

إنها أحدية الوجود . . فليس هناك حقيقة إلا حقيقته . وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده . وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية .

وهي من ثم أحدية الفاعلية . فليس سواه فاعلا لشيء ، أو فاعلا في شيء ، في هذا أصلا . وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضا . .

فإذا استقر هذا التفسير ، ووضح هذا التصور ، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة ، ومن كل تعلق بغير هذه اللذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية .

خلص من التعلق بشيء من أشياء هذا الوجود إن لم يخلص من الشعور بوجود شيء من الأشياء أصلا! فلا حقيقة لوجود إلا ذلك الوجود الإلهي . ولا حقيقة لفاعلية الإرادة الإلهية . فعلام **يتعلق القلب** بما لا حقيقة لوجوده ولا لفاعليته!

وحين يخلص القلب من الشعور بغير الحقيقة الواحدة ، ومن التعلق بغير هذه الحقيقة . . فعندئذ يتحرر من جميع القيود ، وينطلق من كل الاوهاق . يتحرر من الرغبة وهي أصل قيود كثيرة ، ويتحرر من الرهبة وهي أصل قيود كثيرة . وفيم يرغب وهو لا يفقد شيئا متى وجد الله؟ ومن ذا يرهب ولا وجود لفاعلية إلا لله؟

ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله ، فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها – وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه . ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئا في الكون إلا الله . لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله .". (١)

١١٢–"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٣٠٩

«أفبالباطل يؤمنون» ، وهو حسبان حصول شيء من الأغيار ، **وتعلق القلب** بهم استكفاء منهم أو استدفاعا

---

(١) في ظلال القرآن ٨/١٢٧

لمحذور أو استجلابا لمحبوب.

«وبنعمت الله هم يكفرون» والنعمة التي كفروا بها هى الثقة بالله ، وانتظار الفرج منه ، وحسن التوكل عليه.

قوله جل ذكره :

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٣]

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات و الأرض شيئا و لا يستطيعون (٧٣)

و من يتعلق بشخص أو بسبب مضاه «١» لعباد الأصنام من حيث إنه يضيع وقته فيما لا يعينه ، فالرزق ، من الله - فى التحقيق - مقدر.

قوله جل ذكره :

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٤]

فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم و أنتم لا تعلمون (٧٤)

كيف تضرب الأمثال لمن (لا) «٢» يساويه أحد فى الذات والصفات وأحكام الأفعال؟

و من نظر إلى الحق من حيث الخلق «٣» وقع فى ظلمات التشبيه ، وبقي عن معرفة المعبود.

قوله جل ذكره :

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٥]

ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء و من رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا و جهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٧٥)

شبه الكافر بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شىء ولا ملك له فى الشرع ، والمؤمن المخلص بمن رزقه الخيرات ووفقه إلى الطاعات ثم وعده الثواب وحسن المآب على ما أنفقه.

---

(١) فى الهامش هكذا ، بينما هى فى النص (معناه) ، والصواب ما جاء فى الهامش أي مماثل.

(٢) سقطت (لا) والمعنى يتطلبها.

(٣) أي من حيث مضاهاته بالخلق ، ومناظرته بالحدثان.". (١)

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع ٢/٣٠٩

١١٣-"أحدها : حلاوة الإيمان ولذته التي هى أحلى وأطيب مما تركه لله، فإن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، والنفس تحب النظر إلى هذه الصور، لا سيما نفوس أهل الرياضة والصفا، فإنه يبقى فيها رقة تنجذب بسببها إلى الصور، حتى تبقى الصورة تخطف أحدهم وتصرعه، كما يصرعه السبع .
ولهذا قال بعض التابعين : ما أنا على الشاب التائب من سبع يجلس إليه بأخوف عليه من حدث جميل يجلس إليه . وقال بعضهم : اتقوا النظر إلى أولاد الملوك، فإن فتنتهم كفتنة العذارى . وما زال أئمة العلم والدين ـ كأئمة الهدى وشيوخ الطريق ـ يوصون بترك صحبة الأحداث، حتى يروى عن فتح الموصلي أنه قال : صحبت ثلاثين من / الأبدال كلهم يوصيني عند فراقه بترك صحبة الأحداث، وقال بعضهم : ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه بصحبة هؤلاء الأنتان .
ثم النظر يولد المحبة، فيكون علاقة، لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة، لانصباب القلب إليه، ثم غراما؛ للزومه للقلب . كالغريم الملازم لغريمه، ثم عشقا، إلى أن يصير تتيما، والمتيم : المعبد، وتيم الله : عبد الله، فيبقى القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون أخا ولا خادما .
." (١)

١١٤-"ج ٢ ، ص : ٦٠٤
أي حال كونه يسرع في طلب الخير وهو يخشى (٩) من الله ، أي وهو مسلم فأنت عنه تلهى (١٠) أي تتشاغل بصناديد قريش. وقرأ طلحة بن مصرف «تتلهى». وقرأ أبو جعفر «تلهى» ، أي يلهيك شأن الصناديد
كلا أي لا تفعل مثل ذلك ، أي وذلك محمول على ترك الأولى إنها تذكرة (١١) أي إن القرآن موعظة فمن شاء ذكره (١٢) أي فمن رغب في القرآن اتعظ به ، ومن لم يرده فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره في صحف أي ذلك القرآن مثبت في صحف منتسخة من اللوح المحفوظ مكرمة (١٣) عند الله تعالى ، مرفوعة في السماء السابعة ، مطهرة (١٤) أي منزهة عن مساس أيدي الشياطين ، بأيدي سفرة (١٥) أي ملائكة يكشفون الوحي بين الله ورسله ، أو يكتبون الكتب ناقلين من اللوح المحفوظ كرام أي عند الله تعالى بررة (١٦) أي صادقين لله في أعمالهم. وقال القرطبي : إن المراد بما في قوله تعالى : لا يمسه إلا المطهرون [الواقعة : ٧٩] هؤلاء السفرة الكرام البررة ، وقوله : بأيدي متعلق ب «مطهرة».

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ٤/٦٩

قال القفال : لما لم يمس الصحف إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهر إليها لطهارة من يمسها. قتل الإنسان أي لعن الكافر ما أكفره (١٧) أي أي شيء أكفره ، وهو تعجب من إفراطه في الكفران ، والتعجب بالنسبة للمخلوقين ، والمعنى : اعجبوا من كفر الإنسان بجميع ما ذكرناه بعد هذا ، من أي شيء خلقه (١٨) وهذا استفهام تقرير في التحقير ، أي فليتفكر الإنسان في نفسه من أي شيء خلقه الله ، ثم بين الله له فقال : من نطفة أي ماء حقير ، خلقه فمن كان أصله مثل هذا الشيء الحقير ، فالتكبر لا يكون لائقا به فقدره (١٩) أي فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء ، أو فقدره أطوارا نطفة ، ثم علقة إلى أن تم خلقه ، ثم السبيل يسره (٢٠) أي ثم سهل الله خروجه من بطن أمه وكان رأس المولود في بطن أمه ، من فوق ورجلاه من تحت ، فإذا جاء وقت الخروج انقلب ، فخروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب ، أو ثم بين طريق الخير والشر التي تتعلق بالدنيا ، والتي تتعلق بالدين ،

ثم أماته بعد ذلك ، فأقبره (٢١) أي جعله الله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ، ثم إذا شاء أنشره (٢٢) أي بعثه من القبر كلا ، أي لا تتكبر ، ولا تصر على إنكار التوحيد ، وعلى إنكار البعث ، أو حقا يا محمد لما يقض ما أمره (٢٣) ، أي لم يعمل الإنسان الكافر بما أمره الله به من التأمل في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه وبينات حكمته ، فلينظر الإنسان إلى طعامه (٢٤) الذي جعله الله سببا لحياته كيف دبر الله أمره ، أنا صببنا الماء أي الغيث على الأرض ، صبا (٢٥).

قرأ عاصم وحمزة والكسائي «أنا» بفتح الهمزة على أنه بدل اشتمال من طعامه ، لأن الماء سبب لحدوث الطعام ، فهو مشتمل عليه. والباقون بالكسر على الاستئناف. وقرئ «إني» بالإمالة ، أي كيف صببنا الماء صبا عجيبا! ثم شققنا الأرض بالنبات شقا (٢٦) بديعا لائقا به فأنبتنا فيها أي الأرض حبا (٢٧) ، وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما ، ح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، ج ٢ ، ص : ٦٠٥

وعنبا وهو غذاء من وجه وفاكهة من وجه ، وقضبا (٢٨). قيل : هو كل ما يقطع من البقول.

وقال الحسن : هو العلف للدواب. وقال ابن عباس : هو الرطب فإنه يقطع من النخل ، وزيتونا وفيه إصلاح المزاج ، ونخلا (٢٩) وحدائق غلبا (٣٠) أي بساتين ملتفة الأشجار ، أو طوال الأشجار ،

وفاكهة وهي ما تأكله الناس من ثمار الأشجار ، وأبا (٣١) وهو ما تأكله الدواب من الكلأ ، متاعا لكم ولأنعامكم (٣٢) أي فعل الله ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم ، فإذا جاءت الصاخة (٣٣) أي صيحة النفخة الثانية التي تصم الآذان لشدتها ، يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) و«يوم» إما منصوب بأعني تفسيرا ل «الصاخة» ، أو بدل منها مبني على الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأي الكوفيين ، أي يعرض عن أخيه وأمه وأبيه

(٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦) وفائدة هذا الترتيب كأنه قيل يوم يعرض المرء عن أخيه ، بل عن أبويه اللذين هما أقرب من الأخ ، بل عن الزوجة والولد اللذين تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالأبوين ، وجواب «إذا» محذوف تقديره : اشتغل كل امرئ بحال نفسه ، ويدل عليه قوله تعالى : لكل امرئ منهم يومئذ أي يوم إذ تكون هذه الداهية شأن يغنيه (٣٧) ، أي شغل يكفيه في الاهتمام به ، أو عمل يصرفه عن قرابته كما قاله ابن قتيبة.

وقرئ «يعنيه» بالياء المفتوحة والعين المهملة ، أي يهمه ، أي يوقعه في الهم ، وجوه يومئذ مسفرة (٣٨) أي مضيئة من صلاة الليل – كما قاله ابن عباس – أو من آثار الوضوء – كما قاله الضحاك – أو بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بالرحمة ومنازل الرضوان – كما قاله الرازي – ضاحكة أي معجبة بكرامة الله أو مسرورة بالفراغ من الحساب ، مستبشرة (٣٩) أي فرحة بما تشاهد من النعيم الدائم والثواب الجسيم ، ووجوه يومئذ عليها غبرة (٤٠) أي كدورة

ترهقها أي تدركها عن قرب ، قترة (٤١) أي سواد كالدخان أولئك أي أصحاب هذه الوجوه هم الكفرة الفجرة (٤٢) أي الجامعون بين الكفر بالله والكذب على الله.". (١)

١١٥-" صفحة رقم ٢٦٤

) القبلة (قال الحرالي : في جملته إنباء بأن القبلة مجعولة أي مصيرة عن حقيقة وراءها ابتلاء بتقليب الأحكام ليكون تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم ، فالوجهة الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثبت عند تقلب الأحكام بما في قلبه من صدق التعلق بالله والتوجه له أيان ما وجهه ، وعلى المجيب عن غرض ظاهر ليس يسنده صدق باطن فيتعلق من الظاهر بما لا يثبت عند تغيره – انتهى .

وبين أنها الأولى بقوله : (التي كنت عليها (وبين أن العلة ا لتمييز بين الناس بقوله : (إلا لنعلم) أي بما لنا من العظمة بالجنود والرسل وغيرهم حين وجود الأمر بالتحول عنها) من يتبع الرسول (في كل ما يأمر به اتباعا دالا على تمكن إيمانه) ممن ينقلب (أي يرتد فيدبر بعد إقباله متنكسا) على عقبيه (علما متعلقا بموجود تقوم به الحجة في مجاري عاداتكم ، والعقب مؤخر القدم .

وقال الحرالي : لنجعل علما ظاهرا على لاصادق وغيره يشتمل العلم به من علم الغيب قبل كونه وبعد كونه ، ومن لم يعلم الغيب إلا عن علم بما ينبئني عنه نون الاستتباع فهذا وجهه ووجه ما يرد من نحوه في القرآن والسنة

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ٢/٦٠٤

- انتهى .
ثم بين شدتها على من أخلد إلى العادة لغلبة القوة الحيوانية البهيمية ولم يتمرن في الانقياد للأوامر الإلهية على خلع الإلف وذل النفس فقال : (وإن كانت) أي الجعلة) لكبيرة) أي ثقيلة شاقة جدا لأن مفارقة الألف بعد كمأنينة النفس إليه أمر شاق جدا ، ثم استثنى من أيده سبحانه بروح منه وسكينة فقال : (إلا على الذين هدى الله) أي خلق الذي له الأمر كله الهداية في قلوبهم فانقادوا لما هداهم إليه بنصيب الأدلة .
ولما كان قبولهم لهذا الأمر وثباتهم عند تغير الأحكام إنما كان عن إيمان وعلم محيط جعل الله عز وجل أعمالهم وتوجههم للقبلة الأولى من الإيمان فقال : (وما كان الله (الذي له الكمال المطلق) ليضيع (قال الحرالي : مما منه الضياع والضيعة وهو التفريط فيما له غناء وثمرة إلى أن لا يكون له غناء ولا ثمرة) إيمانكم) أي المصرح به في قولكم :
٧٧ ( ) آمنا بالله ( ) ٧
[البقرة : ٨] المشار إلى صدق الدعوى فيه بقولكم :
٧٧ ( ) ونحن له مخلصون ( ) ٧
[البقرة : ١٣٩] في شيء من الأشياء لا في صلاتكم إلى القبلة الأولى ، ولا في تمييز الصادق منكم من المنافق بالامتحان بتغيير الأحكام من القبلة وغيرها ولا في اختصاصكم به سبحانه دون أهل الكتاب الجاحدين لآياته الناكبين عن مرضاته الناكثين لعهوده .
ولما نزه نفسه المقدسة عن جميع هذه الإضاعة علل ذلك بما هو أعم فقال : (إن الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال) بالناس) أي الذين هم أعم من المؤمنين". (١)

١١٦-"ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أوسطهم قال : ﴿ويكون الرسول﴾ أي لا غيره بما اقتضاه اختصاصه بكونه وسط الوسط ﴿عليكم﴾ خاصة ﴿شهيدا﴾ بأنكم تابعتموه وصدقتموه فكنتم خير أمة أخرجت للناس ، وبأنه قد بلغكم مدة حياته ، فلما مات خلف فيكم كتابا معجزا متواترا لا يغسله الماء ولا تحرقه النار ، لأنه محفوظ في الصدور متلو بالألسن إلى أن يأتي أمر الله ، ولذلك عبر بأداة الاستعلاء فافهم صوغ الكلام هكذا : إنهم حازوا شرفين أنه لا يشهد عليهم إلا الرسول ، وأنه لا يحتاج في الشهادة على سائر الأمم إلى غير شهادتهم دفعا لتوهم أن غيرهم يشهد عليهم كما شهدوا عليهم ، ولتوهم أن غيرهم لا يكتفى

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٢٦٤/١

في الشهادة عليه إلا بشهادة الرسول كما لم يكتف فيهم إلا بذلك.

ولما أعلم بما ﴿سيقول السفهاء﴾ [البقرة : ١٤٢] وعلم جوابهم وبين سر التحويل بين علة التوجيه إلى قبلتين بقوله : ﴿وما جعلنا﴾ أي بعظمتنا التي لا يقاويها أحد.

٢٦٣
﴿القبلة﴾ قال الحرالي : في جملته إنباء بأن القبلة مجعولة أي مصيرة عن حقيقة وراءها ابتلاء بتقليب الأحكام ليكون **تعلق القلب** بالله الحكيم لا بالعمل المحكم ، فالوجهة الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثبت عند تقلب الأحكام بما في قلبه من صدق التعلق بالله والتوجه له أيان ما وجهه ، وعلى المجيب عن غرض ظاهر ليس يسنده صدق باطن فيتعلق من الظاهر بما لا يثبت عند تغيره – انتهى.

وبين أنها الأولى بقوله : ﴿التي كنت عليها﴾ وبين أن العلة ا لتمييز بين الناس بقوله : ﴿إلا لنعلم﴾ أي بما لنا من العظمة بالجنود والرسل وغيرهم حين وجود الأمر بالتحول عنها ﴿من يتبع الرسول﴾ في كل ما يأمر به اتباعا دالا على تمكن إيمانه ﴿ممن ينقلب﴾ أي يرتد فيدبر بعد إقباله متنكسا ﴿على عقبيه﴾ علما متعلقا بموجود تقوم به الحجة في مجاري عاداتكم ، والعقب مؤخر القدم.

". (١)

١١٧-"حفظ القلب من التعلق بغير الله

ومعلوم أن مثلك لن يدعو غير الله فيما نحسب، ولكن قد **يتعلق القلب** بأحد تعلقا يوازي تعلقه بالله، والعلماء يقولون: إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون كالكعبة، فالكعبة لا تعلق فيها صور ولا أزلام، فكذلك قلب المؤمن ينبغي ألا يكون فيه إلا الله، أو ما كان داخلا في محبة الرب تبارك وتعالى.

وإن حفظ البصر من النظر إلى المحرمات من أعظم ما يمكن أن تصرف به القلوب إلى طاعة الله؛ لأن البصر إذا أدمن النظر -عياذا بالله- تعلق بالصور والوجوه التي يراها، وقد يفتن بها إن كانت وجوه رجال أو كانت وجوه نساء.

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ١/٣٦٤

ومن التعلق بغير الله حب الإنسان للشهرة والظهور، ومنه حب الإنسان للمال، ومنه حب الإنسان للانتقام، ومنه حب الإنسان للشهوات وما أشبه ذلك.

فهذه كلها صوارف تصرف القلب عن الرب تبارك وتعالى.". (١)

١١٨-"تفسير قوله تعالى: (وإذا قرأت القرآن رجلا مسحورا)

ثم قال ربنا وهو أصدق القائلين: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا * نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [الإسراء:٤٥ - ٤٧].

الله يقول: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ [الإسراء:٤٦] تحتمل معنيين: إما وصفته بصفات التوحيد والتمجيد، وأنه لا إله معه، وهذا القول يدل عليه ظاهر القرآن: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ [الصافات:٣٥] أي: إذا ذكرت ربك موحدا إياه نافيا عنه الشرك: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ [الإسراء:٤٦]، لم يقبلوا منك هذا القول ونفروا منك.

والمعنى الثاني -ولا مانع من أخذ المعنيين- أن يكون المقصود: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ [الإسراء:٤٦]، أي: كان حديثك عن الله وحده غير مختلط بأمور الدنيا، لكن قلنا: إن الأول أقوى في حق أهل الكفر، ودليله: أن الله يقول: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾ [غافر:١٢]، والمقصود: هؤلاء الكفرة، يقول الله: ﴿حجابا مستورا﴾ [الإسراء:٤٥]، هذه مفعول أصلها فاعل، يعني: حجابا ساترا، لكن أهل العلم يقولون: هل كان الحجاب حجاب بصر أم حجابا على القلب؟ ظاهر الآية: أنه حجاب على القلب، ومن قال: إنه حجاب على البصر احتج بالقصة المعروفة، (أن أم جميل لما أنزل الله جل وعلا قوله: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ [المسد:١] أتت إلى أبي بكر وبجواره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يدها فهر - يعني: حجر كبير - وتريد أن تضرب به النبي صلى الله عليه وسلم، فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه ليحذر النبي عليه الصلاة والسلام فقال: إنها لن تراني)، وقرأ آيات منها هذه الآية: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ [الإسراء:٤٦] إلى أن قال: حجابا مستورا، فلما جاءت: سألت أبا بكر قائلة: إنه بلغني أن صاحبك يهجوني، فأخبرها أنه لا يهجوها، فقالت:

---

(١) تأملات قرآنية - المغامسي ١٨/١٧

مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا فهي تقول: مذمما، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فكأن الكلام لا يقع عليه.

والذي يعنينا هنا: أن الذين قالوا بحجاب الرؤية قالوا بهذا، لكن هذه حالة فردية، ولا أظنها تأخذ الحكم، وإنما هؤلاء لما في قلوبهم من الكفر منعهم الله جل وعلا أن يفقهوا كلامه، وأن يعتبروا بعظاته، قال الله تعالى: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا * نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [الإسراء:٤٦ – ٤٧].

وردت في هذا آثار منها: أن بعض قريش كان إذا أمسى يأتي إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن فيتخذ مكانا لا يراه فيه أحد، يسمع منه قراءة النبي عليه الصلاة والسلام، ففعل هذا بعض صناديدهم، ثم لما انصرفوا آخر الليل، جمعهم الطريق، فأخذوا يتناجون فيما بينهم ويتلاومون على أنهم قبلوا أن يسمعوا، وقالوا: لو رآنا عامة الناس لاحتجوا بنا؛ ولهذا مكثوا على هذا يومين أو ثلاثة ثم تعاهدوا ألا يفعلوه، فأخبر الله نبيه بهذا فقال: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [الإسراء:٤٧].

ولا ريب أن قولهم: ﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [الإسراء:٤٧]، واحدا من الأمثال التي ضربوها، وإلا فقد قالوا: إن النبي كاهن، وإن النبي مجنون، وإن النبي غير ذلك، كل ذلك يحاولوا أن يردوا به ما سمعوه من كلام الله، لذلك قال الله متعجبا من صنيعهم: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا﴾ [الإسراء:٤٨] أي: لم يجدوا حيلة، ولم يهتدوا سبيلا في وصفك، فلهذا قال الله بعدها: ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ [الإسراء:٤٨].

بقيت نقطة مهمة في هذا الأمر كله: القلوب أوعية، وخير ما يملؤها ذكر الله، والإنسان يجد في قلبه ميلا إلى شيء ما، فمن كان على الفطرة، ورزق العلم، وعرف السنة، وأحكم فهم القرآن، فإنه يجد في نفسه ميلا إلى تلك المجالس التي يعظم فيها الله، ومن كان في قلبه ضد ذلك كله لم يبق قلبه على الفطرة، ولم ينهل من رحيق السنة، ولم يتدبر القرآن، ولم يرجو جنة، ولم يخش نارا، فقد ختم على قلبه وطبع، قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف:٥]، فقد جبل قلبه وطبع على حب الهوى، والانصراف إلى الأحاديث التي لا يكون فيها ذكر للرب جل وعلا، فينجب عن هذا قسوة قلب لا يعلمها إلا الله، وقد قال بعض أهل الفضل: إن من أعظم الطرائق لمعرفة مكان قلبك من الله: أن تجد راحة قلبك في المجالس التي يعظم الله جل وعلا فيها ويذكر، وأنت ترى في زماننا هذا على وجه الخصوص أن كثيرا من الناس شغل، إما بصوارف مادية محسوسة تجاوزت حدها، كانصراف البعض إلى سوق الأسهم، وإن كان أصل التجارة مباحا.

والأمر الثاني -وهو أشد وأنكى- الانصراف إلى الأقوال والمناظر التي تستهوي من تستهويه، بما يسمى: بالفيديو كليب أو الأفلام، أو الأغاني، حتى تصبح شغل الإنسان الشاغل، فكلما زاد **تعلق القلب** -عياذا بالله- بمثل هذه الصوارف كان بمنأى عن الله، ولما كان بمنأى عن أن يرق قلبه إلى ذكر الله، وإلى المجالس التي يعظم فيها الله، دل هذا على قربه من طرائق أهل الإشراك، وبعده عن رحمة الرب تبارك وتعالى، وما نعى الله جل وعلا على أحد شيئا بأعظم من نعيه على اشمئزاز قلبه إذا ذكر الله، وهذا -والعياذ بالله- منتهى الكفر، قال الله جل وعلا: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ [الزمر:٤٥]، وهذا نعي على قلوب لا تحن ولا ترق إذا ذكر الله جل وعلا، والقرآن قبل أن نخوض في قواعده النحوية، وطرائق البلغاء، ومسالك الفقهاء، يجب أن نفقه أن الله أنزله حتى يؤثر في قلوبنا، وقد مرت معنا علميا -كما قال الزركشي وغيره- مرت معنا آيات منسوخة: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء:٤٣]، وأنت تعلم أن هذه الآية منسوخة لا يعمل بها، وكم في القرآن من آيات منسوخة، لكن لماذا بقيت لفظا؛ لأنها كلام الله، فهي وإن كانت منسوخة عملا، لكن كفانا شرفا أن نعرف أنها كلام الله، فيكون لها تأثير وواقع على قلوبنا، والإنسان يجب عليه أن يكون رقيبا حسيبا على نفسه، يرقى بنفسه إلى معالي الأمور، فيجعلها تقرب دائما من القرآن، تتأدب بآدابه وتعمل بأحكامه، وتؤمن بمتشابهه، وأعظم من ذلك الآيات التي يخبر الله فيها عن ثنائه على نفسه، ومدحه لذاته العلية، هذا الذي يدنيك من مسالك الكمال، يدنيك من الكبير المتعال، يقربك من ربك، ويجعلك على صراط مستقيم بين، إذا كان القرآن هو الشيء الذي تأنس إلى تلاوته، وتحب أن تسمعه.

كما أن من أخطائنا في التربية: أن نربي أنفسنا على ألا نسمع إلا لقارئ أو قارئين أو ثلاثة، وهذا وإن كان أحيانا قد لا نستطيع الانفكاك منه؛ لأن الصوت الحسن له دور، كما قال صلى الله عليه وسلم: (زينوا القرآن بأصواتكم)، لكن من أراد المنتهى في الكمال فليتعظ بما يتلى لا بمن يتلو.

من هنا يفهم سياق الآيات الحقيقي: وهو أن الله جل وعلا ينعى على أهل الإشراك بغضهم لله، حتى إنهم لا يجدون لهم مكانا في مواطن يعظم الله جل وعلا فيها، فينفرون ويبتعدون وينسبون فاعلها إلى السحر.

وعلى النقيض من ذلك: فأهل الإيمان إذا سمعوا القرآن حنت قلوبهم، ذرفت عيونهم، اقشعرت جلودهم؛ لأنه لا كلام بعد كلام الله: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا * نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * انظر﴾ [الإسراء:٤٦ - ٤٨]، هذه مسوقة على سبيل التعجب والإنكار، ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ [الإسراء:٤٨]، أي:

تشتتوا.

فلا يدرون ماذا يقولون فيك، يبهرهم كلامك، يعلمون عظيم خطابك، لكنهم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ [الإسراء:٤٨]، أي: لم يجدوا حيلة ولا طريقا لوصفك بالوصف الحق؛ لأن الوصف الحق أنك نبي ورسول، وهؤلاء حال كفرهم وفجورهم وبغضهم لربهم أن يصفوك بالوصف الذي وصفك الله جل وعلا به.

إلى هنا ينتهي خطابنا؛ لأن الآيات التي بعدها مرتبطة بعضها ببعض، قال تعالى: ﴿وقالوا أئ". (١)

"الإنسان تبلد عقله، وقلت فطنته، قاله الرازي. ثم قال: واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص: فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب، والباطل بالحق. اهـ كلام الرازي.

وقال ابن كثير بعد أن ذكر هذا النوع من السحر نقلا عن الرازي: قلت: يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعيا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحاولات. انتهى كلام ابن كثير.

النوع السابع من أنواع السحر المذكور: تعليق القلب، وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعون وينقادون له في أكثر الأحوال: فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق: وتعلق قلبه بذلك: حصل في نفسه نوع من الرعب، والمخافة: وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة: فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل ما يشاء. قال الرازي: وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن **لتعلق القلب** أثرا عظيما في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار.

وقال ابن كثير بعد أن نقل هذا النوع من السحر عن الرازي: هذا النمط يقال له التنبلة، وإنما يروج على ضعفاء العقول من بني آدم. وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه. فإذا كان النبيل حاذقا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره.

النوع الثامن من أنواع السحر: السعي بالنميمة، والتضريب من وجوه لطيفة خفية وذلك شائع في الناس اهـ. والتضريب بين القوم: إغراء بعضهم على بعض.

وقال ابن كثير بعد أن نقل هذا النوع الأخير عن الرازي قلت: النميمة على قسمين: تارة تكون على وجه التحريش بين الناس، وتفريق قلوب المؤمنين. فهذا حرام متفق عليه. فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين

---

(١) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي ٣٩/٥

الناس، وائتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث «ليس الكذاب من ينم خيرا» أو يكون على وجه التخذيل، والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث «الحرب خدعة» ، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة، جاء إلى هؤلاء ونمى إليهم عن هؤلاء، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئا آخر، ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت. وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء ذو البصيرة النافذة. والله المستعان.." (١)

"الله تعالى في هذه الآية الكريمة (٣٢) عباده المؤمنين عن تمني ما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض فأعطى هذا وحرم ذاك لحكم اقتضت ذلك، ومن أظهرها الابتلاء بالشكر والصبر، فقال تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به﴾ —من علم أو مال. أو صحة أو جاه أو سلطان- ﴿بعضكم على بعض﴾ وأخبر تعالى أن سنته في الثواب والعقاب الكسب والعمل، فليعمل من أراد الأجر والمثوبة بموجبات ذلك من الإيمان والعمل الصالح، ولا يتمنى ذلك تمنيا، وليكف عن الشرك والمعاصي من خاف العذاب والحرمان ولا يتمنى النجاة تمنيا كما على من أراد المال والجاه فليعمل له بسنته المنوطة به، ولا يتمنى فقط فإن التمني كما قيل بضائع النوكى، أي: الحمقى، فلذا قال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ ، فرد القضية إلى سنته فيها وهي كسب الإنسان. كقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ثم بين تعالى سنة أخرى في الحصول على المرغوب: وهي دعاء الله تعالى فقال: ﴿واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما﴾ فمن سأل ربه وألح١ عليه موقنا بالإجابة أعطاه فيوفقه للإتيان بالأسباب، ويصرف عنه الموانع، ويعطيه بغير سب إن شاء، وهو على كل شيء قدير، بل ومن الأسباب المشروعة الدعاء والإخلاص فيه.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٣٣) فإن الله تعالى يخبر مقررا حكما شرعيا قد تقدم في السياق، وهو أن لكل من الرجال والنساء ورثة يرثون إذا مات فقال: ﴿ولكل جعلنا٢ موالي﴾ أي: أقارب يرثونه إذا مات، وذلك من النساء والرجال، أما الذين هم موالي بالحلف أو الإخاء فقط، أي: ليسوا من أولي الأرحام، فالواجب إعطاؤهم نصيبهم من النصرة والرفادة. والوصية لهم بشيء إذ لاحظ لهم في الإرث، لقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ ، ولما كان توزيع المال وقسمته تتشوق له النفوس وقد يقع فيه حيف أو ظلم أخبر تعالى أنه على كل شيء شهيد فلا يخفى عليه من أمر الناس شيء فليتق ولا يعص.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٦/٤

١ لحديث الترمذي وغيره، قال صلى الله عليه وسلم: "سلوا الله من فضله، فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج" أي: من الله تعالى، وهو **تعلق القلب** بالرب تعالى.

٢ هذه الآية ناسخة لكل من الإرث بالتحالف والمؤاخاة، وهي كقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ ، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ فقد كان الرجل في الجاهلية يقوله لمن أراد محالفته: دمي دمك، وهدمي هدمك، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثي وأرثك. وأما المؤاخاة: فقد كانت بين المهاجرين والأنصار بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوارثوا بها حتى نسخت بهذه الآية، وآية الأنفال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ .." (١)

"بكونه مرئيا مدركا بالحاسة، ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة، ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدما. انتهى، وكلام من قبله على طريقة المعتزلة. والظاهر أن الرؤية من رؤية البصر، وأن وجوههم مسودة جملة في موضع الحال، وفيها رد على الزمخشري، إذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذي الحال شاذ، وتبع في ذلك الفراء، وقد أعرب هو هذه الجملة حالا، فكأنه رجع عن مذهبه ذلك، وأجاز أيضا أن تكون من رؤية القلب في موضع المفعول الثاني، وهو بعيد، لأن تعلق البصر برؤية الأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلب**. وقرىء: وجوههم مسودة بنصبهما، فوجوههما بدل بعض من كل. وقرأ أبي: أجوههم، بإبدال الواو همزة، والظاهر أن الاسوداد حقيقة، كما مر في قوله: فأما الذين اسودت وجوههم «١» . وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون في العبارة تجوز، وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم وغالب همهم وظاهر كآبتهم.

ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله، ذكر حال المتقين، أي الكذب على الله وغيره، مما يؤول بصاحبه إلى اسوداد وجهه، وفي ذلك الترغيب في هذا الوصف الجليل الذي هو التقوى. قال السدي: بمفازتهم: بفلاحهم، يقال: فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده، وتفسير المفازة قوله: لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون، كأنه قيل: وما مفازتهم؟ قيل: لا يمسهم السوء، أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم، أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى: فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب «٢» ، أي بمنجاة منه، لأن النجاة من أعظم الفلاح، وسبب منجاتهم العمل الصالح، ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة: بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم، لأن العمل الصالح سبب الفلاح، وهو دخول الجنة. ويجوز أن يسمى العمل الصالح بنفسه مفازة، لأنه سببها. فإن قلت: لا يمسهم، ما محله من الإعراب على التفسيرين؟ قلت: أما على التفسير الأول فلا محل له، لأنه كلام مستأنف،

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ١/٤٧٠

وأما على الثاني فمحله النصب على الحال. انتهى. وقرأ الجمهور: بمفازتهم على الإفراد، والسلمي، والحسن، والأعرج، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: على الجمع، من حيث النجاة أنواع، والأسباب مختلفة. قال أبو علي: المصادر تجمع إذا اختلفت أجناسها كقوله: وتظنون بالله الظنونا «٣» . وقال

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٨٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣/ ١٠.." (١)

"الدنيا وجاهها ذرة. ومن سجيته مقدسة من حرص نفسه أفلح وظفر برؤية ربه. هـ. قلت: كأنه يشير إلى أن قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ هم أهل السير من المريدين، وقوله تعالى: ﴿والذين تبوؤوا الدار ... ﴾ هو الواصلون العارفون، أي: تبوؤوا دار المعرفة، حيث سكنوها، ورسخوا فيها، وألفوا الإيمان وذاقوا حلاوته. وقوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ... ﴾ الخ، بعد أن وصفهم بقطع الطمع والحرص، والزهد فيما لم يملكوا بقوله: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ وصفهم بالإيثار فيما ملكوا، وبذلك يتم تحقيق خروج الدنيا من قلوبهم، بحيث لا **يتعلق القلب** بما فات منها، ولا يمسك ما وجد منها، بل يؤثر به مع الحاجة إليه، فالآية تشير إلى سلامة الصدور، وسخاوة الأنفس، وهذا كان وصف الصحابة - رضي الله عنهم - وبهذين الخصلتين فاقوا جميع الناس، وهي أخلاق الصوفية - رضي الله عنهم - قال الشيخ أبو يزيد: ما غلبني أحد غير شاب من بلخ، قدم حاجا، فقال: يا أبا يزيد، ما الزهد عندكم؟ فقلت: إذا وجدنا أكلنا، وإذا فقدنا صبرنا، فقال: هكذا عندنا الكلاب ببلخ، فقلت: وما الزهد عندكم؟ فقال: إذا وجدنا آثرنا، وإذا فقدنا شكرنا. هـ. وسئل ذو النون: ما حد الزاهد المشروح صدره؟ فقال: ثلاثة؛ تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت. هـ.

يقول الحق جل جلاله: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ أي: ألم تر يا محمد، أو: يا من يسمع، إلى عبد الله بن أبي وأشياعه؟ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين، من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة، بعد حكاية محاسن أقوال المؤمنين، وأحوالهم الحميدة، على اختلاف طبقاتهم. وقوله تعالى: ﴿يقولون﴾ استئناف لبيان المتعجب منه، وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم، أو: لاستحضار صورته. واللام في قوله: ﴿لإخوانهم الذين

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢١٦/٩

كفروا من أهل الكتاب﴾ للتبليغ، والمراد بالأخوة: أخوة الكفر، واللام في قوله: ﴿لئن أخرجتم﴾ موطئة للقسم، و ﴿لنخرجن﴾ جوابه، أي: والله لئن أخرجتم من دياركم." (١)

"وقد قيل: إن الثمار في آية الكهف وفي آية البقرة المراد بها المنافع والأموال والسياق يدل على أنها الثمار المعروفة لا غيرها. لقوله في البقرة:

له فيها من كل الثمرات ثم قال تعالى: فأصابها أي الجنة إعصار فيه نار فاحترقت وفي الكهف: وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها، وهي خاوية على عروشها وما ذلك إلا ثمار الجنة. ثم قال تعالى: وأصابه الكبر هذا إشارة إلى شدة حاجته إلى جنته، وتعلق قلبه بها من وجوه.

أحدها: أنه قد كبر سنه عن الكسب والتجارة ونحوها.

الثاني: أن ابن آدم عند كبر سنه يشتد حرصه.

الثالث: أن له ذرية، فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته.

الرابع: أنهم ضعفاء، فهم كل عليه، لا ينفعونه بقوتهم وتصرفهم الخامس: أن نفقتهم عليه، لضعفهم وعجزهم. وهذا نهاية ما يكون من **تعلق القلب** بهذه الجنة، لخطرها في نفسها، وشدة حاجته وذريته إليها. فإذا تصورت هذا الحال وهذه الحاجة، فكيف تكون مصيبة هذا الرجل إذا أصاب جنته إعصار، وهو الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود وفيها نار، مرت بتلك الجنة فأحرقتها، وصيرتها رمادا، فصدق والله الحسن- هذا مثل قل من يعقله من الناس- ولهذا نبه الله سبحانه وتعالى على عظم هذا المثل، وحدا القلوب إلى التفكر فيه لشدة حاجتها إليه فقال تعالى: كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون.

فلو فكر العاقل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه فكذلك العبد إذا عمل بطاعة الله ثم أتبعها بما يبطلها ويحرقها من معاصي الله كانت." (٢)

"ان الأعمال انما هى بالنيات وما كانت فى نية النبي – صلى الله عليه وسلم – الاعراض عنه مطلقا بل كان غرضه ان هذا الرجل مؤمن لا يضره التأخير فى تعليمه ولا يخاف منه التولي والانحراف وان صناديد قريش عند الاعراض عنهم يذهبون ولا ينظرون ولو انهم أمنوا لا من معهم خلق كثير وتساع كلمة الله فبهذا الغرض كانه لم يصدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – التولي عن الأعمى وان وجد منه صورة التولي وثانيها انه ذكر الإيماء الى الاعتذار منه صلى الله عليه وسلم بانك لم تكن تعلم والا لما صدر عنك ذلك وثالثها الالتفات

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٢/٧

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ابن القيم ص/١٦٧

اليه من الغيبة الى التخاطب أينا ساله دفعا للايحاش وإقبالا عليه دفعا لتوهم الاعراض ورابعها اسناد موجب العذر اليه صلى الله عليه وسلم بالتخاطب تصريحا بكونه معذورا فيما صدر عنه لعله يزكى أصله يتزكى اى يتطهر بكماله من الشرك الجلى والخفي ورزائل النفس وهوائها **وتعلق القلب** بغير الله سبحانه وذهاب الغفلة عن سائر لطايف عالم الأمر وزوال صولة كل عنصر من عناصر عالم الخلق بفيض صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – وبركة أنفاسه الشريفة واقتباس أنواره الظاهرة والباطنة.

أو يذكر أصله يتذكر اى يشتغل بما يذكر الله سبحانه ويزيد حضوره ويفيد خشيته من عذابه ورجاء ثوابه فتنفعه قرأ عاصم بالنصب على جواب لعل والباقون بالرفع عطفا على يذكر الذكرى فى الصحاح الذكرى كثرة الذكر وهو ابلغ من الذكر لقوله تعالى لعله يزكى اشعار الى غاية منازل الأبرار وقوله او يذكر اشارة الى بداية حال الأخيار ولم يذكر هاهنا حال المقربين الصديقين لان المقام مقام الانانية واما المقربون فملاك أمرهم على الاجتباء وذلك بالاصالة مختص بالأنبياء وبالوراثة والطفيل لمن شاء الله تعالى من الأصفياء وكلمة او بين لمنع الخلو دون الجمع كما فى قوله جالس الحسن او ابن سيرين والجملة معترضة لما ذكرنا من الفوائد والبيان صلوح الأعمى للخطاب وفيه تعريض بان صناديد قريش ليسوا بأهل للخطاب وفيه تعريض لا يرجى ما يقصد منهم كمن يقرا مسئلة لمن لا يفهمها وعنده اخر قابل لفهمها فيقال بل هذا يفهم ما تقول وقيل ضمير لعله راجع الى الكافر يعنى انك تطمع منه تزكى او تذكر وما يدريك ان ما تطمع فيه كاين وعلى هذا جملة لعله يزكى مفعول ثان ليدريك والله تعالى اعلم.

أما من استغنى قال ابن عباس استغنى عن الله وعن الايمان بماله من المال.

فأنت له تصدى قرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد." (١)

"قلبه بغير الله سبحانه ولا يسع فيه محبة أحد من الخلائق– فما بال يعقوب عليه السلام وهو من الأنبياء الكبار والمصطفين الأخيار اولى الأيدي والابصار– قد شغفه حب يوسف عليه السلام الكريم حتى ابيضت عيناه من البكاء عليه وهو كظيم– وما قيل ان العالم بأسرها مجال ومرايا لله سبحانه– فاشتغال قلبه بيوسف اشتغال به تعالى على الحقيقة– فذلك قول فى غلبة التوحيد لاهل الابتداء او التوسط ويستنكف عنه اهل الانتهاء فكيف الأنبياء عليهم السلام– ولو كان كذلك فلا وجه حينئذ لتخصيص تعلق الحب بيوسف عليه السلام دون غيره– والجواب عن الاشكال ان هذا مختص بالنشأة الدنيوية يعنى لا يمكن اشتغال قلب الصوفي بعد الفناء بشيء من الأشياء الدنيوية واما الأشياء الاخروية فليس هذا شأنها– فان النبي صلى الله

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٠/١٩٨

عليه وسلم قال الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما- رواه ابن ماجة عن ابى هريرة والطبراني عن ابن مسعود بسند صحيح والبزار عن ابن مسعود نحوه والطبراني بسند صحيح عن ابى الدرداء- بخلاف الاخرة فانها مرضية لله تعالى **وتعلق القلب** بها مرضى لله تعالى قال الله تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار- يعنى اولى القوة فى طاعة الله والبصارة فى معرفة الله تعالى وأحكامه- إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار- اى جعلناهم خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها هى ذكر الدار الاخرة- قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الاخرة وذكرها- وجعلنا الاخرة مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون- واطلاق الدار على الاخرة للاشعار بانها الدار على الحقيقة والدنيا معبر- هذه الاية صريح فى ان الاخرة مرضية لله تعالى وحبها وما فيها موجب للمدح- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى يعنى فى المنام سيد بنى دارا وصنع مأدبة وأرسل داعيا- فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ورضى عنه السيد- ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد- قال فالله السيد ومحمد داعى والدار الإسلام والمأدبة الجنة- رواه الدارمي عن ربيعة الجرشى- وهذا غاية معرفة الأكملين لم يطلع عليها المتوسطون «١» فضلا عن اهل الابتداء والعوام- ولو كانت رابعة البصرية مطلعة على ذلك لما قالت أريد ان احرق الجنة كيلا يعبد الناس الله تعالى لاجلها- الم تسمع قوله تعالى من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت

---

(١) فى الأصل المتوسطين-." (١)

"بوجهتها التي الى الوجود- وبهذه الحيثية مربيات للاشياء الاخروية- ولذلك صارت الاخرى مرضية لله تعالى مقبولة- وصار **تعلق القلب** بتلك الأشياء كتعلقه بصاحبها- فالكاملون فى محبة الله تعالى هم الكاملون فى محبة الدار الاخرة- وهذا وجه الفرق بين الأشياء الدنيوية والاخروية وجواز تعلق الحب بإحداهما دون الاخرى- إذا تمهد هذا فنقول ظهر بالنظر الصريح والكشف الصحيح للمجدد للالف الثاني رضى الله عنه ان وجود يوسف عليه السلام وجماله وان كان مخلوقا فى الدار الدنيا لكنه كان على خلاف سائر الأشياء الموجودة فيها- من جنس الموجودات الاخروية وربتها صفات الله تعالى بوجهتها التي الى الوجود كما ربت الجنة وما فيها من الحور والغلمان- فلا جرم جاز تعلق قلب اهل الكمال وحبهم به عليه السلام كما جاز تعلقها بالجنة وما فيها- كذا ذكر المجدد رضى الله عنه فى المكتوب المائة من المجلد الثالث- بقي هاهنا إشكالان

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٨٩/٥

أحدهما ان المجدد رضى الله عنه قال فى مقام اخر ان الممكنات سوى الأنبياء والملائكة مجال ومظاهر لظلال الأسماء والصفات التي هى مباد لتعيناتها- دون الأسماء والصفات أنفسها- واما الملائكة والأنبياء فاصول الأسماء والصفات مباد لتعيناتهم- وهم مجال ومظاهر لها- فكيف قال هاهنا ان الممكنات بأسرها مجال لاسمائه وصفاته تعالى- وكيف يتصور حينئذ ان تتجلى الصفات بانفسها فى الأشياء الدنيوية بوجهتها التي الى الاعدام- وفى الأشياء الاخروية بوجهتها التي الى الوجود- وحله ان كونها مجال لظلال الأسماء لا ينافى كونها ظلالا لاصولها فان ظل ظل الشيء ظل له- فالاسماء والصفات تتجلى فى الأنبياء بلا توسط الظلال وفى غيرهم بتوسطها- ثم هى تتجلى فى الأشياء الدنيوية بتوسط الظلال بوجهتها الى العدم وفى الأشياء الاخروية بوجهتها التي الى الذات والوجود الصرف فلا منافاة ثانيهما «١» انه يلزم حينئذ فضل يوسف عليه السلام على سائر الأنبياء بل على أفضلهم عليه وعليهم الصلوات والتسليمات- فان الكلام السابق يشعر ان غير يوسف عليه السلام من الأنبياء فى الدنيا مجال للصفات بوجهتها التي الى العدم- وحله ان هذا الاشعار انما هو بمفهوم اللقب ولا عبرة لمفهوم اللقب بل الحق ان الأنبياء كلهم عليهم الصلوات والتسليمات مجال للصفات باعتبار وجهتها الى الوجود الصرف وليس عدم ظهور حسن الاخرة منهم عليهم الصلوات والتسليمات

---

(١) فى الأصل ثانيها." (١)

"وقوله تعالى: فسوف يغنيكم الله من فضله إخبار عن غيب في المستقبل على سبيل الجزم، وقد وقع الأمر مطابقا لذلك الخبر، فكان معجزة.

وفي هذه الآية دليل على أن **تعلق القلب** بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي ذلك التوكل، وإن كان الرزق مقدرا، وأمر الله وقسمه مفعولا، ولكنه علقه بالأسباب، لحمل الناس على العمل، والسبب لا ينافي التوكل، بدليل ما أخرج البخاري من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا «١» »

فأخبر أن التوكل الحقيقي لا يعارضه الغدو والرواح في طلب الرزق.

وقوله تعالى: إن شاء يدل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته، وذلك في قوله: نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ... [الزخرف ٤٣/ ٣٢] .

٥- إقامة الكفار في ديار الإسلام:

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٩١/٥

بلاد الإسلام بالنسبة لدخول الكفار إليها وإقامتهم فيها ثلاثة أقسام:

الأول- الحرم المكي: يمنع الكافر من دخول الحرم المكي وهو قول الشافعية والحنابلة، عملا بظاهر الآية، فلا يسمح لكافر بدخول الحرم، ولو كان حاملا رسالة، وإنما يخرج إليه الإمام أو نائبه خارج الحرم ليسمع رسالته.
وأجاز المالكية لغير المسلم دخول حرم مكة دون البيت الحرام بأمان لمدة ثلاثة أيام، أو بحسب الحاجة في تقدير المصلحة من قبل الإمام.

وأباح أبو حنيفة أيضا للكافر دخول الحرم بإذن الإمام أو نائبه، ثلاثة أيام بلياليها.

---

(١) أي تغدو بكرة وهي جياع، وتروح عشية وهي ممتلئة الأجواف والبطون.." [1]

"أداء العبادة، وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركا، ولا يخرج به المكلف عن شرط الإخلاص المفترض عليه. لكن الحج دون تجارة أفضل، لبعده عن شوائب الدنيا وتعلق القلب بغيره.

وفي آية: فإذا أفضتم من عرفات.. دلالة على أن الوقوف بعرفة أمر واجب لا بد منه، لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده، ولأنه قد رتب عليه الأمر بالذكر عند المشعر الحرام.

وقد أجمع العلماء على أن من وقف بعرفة يوم عرفة قبل الزوال (الظهر) ثم أفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه ذلك. وأجمعوا على تمام حج من وقف بعرفة بعد الزوال، وأفاض نهارا قبل الليل، إلا الإمام مالك، فإنه قال: لا بد أن يأخذ من الليل شيئا. ولا خلاف أيضا في أن من وقف بعرفة بالليل فحجه تام. وحجة الجمهور: مطلق قوله تعالى: فإذا أفضتم من عرفات ولم يخص ليلا من نهار،

وحديث عروة بن مضرس قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموقف من جمع- مزدلفة-، فقلت: يا رسول الله، جئتك من جبلي طيء، أكللت مطيتي، وأتعبت نفسي، والله إن تركت من جبل «١» إلا وقفت عليه، فهل لي من حج يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى معنا صلاة الغداة بجمع، وقد أتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهارا، فقد قضى تفثه «٢» ، وتم حجه» «٣» .

---

(١) أي ما تركت جبلا إلا وقفت عليه.

(٢) المراد أنه أتى بما عليه من المناسك. والمشهور: أن التفث: ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر أو حلقه وحلق العانة ونتف الإبط وغيره من خصال الفطرة، ويدخل ضمن ذلك نحر الإبل وغيرها وقضاء جميع

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٧٠/١٠

المناسك، لأنه لا يقضى التفث إلا بعد ذلك.

(٣) رواه أبو داود والنسائي والدارقطني واللفظ له، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.." (١)

"يستدل به لقول مجاهد على منع تصوير أي شيء، سواء أكان له روح أم لم يكن.

ويعضده

ما رواه مسلم في صحيحة من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة» .

وذهب الجمهور إلى أن تصوير ما ليس فيه روح يجوز، كما يجوز الاكتساب به أخرج مسلم أيضا أن ابن عباس قال للذي سأله أن يصنع الصور: إن كنت لا بد فاعلا، فاصنع الشجر وما لا نفس له.

٥- الله عز وجل هو الذي جعل كرة الأرض اليابسة صالحة للحياة، بجعلها قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها، وزودها بالهواء الذي لا تمكن الحياة بدونه، وجعل فيها الأنهار للسقي، والجبال الثوابت لتمسكها وتمنعها من الحركة، وجعل بين البحرين: العذب والمالح مانعا من قدرته، لئلا يختلط الأجاج بالعذب.

إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غير الله، فلم يعبد المشركون ما لا يضر ولا ينفع؟ ولكن أكثرهم يجهلون الله، فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية.

٦- الله تعالى وحده مصدر الرحمة الذي يدفع الضرر، فيجيب دعاء المضطر (وهو ذو الضرورة المجهود) ويكشف السوء (الضر) ويجعل الناس خلفاء الأرض أي سكانها جيلا بعد جيل، فيموت قوم وينشئ الله آخرين، أمع الله ويلكم أيها الناس إله؟ ولكنكم تتذكرون تذكرا قليلا نعم الله عليكم، والمراد نفي التذكر، والقلة تستعمل في معنى النفي.

وهذا دليل على أن الله تعالى ضمن إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، لأن التضرع إليه ينشأ عن الإخلاص، وعدم **تعلق القلب** بسواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، سواء وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو." (٢)

"وهذا دليل على وجوب المواظبة على العبادة، كما

جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» وفي لفظ «ما داوم عليه صاحبه»

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٢٠/٢

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦/٢٠

قالت: وكان رسول الله إذا عمل عملا داوم عليه، أو أثبته. فيكون المراد بالآية الذين يداومون على الصلوات في أوقاتها، وأما الاهتمام بشأنها فيحصل برعاية أمور سابقة على الصلاة كالوضوء، وستر العورة، وطلب القبلة وغيرها، **وتعلق القلب** بها إذا دخل وقتها، ورعاية أمور مقارنة للصلاة، كالخشوع، والاحتراز عن الرياء، والإتيان بالنوافل والمكملات. ورعاية أمور لاحقة بالصلاة، كالاحتراز عن اللغو وما يضاد الطاعة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فارتكاب المعصية بعد الصلاة دليل على عدم قبول تلك الصلاة.

٣- أداء الزكاة والواجبات المالية: والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم أي والذين في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات والبائسين، سواء سألوا الناس أو تعففوا، وذلك يشمل الزكوات المفروضة وكل ما يلزم الإنسان نفسه به، من نذر، أو صدقة دائمة، أو إغاثة مستمرة. وهذا دليل على وجوب العبادة المالية ذات الأهداف الاجتماعية، بعد وجوب العبادات البدنية ذات المغزى الأخلاقي المربي للنفس، والغاية الدينية السامية، فيكون المراد بالحق: الزكاة المفروضة، بدليل وصفه بأنه معلوم، واقترانه بإدامة الصلاة.

وقيل: هو ما سوى الزكاة، وإنه على طريق الندب والاستحباب.

٤- التصديق بيوم الجزاء: والذين يصدقون بيوم الدين أي والذين يوقنون بيوم القيامة أو بالمعاد والحساب والجزاء، لا يشكون فيه ولا يجحدونه، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب. وهذا دليل على أن العمل له غاية تدفع إلى تصحيح الاعتقاد والقول والفعل.

٥- الخوف من عذاب الله: والذين هم من عذاب ربهم مشفقون، إن." (١)

"٤- قال القرطبي: في هذه الآية دليل على أن **تعلق القلب** بالأسباب في الرزق جائز، وليس ذلك بمناف للتوكل، وإن كان الرزق مقدرا، ولكنه علقه بالأسباب لتظهر القلوب التي تتعلق بالأسباب، من القلوب التي تتوكل على رب الأرباب وقد تقدم أن السبب لا ينافي التوكل، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا» «١» - أي: تغدو صباحا وهي جياع، وتعود عشية وهي ممتلئة البطون-.

هذا، وبتدبر آيات السورة الكريمة- من أولها إلى هنا- نراها قد وضحت العلاقات النهائية بين المسلمين وعبدة الأوثان، وفصلت كثيرا من الأحكام التي تخص الفريقين، ومن ذلك أنها قررت:

١- براءة الله ورسوله من عهود المشركين الذين مردوا على نقض المواثيق.

٢- إعطاءهم مهلة مقدارها أربعة أشهر يتدبرون خلالها أمرهم، دون أن يتعرض المسلمون لهم بسوء.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٢٢/٢٩

٣- إعلان الناس جميعا يوم الحج الأكبر بهذه البراءة..

٤- أمر المؤمنين بإتمام مدة العهد لمن حافظ من المشركين على عهده.

٥- بيان ما يجب على المؤمنين فعله إذا ما انقضت أشهر الأمان التي أعطيت للمشركين.

٦- إرشاد المؤمنين إلى أن من الواجب عليهم تأمين المشرك المستجير بهم حتى يسمع كلام الله، ويطلع على حقيقة الإسلام.. ثم توصيله إلى موضع أمنه إن لم يسلم.

٧- بيان الأسباب التي تدعو إلى قتال المشركين، وإلى وجوب البراءة منهم.

٨- بيان بعض الحكم والأسرار التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام.

٩- بيان أن المشركين ليسوا أهلا لعمارة مساجد الله.. وأن الذين هم أهل لذلك: المؤمنون الصادقون.

١٠- توجيه المؤمنين إلى أن إيمانهم يحتم عليهم أن يؤثروا محبة الله ورسوله على أى شيء آخر، من الآباء والأبناء والإخوان.

١١- تذكيرهم بجانب من نعم الله عليهم حيث نصرهم في مواطن كثيرة ونصرهم يوم غزوة حنين، بعد أن هزموا في أول المعركة دون أن تنفعهم كثرتهم التي أعجبوا بها.

---

(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٠٧- بتصرف يسير-[.....]." (١)

"قوله: ﴿وجوههم مسودة﴾ : العامة على رفعهما، وهي جملة من مبتدأ وخبر. وفي محلها وجهان، أحدهما: النصب على الحال من الموصولات؛ لأن الرؤية بصرية، وكذا أعربها الزمخشري. ومن مذهبه أنه لا يجوز إسقاط الواو من مثلها إلا شاذا، تابعا في ذلك الفراء فهذا رجوع منه عن ذلك. والثاني: أنها في محل نصب مفعولا ثانيا؛ لأن الرؤية قلبية. وهو بعيد لأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلبية** بهما. وقرئ «وجوههم مسودة» بنصبهما، على أن «وجوههم» بدل بعض من كل، و «مسودة» على ما تقدم من النصب على الحال أو على المفعول الثاني. وقال أبو البقاء: «ولو قرئ» وجوههم «بالنصب لكان على بدل الاشتمال» . قلت: قد قرئ به والحمد لله، ولكن ليس كما قال على بدل الاشتمال، بل على بدل

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٤٨/٦

البعض، وكأنه سبق لسان أو طغيان قلم. وقرأ أبي «أجوههم» بقلب الواو همزة، وهو فصيح نحو: ﴿أقتت﴾ [المرسلات: ١١] وبابه.." (١)

"أي: الذي لا يصح في الحكمة تركه ﴿ترى﴾ أي: أيها المحسن ﴿الذين كذبوا على الله﴾ أي: الحائز لجميع صفات الكمال بنسبة الشريك والولد إليه، وقال الحسن: هم الذين يقولون إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، قال البقاعي: وكأنه عنى من المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم إنهم يخلقون أفعالهم قال: ويدخل فيه من تكلم في الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم أنه كاذب في أي شيء كان، فإنه من حيث إن فعله فعل من يظن أن الله تعالى لا يعلم كذبه أي: ولا يقدر على جزائه كأنه كذب على الله وقوله تعالى: ﴿وجوههم مسودة﴾ جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية وقيل: في محل نصب مفعولا ثانيا لأن الرؤية قلبية، ورد بأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلبية** بهما، وذكر أن هذا السواد مخالف لسائر أنواع السواد ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي: مأوى ﴿للمتكبرين﴾ أي: الذين تكبروا على اتباع أمر الله تعالى وهو تقرير لأنهم يرونه كذلك.

ولما ذكر الله تعالى الذين أشقاهم أتبعهم حال الذين أسعدهم بقوله تعالى:

﴿وينجي الله﴾ أي: يفعل بما له من صفات الكمال في نجاتهم فعل المبالغ في ذلك ﴿الذين اتقوا﴾ أي: بالغوا في وقاية أنفسهم من غضبه فكما وقاهم في الدنيا من المخالفات حماهم هنا من العقوبات ﴿بمفازتهم﴾ أي: بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة، ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بألف بعد الزاي جمعا على أن لكل متق مفازة، والباقون بغير ألف بعد الزاي إفرادا وقوله تعالى ﴿لا يمسهم السوء﴾ جملة مفسرة لمفازتهم كأنه قيل: وما مفازتهم؟ فقال: لا يمسهم السوء فلا محل لها، ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من الذين اتقوا، ومعنى الكلام لا يمسهم مكروه ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي: ولا يطرق بواطنهم حزن على فائت لأنه لا يفوت لهم شيء أصلا.

ولما كان المخوف منه والمحزون عليه جامعين لكل ما في الكون فكان لا يقدر على دفعهما إلا القادر المبدع القيوم قال تعالى مستأنفا أو معللا، مظهرا الاسم الأعظم تعظيما للمقام:

﴿الله﴾ أي: المحيط بكل شيء قدرة وعلما والذي نجاهم ﴿خالق كل شيء﴾ أي: من خير وشر وإيمان وكفر فلا يكون شيء أصلا إلا بخلقه.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٣٨/٩

ولما دل هذا على القدرة الشاملة وكان لا بد معها من العلم الكامل قال تعالى: ﴿وهو على كل شيء﴾ أي: مع القهر والغلبة ﴿وكيل﴾ أي: حفيظ لجميع ما يريده قيوم لا عجز يلم بساحته ولا غفلة وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ جملة مستأنفة والمقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح أو مقليد مثل منديل ومناديل أي: هو مالك أمرها وحافظها وهي من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح والكلمة أصلها فارسية، فإن قيل: ما للكتاب المبين والفارسية؟ أجيب: بأن التعريب قد أحالها عربية كما أخرج استعمال المهمل عن كونه مهملا، قال الزمخشري: «سأل عثمان النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ فقال: يا عثمان ما سألني أحد عنها قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله." (١)

"أمل ولم يعط حق الله تعالى منه فكان همه الإعطاء لا إبطاء ما وجب من الحق إقبالا على الدنيا وإعراضا عن الآخرة، وقرأ: ﴿لظى﴾ و ﴿للشوى﴾ و ﴿تولى﴾ ﴿فأوعى﴾ حمزة والكسائي بالإمالة محضة، وورش وأبو عمرو بين بين، والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح.

﴿إن الإنسان﴾ أي: الجنس عبر به لما له من الأنس بنفسه والرؤية لمحاسنها والنسيان لربه ولدينه ﴿خلق هلوعا﴾ أي: جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع وهو أفحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح على المال والسرعة فيما لا ينبغي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنه الحريص على ما لا يحل له.
وروي عنه أن تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿إذا مسه﴾ أي: أدنى مس ﴿الشر﴾ أي: هذا الجنس، وهو ما تطاير شرره من الضرر ﴿جزوعا﴾ أي: عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين ويتفتت ﴿وإذا مسه﴾ كذلك ﴿الخير﴾ هذا الجنس وهو ما يلائمه فيجمعه من السعة في المال وغيره من أنواع الرزق ﴿منوعا﴾ أي: مبالغا في الإمساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة، وهذا الوصف ضد الإيمان لأنه نصفان شكر وصبر.

فإن قيل: حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة، وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه؟ أجيب: بأنه إنما ذمه عليه لقصور نظره على الأمور العاجلة، والواجب عليه أن يكون شاكرا راضيا في كل حال.

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٥٨/٣

وقوله تعالى: ﴿إلا المصلين﴾ استثناء للموصوفين بالصفات الآتية من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبل مضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق، والإشفاق على الخلق، والإيمان بالجزاء، والخوف من العقوبة، وكسر الشهوة، وإيثار العاجل على الآجل، وتلك ناشئة عن الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها ﴿الذين هم﴾ أي: بكلية ضمائرهم وظواهرهم ﴿على صلاتهم﴾ أي: التي هي معظم دينهم وهي النافعة لهم لا لغيرهم بما أفادته الإضافة، والمراد الجنس الشامل لجميع الأنواع إلا أن معظم المقصود الفرض، ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله تعالى: ﴿دائمون﴾ أي: لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها، وقال عقبة بن عامر: هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا، والدائم: الساكن، ومنه نهي عن البول في الماء الدائم، أي: الساكن. وقال ابن جريج والحسن: هم الذين يكثرون فعل التطوع منها.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿على صلاتهم دائمون﴾ وقال تعالى في موضع آخر: ﴿على صلواتهم يحافظون﴾ (الأنعام: ٩٢)

أجيب: بأن دوامهم عليها أن لا يتركوها في وقت، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى تأتي على أكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها، والإتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة، وفي تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة، وأن لا يلتفت يمينا ولا شمالا، وأن يكون حاضر القلب فاهما للأذكار، مطلعا على حكم الصلاة **متعلق القلب** بدخول أوقات الصلاة.

ولما ذكر تعالى زكاة الروح أتبعه زكاة عديلها، فقال تعالى مبينا للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو: ﴿والذين في أموالهم﴾ التي من الله سبحانه بها عليهم ﴿حق معلوم﴾ أي: من الزكوات وجميع النفقات الواجبة. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق ﴿للسائل﴾ أي: الذي." (١)

"اختصت به مكة من زيادة الأمن، وهو أن من التجأ إلى مكة أمن، وكان الناس مع شدة عداوتهم إذا التقوا بمكة لا يخاف بعضهم بعضا، ولذلك أمن الوحش، فإنهم يقربون إذا كانوا بمكة ويستوحشون من الناس إذا كاناو خارج مكة.

وعن الثاني قال الزجاج: معناه: ثبتني على اجتناب عبادتها، كما قال:

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣٨٤/٤

﴿واجعلنا

مسلمين لك﴾ [البقرة: ١٢٨] أي: ثبتنا على الإسلام.

ولقائل أن يقول: السؤال باق، لأنه من المعلوم أن الله تبارك وتعالى ثبت الأنبياء على الإسلام، واجتناب عبادة الأصنام، فما الفائدة من هذا السؤال؟ .

قال ابن الخطيب: والصحيح عندي في الجواب وجهان:

الأول: أنه صلوات الله وسلامه عليه وإن كان يعلم أن الله تعالى يصعمه من عبادة الأصنام، إلا أنه ذكر ذلك للنفس وإظهارا للحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى في كل المطالب.

والثاني: أن الصوفية يقولون: إن الشرك نوعان: شرك ظاهر، وهو الذي يقوله المشركون، وشرك خفي، وهو **تعلق القلب** بالأسباب الظاهرة. والتوحيد هو أن يقطع نظره عن الوسائط، وأن لا يرى متوسطا سوى الحق سبحانه وتعالى فيحتمل أن يكون قوله ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ المراد أن يعصمه عن هذا الشرط الخفي، والله تعالى أعمل.

والجواب عن الثالث من وجوه:

أحدها: قال الزمخشري: «قوله» وبني: أراد بنيه [من صلبه] «.

والفائدة في هذا الدعاء غير الفائدة التي ذكرناها في قوله:» واجنبني وبني «.

وثانيها: قال بعضهم: أراد من أولاده، وأولاد أولاده كل من كان موجودا حال الدعاء، ولا شك أن دعوته مجابة فيهم.

وثالثها: قال مجاهد: لم يعبد أحد من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام صنما، والصنم هو التمثال المصور، وما ليس بصنم هو من الوثن، وكفار قريش ما عبدوا التمثال، وإنما كانوا بعبدون أحجارا مخصوصة.

وهذا الجواب ليس بقوي؛ لأنه صلوات الله وسلامه معليه لا يجوز أن يريد بهذا الدعاء إلا عبادة غير الله، والحجر كالصنم في ذلك.

واربعها: أن هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من أولاده، بدليل قوله في آخر الآية." (١)

"زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة فما الفائدة في تقديم «الجنات» على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكرها بالهاء في «يدخلونها» وما الفرق بني هذا و «بين» قوله القائل: يدخلون جنات عدن؟

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٩٤/١١

فالجواب: أن السامع إذا علم له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم غير المدخل فإذا قيل له: أنت تدخل مال إلى أن يسمع الدار والسوق فيبقى **متعلق القلب** بأنه في أي المداخل يكون. فإذا قيل: «الدار تدخلها» فيذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بأنه له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى **متعلق القلب** ولا سيما الجنة والنار فإن بين المدخلين بونا بعيدا.

قوله: ﴿يحلون فيها﴾ إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير المدخول فقال: ﴿يدحلونها﴾ وفيها يقع تحليتهم، وقوله: «من أساور» بجمع الجمع فإنه جمع «أسورة» وهي جمع «سوار» «من ذهب ولؤلؤا» وقوله: ﴿ولباسهم﴾ أي ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد أو غيره والإكثار من الزينة لا يدل (إلا) على الغنى، وذكر الأساور من بين سائر الحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ [الإنسان: ٢١] وذلك لأن التحلي بمعنيين:

أحدهما: إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون (حاله) حالة الطبخ والغسل.

وثانيهما: إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء لأن التحلي إما بالآلئ والجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللآلىء يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول إلى الأشياء العزيزة الوجود لا لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية وإلا لصرف الذهب والفضة إلى دفع حاجته وإذا عرف هذا فنقول: الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإذا حليت بالأساور علم الفراغ من الأعمال.." (١)

"قوله: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ العامة على رفع ﴿وجوههم مسودة﴾ وهي جملة من مبتدأ وخبر، وفي محلها وجهان:

أحدهما: النصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية، وكذا أعربها الزمخشري ومن مذهبه أنه لا يجوز إسقاط الواو من مثلها إلا شاذا تابعا في ذلك الفراء، فهذا رجوع منع عن ذلك.

والثاني: أنها في محل نصب مفعولا ثانيا، لأن الرؤية قلبية وهي بعيد لأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من **تعلق القلبية** بهما، وقرئ: «وجوهم مسودة» بنصبهما على أن «وجوهم» بدل بعض من «كل» ، و «مسودة» على ما تقدم من النصب على الحال أو على المفعول الثاني.

وقال أبو البقاء: ولو قرئ وجوهم بالنصب لكان على بدل الاشتمال، قال شهاب الدين: قد قرئ به والحمد لله ولكن ليس كما قال: على بدل الاشتمال بل على بدل البعض، وكأنه سبق لسان أو طغيان قلم. وقرأ أبي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤٢/١٦

أجوههم بقلب الواو همزة وهو فصيح نحو: ﴿أقتت﴾ [المرسلات: ١١] وبابه، وقوله: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ عن الإيمان.

قوله: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ قرأ الأخوان وأبو بكر بمفازتهم جمعا لما اختفت أنواع المصدر جمع كقوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ [الأحزاب: ١٠] ، ولأن لكل متق نوعا آخر من المفازة، والباقون بالإفراد على الأصل.." (١)

"قال ابن الخطيب: دوامهم عليها ألا يتركوها في وقت من الأوقات، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها، حتى يأتي بها على أكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها، والإتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة والاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة، وألا يلتفت يمينا ولا شمالا، وأن يكون حاضر القلب فاهما للأذكار، مطلعا على حكم الصلاة **متعلق القلب** بدخول أوقات الصلوات.

قوله: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ .

قال قتادة وابن سيرين: يريد الزكاة المفروضة.

وقال مجاهد: سوى الزكاة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: صلة الرحم وحمل الكل.

والأول أصح؛ لأنه وصف الحق بأنه معلوم، والمعلوم هو المقدر، وسوى الزكاة ليس بمعلوم إنما هو قدر الحاجة، وذلك يقل ويكثر.

وقال ابن عباس: من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق، وأيضا فالله - تعالى - استثناه ممن ذمه، فدل على أن الذي لا يعطي هذا الحق يكون مذموما، ولا حق على هذه الصفة إلا الزكاة.

وقوله: ﴿للسآئل والمحروم﴾ . تقدم في الذاريات.

قوله: ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ [المعارج: ٢٦] ، أي: بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة، أي: يؤمنون بالبعث، والنشور.

﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ ، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف إما من ترك واجب، وإما من فعل محظور، ثم أكد ذلك الخوف بقوله:

﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ .

قال ابن عباس: لمن أشرك أو كذب أنبياءه.

وقيل: لا يأمنه أحد، بل الواجب على كل أحد أن يخافه ويشفق منه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٣٦/١٦

﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فأنهم غير ملومين فمن ابتغى ورآء ذلك فأولئك هم العادون﴾ تقدم تفسيره في سورة «المؤمنون» [المؤمنين: ٥، ٦، ٧] .." (١)

"وابن محيصن والزهري، وابن أبي عبلة وحميد، وابن السميفع: «يعنيه» بفتح الياء والعين المهملة من قولهم: عناني في الأمر، أي: قصدني.

فصل في معنى الآية

قوله: «يفر» ، أي: يهرب في يوم مجيء الصاخة، «من أخيه» أي: من موالاة أخيه، ومكالمته لأنه مشتغل بنفسه، لقوله بعده: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ ، أي: يشغله عن غيره.

وقيل: إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه بالتبعات، يقول الأخ: ما واسيتني بمالك، والأبوان يقولان: قصرت في برنا، والصاحبة تقول: أطعمتني الحرام، والبنون يقولون: ما علمتنا.

وقيل: لعلمه أنهم لا ينفعونه، ولا يغنون عنه شيئا، لقوله تعالى: ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا﴾ [الدخان: ٤١] .

وقال عبد الله بن طاهر: يفر منهم لما تبين له عجزهم، وقلة حيلتهم.

وذكر الضحاك عن ابن عباس، قال: يفر قابيل من أخيه هابيل، ويفر النبي من أمه، ويفر إبراهيم من أبيه، ونوح من ابنه، ولوط من امرأته، وآدم من سوءة بنيه.

قال ابن الخطيب: المراد: أن الذين كان المرء يفر إليهم في دار الدنيا، ويستجير بهم، فإنه يفر منهم في دار الآخرة، وذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل: ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ ، بل من أبويه، فإنهما أقرب من الأخوين، بل من الصاحبة والولد؛ لأن **تعلق القلب** بهما أشد من تعلقه بالأبوين. ثم لما ذكر الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ .

قال ابن قتيبة: «يغنيه» أي: يصرفه عن قرابته، ومنه يقال: أغن عني وجهك، أي: اصرفه.

وقال أهل المعاني: إن ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره، فلم يبق فيه متسع لهم آخر، فصار شبيها بالغني في أنه ملك شيئا كثيرا.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ . لما ذكر تعالى حال يوم القيامة في الهول بين أن المكلفين فيه على قسمين: سعداء، وأشقياء، فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ أي: مضيئة مشرقة،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٧٠/١٩

وقد علمت ما لها من الفوز، والنعيم، من أسفر الصبح: إذا أضاء، وهي وجوه المؤمنين «ضاحكة» أي: مسرورة فرحة.." (١)

"ومحبة الرسول على درجتين – أيضا:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما أمر به من الواجبات.

والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، وتصديقه فيما أخبر به من المخبرات.

والرضا بذلك، وأن لا يجد في نفسه حرجا مما جاء به، ويسلم له تسليما.

وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته، ولا يطلب شيئا من الخير إلا ما جاء

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سنته

وآدابه وأخلاقه، والاقتداء به في هديه وسمته، وحسن معاشرته لأهله

وإخوانه، وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة في الزهد في الدنيا، والرغبة في

الآخرة، وفي جوده وإيثاره وصفحه وحلمه واحتماله وتواضعه.

وفي أخلاقه الباطنة، من كمال خشيته لله، ومحبته له، وشوقه إلى لقائه.

ورضاه بقضائه، وتعلق قلبه به دائما، وصدق الالتجاء إليه، والتوكل

والاعتماد عليه، وقطع **تعلق القلب** بالأسباب كلها، ودوام لهج القلب

واللسان بذكره، والأنس به، والتنعم بالخلوة بمناجاته ودعائه، وتلاوة كتابه

بالتدبر والتفكر.

وفي الجملة، فكان خلقه – صلى الله عليه وسلم – القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فأكمل الخلق من حقق متابعته وتصديقه قولا وعملا وحالا، وهم الصديقون من أمته، الذين رأسهم أبو بكر خليفته من بعده.

* * *." (٢)

"يستضعف ويطمع فيه كل أحد لقرب تناوله فيطمع الآدمي في الأكل منه.

وفي قطعه وسرقته، والبهائم في رعيه، والطير في الأكل منه.

وكذلك المؤمن يستضعف فيعاديه عموم الناس لأن الإسلام بدأ غريبا ويعود

غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧١/٢٠

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٤٩٨/١

فعموم الخلق يستضعفه ويستغربه ويؤذيه لغربته بينهم وأما الكافر والمنافق

أو الفاجر الذين كالصنوبر فإنه لا يطمع فيه فلا الرياح تزعزع بدنه ولا يطمع

في تناوله ثمرته لامتناعها.

* * *

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩)

فكثرة العيال مما يوجب **تعلق القلب** بهم، فيشغل ذلك عن محبته وخدمته

لله، وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩) .

قال أبو حازم: كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو عليك شؤم.

* * *". (١)

"[سورة النساء (٤) : الآيات ٤٧ الى ٤٨]

يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (٤٨)

قوله تعالى: من قبل أن نطمس وجوها [٤٧] أي يحول الله عن الهدى والبصيرة إلى طبع الجهالة. قوله تعالى: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [٤٨] قال: إذا لم يكن بينه وبين أحد مظلمة، وإنما كانت ذنوبه فيما بينه وبين الله تعالى، فإنه يغفرها وهو الجواد الكريم، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يؤتى بعبد يوم القيامة فيؤمر به إلى النار، فيقول: ما كذا كان ظني. فيقول الله عز وجل: ما كان ظنك بي؟ فيقول: أن تغفر لي. فيقول الله عز وجل: قد غفرت لك، فيأمر به إلى الجنة» .

[سورة النساء (٤) : آية ٦٣]

أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣)

قوله تعالى: وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا [٦٣] أي مبلغا بلسانك كنه ما في قلبك بأحسن العبارة عني.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٤٧٥/٢

[سورة النساء (٤) : الآيات ٧٦ الى ٧٧]

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (٧٦) ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا (٧٧)

قوله: الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت [٧٦] قال: المؤمنون خصماء الله على أنفسهم، والمنافقون خصماء النفوس على الله عز وجل، يبتدرون إلى السؤال ولا يرضون بما يختار الله لهم وهو سبيل الطاغوت، إذ النفس أكبر الطواغيت، إذا خلا العبد معها، قيل له عن المعصية. قوله تعالى: قل متاع الدنيا قليل [٧٧] فسئل: ما الدنيا؟ فقال: الدنيا كلها جهل إلا موضع العلم، العلم كله حجة إلا موضع العمل به، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص، والإخلاص لا يتم إلا بالسنة. ثم قال: دنياك نفسك، فإذا أفنيتها فلا دنيا لك.

[سورة النساء (٤) : آية ٨١]

ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٨١)

قوله تعالى: فأعرض عنهم وتوكل على الله [٨١] فسئل: ما التوكل؟ فقال: التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والتبري من الحول والقوة. قيل له: ما حقيقة التوكل في الأصل؟ فقال «١» : حقيقة التوكل في الأصل الإقرار بالتوحيد، وفي الفرع علم الساعة، وفي السكون المعاينة. ثم قال: لا تجزعوا من التوكل، فإنه عيش لأهله. قيل: من أهله؟ قال:

الذين خصوا بالخصوصية. فقيل له: لو زدت لنا وضوحا. فقال سهل: إن العلوم كلها أدنى باب من التعبد، وجملة التعبد أدنى باب من الورع، وجملة الزهد أدنى باب من ظهور القدرة، ولا تظهر القدرة إلا للمتوكل، وليس للتوكل غاية وصف يوصف به، ولا حد يضرب له بالأمثال، ولا غاية ينتهي إليها. فقيل له: صف لنا بعضه. فقال: إن المتوكل له ألف منزل، أول منزل منه المشي في الهواء. قيل له: بماذا يصل العبد إليه؟ فقال: إن أول الأشياء المعرفة، ثم الإقرار، ثم التوحيد، ثم الإسلام، ثم الإحسان، ثم التفويض، ثم التوكل، ثم السكون إلى الحق جل وعز في جميع الحالات، وقال: لا يصح التوكل إلا للمتقي. قيل: ما التقوى؟ قال: كف الأذى

«٢» .

(١) في الحلية ١٠/ ٢٩٨: (سئل عن حقيقة التوكل، فقال: نسيان التوكل) . [.....]

(٢) في الحلية ١٠/ ٢٩٨، (قال: لا يصح التوكل إلا للمتقي، ولا تتم التقوى إلا لمتوكل) .." (١)

"وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه [٢٥] أي بما فيه من الأعمال الخبيثة والكفر، فيتمنى أن يكون غير مبعوث،

[سورة الحاقة (٦٩) : الآيات ٢٧ الى ٣٠]

يا ليتها كانت القاضية (٢٧) مآ أغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩) خذوه فغلوه (٣٠)

فيقول: يا ليتها كانت القاضية [٢٧] يعني:

يا ليت الموتة الأولى كانت علي فلم أبعث. مآ أغنى عني ماليه [٢٨] كثرة مالي، حيث لم أؤد منه حق الله، ولم أصل به القرابة. هلك عني سلطانيه [٢٩] يعني حجتي وعذري، فيقول الله تعالى: خذوه فغلوه [٣٠] فإذا قال ذلك ابتدره مائة ألف ملك، لو أن ملكا منهم أخذ الدنيا بما فيها من جبالها وبحارها بقبضته لقوي عليه فتغل يداه إلى عنقه ثم يدخل في الجحيم.

[سورة الحاقة (٦٩) : آية ٣٢]

ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه (٣٢)

ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا [٣٢] كل ذراع سبعون باعا، كل با ع أبعد مما بين الكوفة ومكة، لو وضعت حلقة منها على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص، كذا حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحكي أن عمر رضي الله عنه قال لكعب: خوفنا يا أبا إسحاق. قال: يا أمير المؤمنين، لو أنك عملت حتى تعود كالعود المقضوب من العبادة، وكان لك عمل سبعين نبيا لظننت أن لا تنجو من أمر ربك وحملة العرش، وجيء باللوح المحفوظ الذي قد حفظ فيه الأعمال وبرزت الجحيم وأزلفت الجنة، وقام الناس لرب العالمين، وزفرت جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه، حتى يقول إبراهيم: نفسي نفسي، فيدعى على رؤوس الخلائق بالرجل العادل والرجل الجائر، فإذا جيء بالرجل العادل رفع إليه كتابه بيمينه، فلا

(١) تفسير التستري سهل التستري ص/٥٤

سرور ولا فرح ولا غبطة نزل يومئذ بعبد أفضل مما نزل به، فيقول على رؤوس الخلائق ما حكاه الله تعالى، ثم يؤتى بالرجل الجائر، فيدفع إليه كتابه بشماله، فلا حزن ولا ذل ولا حسرة أشد مما نزل بالرجل، فيقول على رؤوس الخلائق ما حكى الله تعالى، فيؤخذ ويسحب على وجهه إلى النار، فينتثر لحمه وعظامه ومخه. فقال عمر رضي الله عنه: حسبي حسبي «١» . قال سهل: إن السلاسل والأغلال ليست للاعتقال، وإنما هي لتجذبهم سفلا بعد أبدا ما داموا فيها.

[سورة الحاقة (٦٩) : الآيات ٤٤ الى ٤٦]

ولو تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦)

قوله عز وجل: ولو تقول علينا بعض الأقاويل [٤٤] قال: يعني لو تكلم بما لم تأذن له فيه. لأخذنا منه باليمين [٤٥] يعني أمرنا بأخذ يده كما تفعل الملوك. ثم لقطعنا منه الوتين [٤٦] وهو نياط القلب، وهو العرق الذي **يتعلق القلب** به، إذا انقطع مات صاحبه، فنقطع ذلك السبب بمخالفته إيانا.

[سورة الحاقة (٦٩) : آية ٤٨]

وإنه لتذكرة للمتقين (٤٨)

قوله تعالى: وإنه لتذكرة للمتقين [٤٨] قال: يعني القرآن رحمة للمطيعين.

[سورة الحاقة (٦٩) : آية ٥٠]

وإنه لحسرة على الكافرين (٥٠)

قوله تعالى: وإنه لحسرة على الكافرين [٥٠] قال: يعني ما يرون من ثواب أهل التوحيد ومنازلهم وكريم مقاماتهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٦٣٤ ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٢ والمعجم الكبير ٩/ ٣٦٠ والحلية ٥/ ٣٧١، ٣٩٠.." (١)

---

(١) تفسير التستري سهل التستري ص/١٧٦

"[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١٥ الى ٢٣]

كلا إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) تدعوا من أدبر وتولى (١٧) وجمع فأوعى (١٨) إن الإنسان خلق هلوعا (١٩)

إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١) إلا المصلين (٢٢) الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣)

كلا أي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدأ فقال تعالى إنها لظى يعني النار ولظى اسم من أسمائها وقيل: الدركة الثانية من النار سميت لظى لأنها تتلظى أي تلتهب، نزاعة للشوى يعني الأطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل. والمعنى أن النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا. وقال ابن عباس: تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها. وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه، تدعوا يعني النار إلى نفسها من أدبر أي عن الإيمان وتولى أي عن الحق فتقول له إلي يا مشرك إلي يا منافق إلي إلي. قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب. وقيل تدعو أي تعذب قال أعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله وجمع فأوعى يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه، إن الإنسان خلق هلوعا

قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل. وقيل شحيحا بخيلا. وقيل ضجورا وقيل جزوعا، وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى: إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق. وقال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره. قيل أراد بالإنسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى: إلا المصلين وهذا استثناء الجمع من الواحد لأن الإنسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دائمون يعني يقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض.

فإن قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون؟

قلت معنى إدامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها، وأن لا يتركوها في شيء من الأوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها إذا دخل وقتها، والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه.

وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وإرصاد المكان الطاهر للصلاة، وقصد الجماعة **وتعلق القلب** بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات إلى ما سوى الله عز وجل.

وأما الأمور المقارنة للصلاة فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف وإتمام ركوعها وسجودها. وأما الأمور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة خوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع إلى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع إلى نفسها والمحافظة عليها ترجع إلى أحوالها وهيئاتها. وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا؟ قال لا ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه.." (١)

"يصل إليه من عالم الغيب، وهو قوله: وإياك نستعين وثالثها: أنه يشاهد عالم الشهادة معزولا بالكلية، ويكون الأمر كله لله، وحينئذ يقول: اهدنا الصراط المستقيم.

ثم إن هاهنا دقيقة، وهي أن الروح الواحد يكون أضعف قوة من الأرواح الكثيرة المجتمعة على تحصيل مطلوب واحد، فحينئذ علم العبد أن روحه وحده لا يكفي في طلب هذا المقصود، فعند هذا أدخل روحه في زمرة الأرواح المقدسة المطهرة المتوجهة إلى طلب المكاشفات الروحانية والأنوار الربانية، حتى إذا اتصل بها وانخرط في سلكها صار الطلب أقوى والاستعداد أتم، فحينئذ يفوز في تلك الجمعية بما لا يقدر على الفوز به حال الوحدة، فلهذا قال: صراط الذين أنعمت عليهم.

ثم لما بين أن الاتصال بالأرواح المطهرة يوجب مزيد القوة والاستعداد، بين أيضا أن/ الاتصال بالأرواح الخبيثة يوجب الخيبة والخسران والخذلان والحرمان، فلهذا قال: غير المغضوب عليهم وهم الفساق ولا الضالين وهم الكفار.

ولما تمت هذه الدرجات الثلاث وكملت هذه المقامات الثلاثة- أعني الشريعة المدلول عليها بقوله:

إياك نعبد، والطريقة المدلول عليها بقوله: وإياك نستعين، والحقيقة المدلول عليها بقوله: اهدنا الصراط المستقيم- ثم لما حصل الاستعداد بالاتصال بأرباب الصفاء والاستكمال بسبب المباعدة عن أرباب الجفاء والشقاء، فعند هذا كملت المعارج البشرية والكمالات الإنسانية.

المسألة الثالثة: في تقرير مشرع آخر من لطائف هذه السورة، اعلم أن الإنسان خلق محتاجا إلى جر الخيرات واللذات، ودفع المكروهات والمخافات، ثم إن هذا العالم عالم الأسباب فلا يمكنه تحصيل الخيرات واللذات إلا بواسطة أسباب معينة، ولا يمكنه دفع الآفات والمخافات إلا بواسطة أسباب معينة، ولما كان جلب النفع ودفع الضرر محبوبا بالذات، وكان استقراء أحوال هذا العالم يدل على أنه لا يمكن تحصيل الخير ولا دفع الشر إلا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/ ٣٤١

بتلك الأسباب المعينة، ثم تقرر في العقول أن ما لا يمكن الوصول إلى المحبوب إلا بواسطته فهو محبوب- صار هذا المعنى سببا لوقوع الحب الشديد لهذه الأسباب الظاهرة، وإذا علم أنه لا يمكنه الوصول إلى الخيرات واللذات إلا بواسطة خدمة الأمير والوزير والأعوان والأنصار بقي الإنسان **متعلق القلب** بهذه الأشياء، شديد الحب لها، عظيم الميل والرغبة إليها، ثم قد ثبت في العلوم الحكمية أن كثرة الأفعال سبب لحدوث الملكات الراسخة وثبت أيضا أن حب التشبه غالب على طباع الخلق. أما الأول فكل من واظب على صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف مدة مديدة صارت تلك الحرفة والصناعة ملكة راسخة قوية وكلما كانت المواظبة عليها أكثر كانت الملكة أقوى وأرسخ. وأما الثاني فهو أن الإنسان إذا جالس الفساق مال طبعه إلى الفسق، وما ذاك إلا لأن الأرواح جبلت على حب المحاكاة وإذا عرفت هذا فنقول: إنا بينا أن استقراء حال الدنيا يوجب **تعلق القلب** بهذه الأسباب الظاهرة التي بها يمكن التوسل إلى جر المنافع ودفع المضار، وبينا أنه كلما كانت مواظبة الإنسان عليها أكثر كان استحكام هذا الميل والطلب في قلبه أقوى وأثبت، وأيضا فأكثر أهل الدنيا موصوفون بهذه الصفة مواظبون على هذه الحالة. وبينا أن النفوس مجبولة على حب المحاكاة وذلك أيضا يوجب استحكام هذه الحالة. فقد ظهر بالبينات التي ذكرناها أن الأسباب/ الموجبة لحب الدنيا والمرغبة في التعلق بأسبابها كثيرة قوية شديدة جدا ثم نقول: إنه إذا اتفق للإنسان هداية إلهية تهديه إلى سواء السبيل وقع في." (١)

"قلبه أن يتأمل في هذه الأسباب تأملا شافيا وافيا فيقول: هذا الأمير المستولي على هذا العالم استولى على الدنيا بفرط قوته وكمال حكمته أم لا؟ الأول باطل، لأن ذلك الأمير ربما كان أكثر الناس عجزا، وأقلهم عقلا، فعند هذا، يظهر له أن تلك الإمارة والرياسة ما حصلت له بقوته، وما هيئت له بسبب حكمته، وإنما حصلت تلك الإمارة والرياسة لأجل قسمة قسام وقضاء حكيم علام لا دافع لحكمه ولا مرد لقضائه، ثم ينضم إلى هذا النوع من الاعتبار أنواع أخرى من الاعتبارات تعاضدها وتقويها، فعند حصول هذه المكاشفة ينقطع قلبه عن الأسباب الظاهرة، وينتقل منها إلى الرجوع في كل المهمات والمطلوبات إلى مسبب الأسباب ومفتح الأبواب، ثم إذا توالت هذه الاعتبارات وتواترت هذه المكاشفات صار الإنسان بحيث كلما وصل إليه نفع وخير قال هو النافع وكلما وصل إليه شر ومكروه قال: هو الضار، وعند هذا لا يحمد أحدا على فعل إلا الله، ولا يتوجه قلبه في طلب أمر من الأمور إلا إلى الله، فيصير الحمد كله لله والثناء كله لله، فعند هذا يقول العبد الحمد لله.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٦/١

واعلم أن الاستقراء المذكور يدل العبد على أن أحوال هذا العالم لا تنتظم إلا بتقدير الله، ثم يترقى من العالم الصغير إلى العالم الكبير فيعلم أنه لا تنتظم حالة من أحوال العالم الأكبر إلا بتقدير الله، وذلك هو قوله: رب العالمين ثم إن العبد يتأمل في أحوال العالم الأعلى فيشاهد أن أحوال العالمين منظومة على الوصف الأتقن والترتيب الأقوم والكمال الأعلى والمنهج الأسنى فيرى الذرات ناطقة بالإقرار بكمال رحمته وفضله وإحسانه فعند ذلك يقول: الرحمن الرحيم فعند هذا يظهر للعبد أن جميع مصالحه في الدنيا إنما تهيأت برحمة الله وفضله وإحسانه، ثم يبقى العبد **متعلق القلب** بسبب أنه كيف يكون حاله بعد الموت فكأنه يقال: مالك يوم الدين ليس إلا الذي عرفته بأنه هو الرحمن الرحيم، فحينئذ ينشرح صدر العبد وينفسح قلبه ويعلم أن المتكفل بإصلاح مهماته في الدنيا والآخرة ليس إلا الله، وحينئذ ينقطع التفاته عما سوى الله ولا يبقى **متعلق القلب** بغير الله، ثم إن العبد حين كان **متعلق القلب** بالأمير والوزير كان مشغولا بخدمتهما، وبعد الفراغ من تلك الخدمة كان يستعين في تحصيل المهمات بهما وكان يطلب الخير منهما، فعند زوال ذلك التعلق يعلم أنه لما كان مشتغلا بخدمة الأمير والوزير فلأن يشتغل بخدمة المعبود كان أولى، فعند هذا يقول: إياك نعبد، والمعنى إني كنت قبل هذا/ أعبد غيرك، وأما الآن فلا أعبد أحدا سواك، ولما كان يستعين في تحصيل المهمات بالأمير والوزير فلأن يستعين بالمعبود الحق في تحصيل المرادات كان أولى، فيقول: وإياك نستعين والمعنى: إني كنت قبل هذا أستعين بغيرك وأما الآن فلا أستعين بأحد سواك، ولما كان يطلب المال والجاه اللذين هما على شفا حفرة الانقراض والانقضاء من الأمير والوزير فلأن يطلب الهداية والمعرفة من رب السماء والأرض أولى، فيقول: اهدنا الصراط المستقيم، ثم إن أهل الدنيا فريقان: أحدهما: الذين لا يعبدون أحدا إلا الله ولا يستعينون إلا بالله ولا يطلبون الأغراض والمقاصد إلا من الله، والفرقة الثانية، الذين يخدمون الخلق ويستعينوا بهم ويطلبون الخير منهم، فلا جرم العبد يقول: إلهي اجعلني في زمرة الفرقة الأولى، وهم الذين أنعمت عليهم بهذه الأنوار الربانية والجلايا النورانية، ولا تجعلني في زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون، فإن متابعة هذه الفرقة لا تفيد إلا الخسار والهلاك كما قال إبراهيم عليه السلام: لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟ والله أعلم.." (١)

"واللطيفة الثانية: أنه تعالى أضاف الأنفس والأموال إليهم فوجب أن كون الأنفس والأموال مضافة إليهم يوجب أمرين مغايرين لهم، والأمر في نفسه كذلك، لأن الإنسان عبارة عن الجوهر الأصلي الباقي، وهذا البدن يجري مجرى الآلة والأدوات والمركب، وكذلك المال خلق وسيلة إلى رعاية مصالح هذا المركب، فالحق

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٧/١

سبحانه اشترى من الإنسان هذا المركب وهذا المال/ بالجنة، وهو التحقيق. لأن الإنسان ما دام يبقى **متعلق القلب** بمصالح عالم الجسم المتغير المتبدل، وهو البدن والمال، امتنع وصوله إلى السعادات العالية والدرجات الشريفة، فإذا انقطع التفاته إليها وبلغ ذلك الانقطاع إلى أن عرض البدن للقتل، والمال للإنفاق في طلب رضوان الله، فقد بلغ إلى حيث رجح الهدى على الهوى، والمولى على الدنيا، والآخرة على الأولى، فعند هذا يكون من السعداء الأبرار والأفاضل الأخيار، فالبائع هو جوهر الروح القدسية والمشتري هو الله، وأحد العوضين الجسد البالي والمال الفاني، والعوض الثاني الجنة الباقية والسعادات الدائمة، فالربح حاصل والهم والغم زائل، ولهذا قال: فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به.

ثم قال: يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون قال صاحب «الكشاف» : قوله: يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله: تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقيل جعل يقاتلون كالتفسير لتلك المبايعة، وكالأمر اللازم لها. قرأ حمزة والكسائي بتقديم المفعول على الفاعل وهو كونهم مقتولين على كونهم قاتلين، والباقون بتقديم الفاعل على المفعول. أما تقديم الفاعل على المفعول فظاهر، لأن المعنى أنهم يقتلون الكفار ولا يرجعون عنهم إلى أن يصيروا مقتولين. وأما تقديم المفعول على الفاعل، فالمعنى: أن طائفة كبيرة من المسلمين، وإن صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة، بل يبقون بعد ذلك مقاتلين مع الأعداء. قاتلين لهم بقدر الإمكان، وهو كقوله: فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله [آل عمران: ١٤٦] أي ما وهن من بقي منهم. واختلفوا في أنه هل دخل تحت هذه الآية مجاهدة الأعداء بالحجة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم لا؟ فمنهم من قال: هو مختص بالجهاد بالمقاتلة، لأنه تعالى فسر تلك المبايعة بالمقاتلة بقوله: يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ومنهم من قال: كل أنواع الجهاد داخل فيه، بدليل الخبر الذي رويناه عن عبد الله بن رواحة. وأيضا فالجهاد بالحجة والدعوة إلى دلائل التوحيد أكمل آثارا من القتال، ولذلك

قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس»

ولأن الجهاد بالمقاتلة لا يحسن أثرها إلا بعد تقديم الجهاد بالحجة. وأما الجهاد بالحجة فإنه غني عن الجهاد بالمقاتلة.

والأنفس جوهرها جوهر شريف خصه الله تعالى بمزيد الإكرام في هذا العالم، ولا فساد في ذاته، إنما الفساد في الصفة القائمة به، وهي الكفر والجهل. ومتى أمكن إزالة الصفة الفاسدة، مع إبقاء الذات والجوهر كان أولى. ألا ترى أن جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه، لا جرم حث الشرع على إبقائه،

فقال: «هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به»

فالجهاد بالحجة يجري مجرى الدباغة، وهو إبقاء الذات مع إزالة الصفة الفاسدة، والجهاد بالمقاتلة يجري مجرى إفناء الذات، فكان المقام الأول أولى وأفضل.

ثم قال تعالى: وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن قال الزجاج: نصب وعدا على المعنى، لأن معنى قوله: بأن لهم الجنة أنه وعدهم الجنة، فكان وعدا مصدرا مؤكدا. واختلفوا في أن هذا الذي حصل في الكتب ما هو؟." (١)

"أتته وليست في يده وإنما استطاع أن يلقي من يده ما ليس في يده فذلك محال، أما قوله: فألقاها فإذا هي حية تسعى ففيه أسئلة: السؤال الأول: ما الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الوقت؟ الجواب فيه وجوه: أحدها:

أنه تعالى قلبها حية لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه وذلك لأنه عليه السلام إلى هذا الوقت ما سمع إلا النداء، والنداء وإن كان مخالفا للعادات إلا أنه لم يكن معجزا لاحتمال أن يكون ذلك من عادات الملائكة أو الجن فلا جرم قلب الله العصا حية ليصير ذلك دليلا قاهرا والعجب أن موسى عليه السلام قال: أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى فيه وجعلها متكأ له بأن جعلها معجزة له. وثانيها: أن النداء كان إكراما له فقلب العصا حية مزيدا في الكرامة ليكون توالي الخلع والكرامات سببا لزوال الوحشة عن قلبه. وثالثها: أنه عرض عليه ليشاهده أولا فإذا شاهده عند فرعون لا يخافه. ورابعها: أنه كان راعيا فقيرا ثم إنه نصب للمنصب العظيم فلعله بقي في قلبه تعجب من ذلك فقلب العصا حية تنبيها على أني لما قدرت على ذلك فكيف يستبعد مني نصرة مثلك في إظهار الدين. وخامسها: أنه لما قال: هي عصاي أتوكؤا عليها إلى قوله: ولي فيها مآرب أخرى فقيل له: ألقها فلما ألقاها وصارت حية فر موسى عليه السلام منها فكأنه قيل له: ادعيت أنها عصاك وأن لك فيها مآرب أخرى فلم تفر منها، تنبيها على سر قوله: ففروا إلى الله [الذاريات: ٥٠] وقوله: قل الله ثم ذرهم [الأنعام: ٩١] . السؤال الثاني: قال هاهنا حية وفي موضع آخر ثعبان وجان، أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفيه وجهان: أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها. والثاني: أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان، والدليل عليه قوله تعالى: فلما رآها تهتز كأنها جان. السؤال الثالث: كيف كانت صفة الحية.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥١/١٦

الجواب كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعا، وابتلعت كل ما مرت به من الصخور والأشجار حتى سمع موسى صرير الحجر في فمها وجوفها، أما قوله تعالى: قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ففيه سؤالات: السؤال الأول: لما نودي موسى/ وخص بتلك الكرامات العظيمة وعلم أنه مبعوث من عند الله تعالى إلى الخلق فلم خاف. والجواب من وجوه: أحدها: أن ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لأنه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط. وأيضا فهذه الأشياء معلومة بدلائل العقول. وعند الفزع الشديد قد يذهل الإنسان عنه. قال الشيخ أبو القاسم الأنصاري رحمه الله تعالى وذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه في النبوة لأن الساحر يعلم أن الذي أتى به تمويه فلا يخافه البتة. وثانيها: قال بعضهم: خافها لأنه عليه السلام عرف ما لقي آدم منها. وثالثها: أن مجرد تلك الطاعة لكن قوله: لا تخف لا يدل على حصول الخوف كقوله تعالى: ولا تطع الكافرين [الأحزاب: ١] لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله: فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا [النمل: ١٠] يدل عليه، ولكن ذلك الخوف إنما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه عليه السلام أظهر **تعلق القلب** بالعصا والنفرة عن الثعبان، وأما محمد عليه السلام فما أظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة عن النار. السؤال الثاني: متى أخذها، بعد انقلابها عصا أو قبل ذلك. والجواب:

روي أنه أدخل يده بين أسنانها فانقلبت خشبة

والقرآن يدل عليه أيضا بقوله: سنعيدها سيرتها الأولى وذلك يقع في الاستقبال، وأيضا فهذا أقرب للكرامة لأنه كما أن انقلاب العصا حية معجزة فكذلك إدخال يده في فمها من غير ضرر معجزة وانقلابها خشبا معجز آخر فيكون فيه توالي المعجزات فيكون أقوى في الدلالة. السؤال الثالث: كيف أخذه،." (١)

"حاجته غير متناهية والأجسام متناهية والمتناهي لا يصير مقابلا لغير المتناهي بل الذي يكفي في الحاجة الغير المتناهية الكمال الذي لا نهاية له وما ذاك إلا للحق سبحانه وتعالى فلهذا قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب ولما عرفت حقيقة شرح الصدر للمؤمنين فاعرف صفات قلوب الكافرين لوجوه: أحدها: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم. وثانيها: ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم. وثالثها: في قلوبهم مرض. ورابعها: جعلنا قلوبهم قاسية. وخامسها: إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه. وسادسها: ختم الله على قلوبهم. وسابعها: أم على قلوب أقفالها. وثامنها: كلا بل ران على قلوبهم. وتاسعها: أولئك الذين طبع الله على قلوبهم. إلهنا وسيدنا بفضلك وإحسانك أغلق هذه الأبواب التسعة من خذلانك عنا واجبرنا بإحسانك وافتح لنا تلك الأبواب التسعة من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢/٢٧

إحسانك بفضلك ورحمتك إنك على ما تشاء قدير.

الفصل الخامس: في حقيقة شرح الصدر، ذكر العلماء فيه وجهين: الأول: أن لا يبقى للقلب التفات إلى الدنيا لا بالرغبة ولا بالرهبة أما الرغبة فهي أن يكون **متعلق القلب** بالأهل والولد وبتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم، وأما الرهبة فهي أن يكون خائفا من الأعداء والمنازعين فإذا شرح الله صدره صغر كل ما يتعلق بالدنيا في عين همته، فيصير كالذباب والبق والبعوض لا تدعوه رغبة إليها ولا تمنعه رهبة عنها، فيصير الكل عنده كالعدم وحينئذ يقبل القلب بالكلية نحو طلب مرضاة الله تعالى، فإن القلب في المثال كينبوع من الماء والقوة البشرية لضعفها كالينبوع الصغير فإذا فرقت ماء العين الواحدة على الجداول الكثيرة ضعفت الكل فأما إذا انصب الكل في موضع واحد قوي فسأل موسى عليه السلام ربه أن يشرح له صدره بأن يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها حتى يصير قلبه نفورا عنها فإذا حصلت النفرة توجه إلى عالم القدس ومنازل الروحانيات بالكلية. الثاني: أن موسى عليه السلام لما نصب لذلك المنصب العظيم احتاج إلى تكاليف شاقة منها ضبط الوحي والمواظبة على خدمة الخالق سبحانه وتعالى ومنها إصلاح العالم الجسداني فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر، ألا ترى أن المشتغل بالإبصار يصير/ ممنوعا عن السماع والمشتغل بالسماع يصير ممنوعا عن الإبصار والخيال، فهذه القوى متجاذبة متنازعة وأن موسى عليه السلام كان محتاجا إلى الكل ومن استأنس بجمال الحق استوحش من جمال الخلق فسأل موسى ربه أن يشرح صدره بأن يفيض عليه كمالا من القوة لتكون قوته وافية بضبط العالمين فهذا هو المراد من شرح الصدر.

وذكر العلماء لهذا المعنى أمثلة. المثال الأول: اعلم أن البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفؤاد كالقصر والقلب كالتخت والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم إلى البلدة والغضب كالاسفهسالار الذي يشتغل بالضرب والتأديب أبدا والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالخدم والعملة والصناع ثم إن الشيطان خصم لهذه البلدة ولهذه القلعة ولهذا الملك فالشيطان هو الملك والهوى والحرص وسائر الأخلاق الذميمة جنوده فأول ما أخرج الروح وزيره وهو العقل فكذا الشيطان أخرج في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو إلى الله تعالى والهوى يدعو إلى الشيطان ثم إن الروح أخرج الفطنة إعانة للعقل فأخرج الشيطان في مقابلة الفطنة الشهوة، فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحركك إلى لذات الدنيا ثم إن الروح أمد الفطنة بالفكرة لتقوى الفطنة بالفكرة فتقف على الحاضر والغائب من المعائب على ما

قال عليه السلام: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»

فأخرج الشيطان في مقابلة الفكرة الغفلة ثم أخرج الروح الحلم والثبات فإن العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح

حسنا والحلم يوقف العقل على قبح الدنيا فأخرج الشيطان في مقابلته العجلة والسرعة فلهذا قال عليه السلام: «ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا الخرق في شيء إلا." (١)

"فاصطفينا عبادا ثم أورثنا الكتاب، ثانيها: كيف يكون من الأنبياء ظالم لنفسه؟ نقول منهم غير راجع إلى الأنبياء المصطفين، بل المعنى إن الذي أوحينا إليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفينا رسلا وآتيناهم كتبا، ومنهم أي من قومك/ ظالم كفر بك وبما أنزل إليك ومقتصد آمن بك ولم يأت بجميع ما أمرته به وسابق آمن وعمل صالحا وثالثها: قوله: جنات عدن يدخلونها [الرعد: ٢٣] الداخلون هم المذكورون وعلى ما ذكرتم لا يكون الظالم داخلا، نقول الداخلون هم السابقون، وأما المقتصد فأمره موقوف أو هو يدخل النار أولا ثم يدخل الجنة والبيان لأول الأمر لا لما بعده، ويدل عليه قوله: يحلون فيها من أساور من ذهب [الكهف: ٣١] وقوله: أذهب عنا الحزن [فاطر: ٣٤] . ثم قال:

[سورة فاطر (٣٥) : آية ٣٣]

جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٣٣)

وفي الداخلين وجوه أحدها: الأقسام الثلاثة وهي على قولنا إن الظالم والمقتصد والسابق أقسام المؤمنين والثاني: الذين يتلون كتاب الله والثالث: هم السابقون وهو أقوى لقرب ذكرهم ولأنه ذكر إكرامهم بقوله:

يحلون فالمكرم هو السابق وعلى هذا فيه أبحاث:

الأول: تقديم الفاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى إذا كان المفعول حقيقيا كقولنا: الله خلق السموات وقول القائل: زيد بنى الجدار فإن الله موجود قبل كل شيء، ثم له فعل هو الخلق، ثم حصل به المفعول وهو السموات، وكذلك زيد قبل البناء ثم الجدار من بنائه، وإذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمرا فإن الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وإنما فعل من أفعاله تحقق بالنسبة إلى الدار وكذلك عمرو فعل من أفعال زيد تعلق به فسمي مفعولا لا يحصل هذا الترتيب، ولكن الأصل تقديم الفاعل على المفعول ولهذا يعاد المفعول المقدم بالضمير تقول عمرا ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة، فما الفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكر بالهاء في يدخلونها، وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن؟ نقول السامع إذا علم أن له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فإذا قيل له أنت تدخل فإلى أن يسمع الدار

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢/٤٠

أو السوق يبقى **متعلق القلب** بأنه في أي المداخل يكون، فإذا قيل له دار زيد تدخلها فبذكر الدار، يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بأن له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار، فإن بين المدخلين بونا بعيدا الثاني: قوله: يحلون فيها إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير الدخول فقال: يدخلونها وفيها تقع تحليتهم الثالث: قوله: من أساور بجمع الجمع فإنه جمع أسورة وهي جمع سوار، وقوله: ولباسهم فيها حرير ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس/ يدل على حاجة من دفع برد أو غيره والإكثار من الزينة لا يدل إلا على الغنى الرابع: ذكر الأساور من بين سائر الحلي في كثير من المواضع منها قوله تعالى: وحلوا أساور من فضة [الإنسان: ٢١] وذلك لأن التحلي بمعنيين أحدهما: إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل وثانيهما: إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء وذلك لأن التحلي إما باللآلئ والجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللئالئ يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكبيرة عند الحاجة حيث يعجز عن الوصول إلى الأشياء القليلة الوجود لا لحاجة، والتحلي بالذهب والفضلة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية." (١)

"عظيما بآلة خفيفة سهلة، وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لأن لها أسبابا معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيرا شديدا لا يصل إليه إلا الفرد بعد الفرد، لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر، ومن هذا الباب عمل «أرجعيانوس» الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مجتازا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخا من فراخ البراصل، والبراصل هو طائر عطوف وكان يصفر صفيرا حزينا بخلاف سائر البراصل وكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيره المخالف لصفير البراصل ضربا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ لأنها تظن أن هناك فرخا من جنسها، فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها «أسطرخس» الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل، فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل، وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٢٤٠

وكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلئ تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع.

النوع السادس: من السحر: الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته. واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق.

النوع السابع: من السحر: تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن **لتعلق القلب** أثرا عظيما في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار.

النوع الثامن: من السحر: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه والله أعلم.

المسألة الرابعة: في أقوال المسلمين في أن هذه الأنواع هل هي ممكنة أم لا؟ أما المعتزلة فقد اتفقوا على إنكارها إلا النوع المنسوب إلى التخيل والمنسوب إلى إطعام بعض الأدوية المبلدة والمنسوب إلى التضريب والنميمة، فأما الأقسام الخمسة الأول فقد أنكروها ولعلهم كفروا من قال بها وجوزوا وجودها، وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارا والحمار إنسانا، إلا أنهم قالوا: إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عند ما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة. فأما أن يكون المؤثر في ذلك الفلك والنجوم فلا. وأما الفلاسفة والمنجمون والصابئة فقولهم على ما سلف تقريره، واحتج أصحابنا على فساد قول الصابئة أنه قد ثبت أن العالم محدث فوجب أن يكون موجده قادرا والشيء الذي حكم العقل بأنه." (١)

"الحلف ومثله قوله: ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم [البقرة: ٢٢٤] .

الصفة الثانية: كونه مهينا، قال الزجاج: هو فعيل من المهانة، ثم فيه وجهان أحدهما: أن المهانة هي القلة والحقارة في الرأي والتمييز والثاني: أنه إنما كان مهينا لأن المراد الحلاف/ في الكذب، والكذاب حقير عند الناس. وأقول: كونه حلافا يدل على أنه يعرف عظمة الله تعالى وجلاله، إذ لو عرف ذلك لما أقدم في كل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٢٥/٣

حين وأوان بسبب كل باطل على الاستشهاد باسمه وصفته ومن لم يكن عالما بعظمة الله وكان متعلق القلب بطلب الدنيا كان مهينا، فهذا يدل على أن عزة النفس لا تحصل إلا لمن عرف نفسه بالعبودية، وأن مهانتها لا تحصل إلا لمن غفل عن سر العبودية.

الصفة الثالثة: كونه همازا وهو العياب الطعان، قال المبرد: هو الذي يهمز الناس أي يذكرهم بالمكروه وأثر ذلك يظهر العيب، وعن الحسن يلوي شدقيه في أقفية الناس وقد استقصينا القول] فيه في قوله: ويل لكل همزة [الهمزة: ١] .

الصفة الرابعة: كونه مشاء بنميم أي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم، يقال: نم ينم وينم نما ونميما ونميمة.

الصفة الخامسة: كونه مناعا للخير وفيه قولان: أحدهما: أن المراد أنه بخيل والخير المال والثاني: كان يمنع أهل من الخير وهو الإسلام، وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وما قاربهم لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبدا فمنعهم الإسلام فهو الخير الذي منعهم، وعن ابن عباس أنه أبو جهل وعن مجاهد: الأسود بن عبد يغوث، وعن السدي: الأخنس بن شريق.

الصفة السادسة: كونه معتديا، قال: مقاتل: معناه أنه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فيأتي بالظلم ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة يعني أنه نهاية في جميع القبائح والفضائح.

الصفة السابعة: كونه أثيما، وهو مبالغة في الإثم.

الصفة الثامنة: العتل وأقوال المفسرين فيه كثيرة، وهي محصورة في أمرين أحدهما: أنه ذم في الخلق والثاني: أنه ذم في الخلق، وهو مأخوذ من قولك: عتله إذا قاده بعنف وغلظة، ومنه قوله تعالى: فاعتلوه [الدخان: ٤٧] أما الذين حملوه على ذم الخلق فقال: ابن عباس في رواية عطاء: يريد قوي ضخم. وقال مقاتل: واسع البطن، وثيق الخلق وقال الحسن: الفاحش الخلق، اللئيم النفس وقال عبيدة بن عمير: هو الأكول الشروب، القوي الشديد وقال الزجاج: هو الغليظ الجافي. أما الذين حملوه على ذم الأخلاق، فقالوا: إنه الشديد الخصومة، الفظ العنيف.

الصفة التاسعة: قوله: زنيم وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في الزنيم أقوال: الأول: قال الفراء: الزنيم هو الدعي الملصق بالقم وليس منهم، قال حسان:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٠٤/٣٠

"تفسير أبين من تفسيره، هو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس.
المسألة الثالثة: قال القاضي قوله تعالى: إن الإنسان خلق هلوعا نظير لقوله: خلق الإنسان من عجل [الأنبياء: ٣٧] وليس المراد أنه مخلوق على هذا الوصف، والدليل عليه أن الله تعالى ذمه عليه والله تعالى لا يذم فعله، ولأنه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم في ترك هذه الخصلة/ المذمومة، ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها. واعلم أن الهلع لفظ واقع على أمرين: أحدهما: الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع والثاني: تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية، أما تلك الحالة النفسانية فلا شك أنها تحدث بخلق الله تعالى، لأن من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه إزالة تلك الحالة من نفسه، ومن خلق شجاعا بطلا لا يمكنه إزالة تلك الحالة عن نفسه بل الأفعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والإقدام عليها فهي أمور اختيارية، أما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار.

[سورة المعارج (٧٠) : الآيات ٢٠ الى ٢١]

إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١)

المراد من الشر والخير الفقر والغنى أو المرض والصحة، فالمعنى أنه إذا صار فقيرا أو مريضا أخذ في الجزع والشكاية، وإذا صار غنيا أو صحيحا أخذ في منع المعروف وشح بماله ولم يلتفت إلى الناس، فإن قيل:
حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة، وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله عليه؟ قلنا: إنما ذمه عليه لأنه قاصر النظر على الأحوال الجسمانية العاجلة، وكان من الواجب عليه أن يكون مشغولا بأحوال الآخرة، فإذا وقع في مرض أو فقر وعلم أنه فعل الله تعالى كان راضيا به، لعلمه أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإذا وجد المال والصحة صرفهما إلى طلب السعادات الأخروية، واعلم أنه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفا بثمانية أشياء:

[سورة المعارج (٧٠) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]

إلا المصلين (٢٢) الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣)

أولها- قوله: إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فإن قيل: قال: على صلاتهم دائمون ثم: على صلاتهم يحافظون [المعارج: ٣٤] قلنا: معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه، وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة

وتارة بأمور لاحقة بها، وتارة بأمور متراخية عنها، أما الأمور السابقة فهو أن يكون قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول أوقاتها، ومتعلق بالوضوء، وستر العورة وطلب القبلة، ووجدان الثوب والمكان الطاهرين، والإتيان بالصلاة في الجماعة، وفي المساجد المباركة، وأن يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله تعالى، وأن يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة، وأما الأمور المقارنة فهو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا، وأن يكون حاضر القلب عند القراءة، فاهما للأذكار، مطلعا على حكم الصلاة، وأما الأمور المتراخية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب، وأن." (١)

"واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الأشياء وكان المقصود منها أمورا ثلاثة: أولها: الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها: الدلائل الدالة على القدرة على المعادو ثالثها: أن هذا الإله الذي أحسن إلى عبيده بهذه الأنواع العظيمة من الإحسان، لا يليق بالعاقل أن يتمرد عن طاعته وأن يتكبر على عبيده أتبع هذه الجملة بما يكون مؤكدا لهذه الأغراض وهو شرح أهوال القيامة، فإن الإنسان إذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراض عن الكفر، ويدعوه ذلك أيضا إلى ترك التكبر على الناس، وإلى إظهار التواضع إلى كل أحد، فلا جرم ذكر القيامة: فقال:

[سورة عبس (٨٠) : آية ٣٣]

فإذا جاءت الصاخة (٣٣)

قال المفسرون يعني صيحة القيامة وهي النفخة الأخيرة، قال الزجاج: أصل الصخ في اللغة الطعن والصك، يقال صخ رأسه بحجر أي شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير أي يطعن، فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها للآذان، وذكر صاحب «الكشاف» وجها آخر فقال: يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها أي يستمعون. ثم إنه تعالى وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى:

[سورة عبس (٨٠) : الآيات ٣٤ الى ٣٦]

يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦)

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: يحتمل أن يكون المراد من الفرار ما يشعر به ظاهره وهو التباعد والاحتراز والسبب في ذلك

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٤٤/٣٠

الفرار الاحتراز عن المطالبة بالتبعات. يقول الأخ: ما واسيتني بمالك، والأبوان يقولان قصرت في برنا، والصاحبة تقول أطعمتني الحرام، وفعلت وصنعت، والبنون يقولون: ما علمتنا وما أرشدتنا، وقيل: أول من يفر من أخيه هابيل، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح، ويحتمل أن يكون المراد من الفرار ليس هو التباعد، بل المعنى أنه يوم يفر المرء من موالاة أخيه لاهتمامه بشأنه، وهو كقوله تعالى: إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا [البقرة: ١٦٦] وأما الفرار من نصرته، وهو كقوله تعالى: يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا [الدخان: ٤١] وأما ترك السؤال وهو كقوله تعالى: ولا يسئل حميم حميما [المعارج: ١٠] .

المسألة الثانية: المراد أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم، فإنه يفر منهم في دار الآخرة، ذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل: يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه فإنهما أقرب من الأخوين بل من الصاحبة والولد، لأن **تعلق القلب** بهما أشد من تعلقه بالأبوين. ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى:

[سورة عبس (٨٠) : آية ٣٧]

لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧)." (١)

"﴿١٩٠ - ١٩٤﴾ ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار * ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾ .

يخبر تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿آيات﴾ ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦١/٣١

الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على **تعلق القلب** بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم.

ثم وصف أولي الألباب بأنهم ﴿يذكرون الله﴾ في جميع أحوالهم: ﴿قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم ﴿يتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا، فيقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق.

﴿فقنا عذاب النار﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار.

ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه.

﴿فآمنا﴾ أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم بالإيمان، سيمن عليهم بالأمان التام.

﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات.

ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما

وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز -[١٦٢]- برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم، فلهذا قال:." (١)

"﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ .

﴿و﴾ كذلك لقد تاب الله ﴿على الثلاثة الذين خلفوا﴾ عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة، وهم: "كعب بن مالك" وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن.

﴿حتى إذا﴾ حزنوا حزنا عظيما، و ﴿ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي: على سعتها ورحبها ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء.

﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة.

﴿ثم تاب عليهم﴾ أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها ﴿ليتوبوا﴾ أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، ﴿إن الله هو التواب﴾ أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، ﴿الرحيم﴾ وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.

وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا **تعلق القلب** بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين.

ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿خلفوا﴾ إشارة إلى أن المؤمنين

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٣٥١

-[٣٥٥]- خلفوهم، [أو خلفوا عن من بت في قبول عذرهم، أو في رده] (١) وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا".

ومنها: أن الله تعالى من عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالاقتداء بهم فقال:

---

(١) زيادة من هامش ب.." (١)

"﴿٢٨﴾ ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ .

يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي -أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى.

﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك.

﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب **تعلق القلب** بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ولهذا قال: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره.

﴿واتبع هواه﴾ أي: صار تبعا لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، كما قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ الآية.

﴿وكان أمره﴾ أي: مصالح دينه ودنياه ﴿فرطا﴾ أي: ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماما، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٣٥٤

الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام. وفي الآية، استحباب الذكر والدعاء والعبادة طرفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه.." (١)

"﴿١ - ٦﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾ .

أي: هذا ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ سنقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة، فإن في قصها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته لأوليائه، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره ومعرفته، والسبب الموصل إليه. وذلك أن الله تعالى اجتبى واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا، فقال: ﴿رب إني وهن العظم مني﴾

أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، **وتعلق القلب** بحول الله وقوته.

﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ أي: لم تكن يا رب تردني خائبا ولا محروما من الإجابة، بل لم تزل بي حفيا ولدعائي مجيبا، ولم تزل ألطافك تتوالى علي، وإحسانك واصلا إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقا، أن يتمم إحسانه لاحقا.

﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ أي: وإني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عليه السلام ونصحه، وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٤٧٥

الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين -[٤٩٠]- من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر، أي ليست تلد أصلا وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد. ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾ وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾

أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولدا، ذكرا، صالحا، يبق بعد موته، ويكون وليا من بعده، ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته فقال:." (١)

"﴿١٩﴾ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾

.

العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته (١) فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب **تعلق القلب** به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٤٨٩

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما -وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد -على تكرر الباطل والشبه- إلا نموا وكمالا.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

وقوله: ﴿واستغفر لذنبك﴾ أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب والعفو عن الجرائم.

﴿و﴾ استغفر أيضا ﴿للمؤمنين والمؤمنات﴾ فإنهم -بسبب إيمانهم- كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة. ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما -[٧٨٨]- يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساويهم ومعايبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

﴿والله يعلم متقلبكم﴾ أي: تصرفاتكم وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، ﴿ومثواكم﴾ الذي به تستقرون، فهو يعلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

---

(١) في ب: وجلاله.." (١)

"وزمزم التي توجد في حضن الكعبة، أليست آيات بينات؟ إن «هاجر» تترك الكعبة وتروح إلى «الصفا» وتصعد إلى «المروة» بعد أن تضع «إسماعيل» بجانب الكعبة، وتدور بحثا عن المياه. وسعت هاجر سبعة

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٧٨٧

أشواط لعلها ترى طيرا أو تجد إنسانا يعرف طريق المياه لان ابنها يحتاج إلى الشرب، ولو أنها وجدت على الصفا أو المروة مياها في أول سعيها أكانت تجد تصديقا لقولها لإبراهيم عندما جاء بها للإقامة في هذا المكان «إن الله لا يضيعنا» إنها سعت.

وكأن الله يقول لها ولكل إنسان: عليك بالسعي، ولكن لن أعطيك من السعي، إنما أعطيك الماء تحت رجل إسماعيل. إذن فصدقت في قولها: لن يضيعنا الله، لقد جعلها الحق سبحانه تسعى سبعة أشواط، ولا يمكن لامرأة في مثل عمرها أن تقدر على أكثر من ذلك، وهذا يعلمنا أن الإنسان عليه أن يباشر الأسباب، ولكن القلب عليه أن يتعلق بمسبب الأسباب، وهو الله سبحانه، وفي هذا ما يعدل سلوك الناس جميعا. فساعة يرى الإنسان أن البئر مكان قدم إسماعيل وعلى البعد تكون الصفا والمروة، وتسعى بينهما، وبعد ذلك تجد زمزم مكان ضربة قدم إسماعيل، أليس في هذا آيات بينات تهدى الإنسان أن يباشر الأسباب ويأخذ بها، **ويتعلق القلب** بمسبب الأسباب؟

إن هذا يعطي المؤمن إيمانية التوكل، وهي تختلف عن الكسل و «بلادة التواكل» فإيمانية التوكل هي أن الجوارح تعمل، والقلوب تتوكل، أما الكسل عن الأخذ بالأسباب مع الادعاء بالتوكل فهذه بلادة، ومثل هذا الكسول المتواكل عندما يأتي الأكل أمامه يأكل بنهم وشره، ولو كان صادقا لترك اللقمة تقفز إلى فمه، ولماذا يمضغها إذن؟ لماذا يختار التواكل والكسل، وعدم العمل، ثم يمد يده ليأكل؟ إن هذه هي «صفات التواكل» .

إننا نأخذ من سعي «هاجر» وتفجر الماء عبرة، هي الأخذ بأسباب الله، وبعد ذلك فإننا نجد كل إنسان في البيت الحرام مشغولا بنفسه مع ربه، ومن فرط انشغاله يكون غافلا عمن يكون معه، ولو كان أحب إنسان له فإنه لا يدري به. وساعة تدخل وتنظر إلى الكعبة ينفض من عقلك كل فكر في أي شيء من الأشياء، لا تذكر أولادك أو مالك، لكنك بعد أن تفرغ من المناسك تعود للتفكير في أولادك وعملك، وإلا لو ظل حبك وشوقك وتعلقك ومواجيدك بهذه البقعة لضاق المكان." (١)

"يحفظك من الله؛ ولا أحد ينصرك من دونه ـ حتى لو كثر الجنود عندك؛ ولو كثرت الشرط؛ ولو اشتدت القوة ـ؛ لأن النصر والولاية تكون بالهداية باتباع هدى الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: ٨٢] فالأمن إنما يكون بالإيمان، وعدم الظلم.

١٤ـ ومنها: أنه يجب **تعلق القلب** بالله خوفا، ورجاء؛ لأنك متى علمت أنه ليس لك ولي، ولا نصير فلا

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٦٣٨/٣

تتعلق إلا بالله؛ فلا تعلق قلبك أيها المسلم إلا بربك.

القرآن

﴿) الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) (البقرة: ١٢١)

التفسير:

﴿١٢١﴾ قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مبتدأ؛ وجملة؛ ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ قيل: إنها خبر المبتدأ؛ وعلى هذا فتكون الجملة الثانية: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ استئنافية؛ وقيل: إن قوله تعالى: ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ جملة حالية، وأن جملة: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ خبر المبتدأ؛ والأقرب الإعراب الثاني؛ لأن الكلام هنا عن الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم: لا يؤمنون به إلا من يتلو الكتاب حق تلاوته سواء التوراة، أو الإنجيل، أو القرآن؛ وعلى هذا فقيد الذي آتيناه الكتاب بكونهم يتلونه حق التلاوة." (١)

"الأخير فهذا يعني أنه ليس بعده شيء، والذي يرى أن القبر هو المثوى الأخير وليس بعده مثوى، كافر، فالمثوى الأخير إما جنة وإما نار.

الثالث: الأبدان يركب الإنسان فيها طبقا عن طبق واستمع إلى قول الله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم: ٥٤] . أول ما يخلق الإنسان طفلا صغيرا يمكن أن تجمع يديه ورجليه بيد واحدة منك وتحمله بهذه اليد ضعيفا، ثم لايزال يقوى رويدا رويدا حتى يكون شابا جلدا قويا، ثم إذا استكمل القوة عاد فرجع إلى الضعف، وقد شبه بعض العلماء حال البدن بحال القمر يبدو هلالا ضعيفا، ثم يكبر شيئا فشيئا حتى يمتلىء نورا، ثم يعود ينقص شيئا فشيئا حتى يضمحل، نسأل الله أن يحسن لنا ولكم الخاتمة.

الرابع: حال القلوب وما أدراك ما أحوال القلوب؟! أحوال القلوب هي النعمة وهي النقمة، والقلوب كل قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (١) ، فإن شاء أزاغه وإن شاء هداه، ولما حدث النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث قال: «اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (٢) ،

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٣٤/٢

فالقلوب لها أحوال عجيبة، فتارة يتعلق القلب بالدنيا، وتارة يتعلق بشيء من الدنيا، وتارة يتعلق بالمال ويكون المال أكبر همه، وتارة يتعلق بالنساء وتكون النساء أكبر همه، وتارة يتعلق بالقصور والمنازل ويكون ذلك أكبر همه، وتارة يتعلق بالمركوبات والسيارات ويكون ذلك أكبر همه، وتارة يكون مع الله

---

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤) (١٧) .
(٢) أخرجه الترمزي كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٢١٤٠) . وقال: حديث حسن صحيح..." (١)

"الحزن والخوف ؛ فإن ذلك يقتضي صريحا كمال المحبة، وتعلق القلب بالدنيا وما فيها، وذلك بعيد عن ساحته العلية وهمته القدسية، وأيضا لا معنى لخوف زكريا – عليه السلام – من صرف بني أعمامه ماله بعد موته. أما إن كان الصرف في طاعة فظاهر، وأما إن كان في معصية فلأن الرجل إذا مات وانتقل المال إلى الوارث وصرفه في المعاصي فلا مؤاخذة على الميت، ولا عتاب، على أن دفع هذا الخوف كان متيسرا له بأن يصرفه، ويتصدق به في سبيل الله – تعالى – قبل وفاته ويترك ورثته على أنقى من الراحة، واحتمال موت الفجأة، وعدم التمكن من ذلك لا ينتهض عند الشيعة ؛ لأن الأنبياء عندهم يعلمون وقت موتهم. فما مراد ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – بالوراثة إلا وراثة الكمالات النفسانية، والعلم، والنبوة المرشحة لمنصب الحبورة ؛ فإنه – عليه السلام – خشي من أشرار بني إسرائيل أن يحرفوا الأحكام الإلهية، والشرائع الربانية، ولا يحفظوا علمه، ولا يعملوا به، ويكون ذلك سببا للفساد العظيم، فطلب الولد ليجري أحكام الله – تعالى – بعده، ويروج الشريعة، ويكون محط رحال النبوة، وذلك موجب لتضاعف الأجر واتصال الثواب، والرغبة في مثله من شأن ذوي النفوس القدسية، والقلوب الطاهرة الزكية.

" فإن قيل الوراثة في وراثة العلم مجاز وفي وراثة المال حقيقة وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز لا يجوز بلا ضرورة، فما الضرورة هنا؟ أجيب بأن الضرورة هنا حفظ كلام المعصوم من التكذيب، وأيضا لا نسلم كون الوراثة حقيقة في المال فقط بل صار لغلبة الاستعمال في العرف مختصا بالمال، وفي أصل الوضع إطلاقه على وراثة العلم، والمال، والمنصب صحيح. وهذا الإطلاق هو حقيقته اللغوية، سلمنا أنه مجاز، ولكن هذا المجاز متعارف، ومشهور بحيث يساوي الحقيقة خصوصا في استعمال القرآن المجيد، ومن ذلك قوله – تعالى –: ثم أورثنا الكتاب [٣٥: ٣٢] وأورثوا الكتاب [٤٢: ١٤] إلى غير ما آية ".

---

(١) تفسير العثيمين: جزء عم ابن عثيمين ص/١١٨

" ومن الشيعة من أورد هنا بحثا: وهو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا لم يورث أحدا فلم أعطيت أزواجه الطاهرات حجراتهن؟ والجواب: أن ذلك مغالطة لأن إفراز الحجرات للأزواج إنما كان لأجل كونها مملوكة لهن لا من جهة الميراث، بل لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – بنى كل حجرة لواحدة منهن فصارت الهبة مع القبض متحققة وهي موجبة للملك، وقد بنى

النبي – صلى الله عليه وسلم – مثل ذلك لفاطمة (رضي الله عنها) وأسامة، وسلمه إليهما، وكان كل من بيده شيء مما بناه له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتصرف فيه تصرف المالك على عهده – عليه الصلاة والسلام –، ويدل على ما ذكر ما ثبت بإجماع أهل السنة والشيعة أن الإمام الحسن (رضي الله عنه) لما حضرته الوفاة استأذن من عائشة الصديقة (رضي الله عنها) وسألها أن تعطيه موضعا للدفن في جوار جده المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ؛ فإنه إن لم تكن الحجرة ملك أم المؤمنين لم يكن للاستئذان، والسؤال معنى، وفي القرآن نوع إشارة إلى كون الأزواج المطهرات مالكات لتلك الحجر، حيث قال

_." (١)

"وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية **وتعلق القلب** بالربوبية والشكر عندالعطاء والصبر عند البلاء ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرار." (٢)

"تحقيق

قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب» «١»

ولستم بآخذي هذا الخبيث لا في أصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لأنكم خلقتم من أصل طيب وطينة طيبة. فالروح من أطيب الأطايب لأنه أقرب الأقربين إلى حضرة رب العالمين، والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا [النساء: ٤٣] ثم أحياكم بالإيمان فلنحيينه حياة طيبة [النحل: ٩٧] ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم [البقرة: ٥٧] فليس منكم شيء خبيث في الظاهر والباطن إلا أن تغمضوا فيه فتقبلوه تكلفا وقسرا

«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» «٢»

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤/٣٣٧

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/١٦٦

فلما لم تكن الخباثة ذاتية للإنسان بل كانت طارئة عليه عارية لديه أنزل الله تعالى كلمة طيبة هي «لا إله إلا الله» ليطيب بالمواظبة عليها أخلاقهم ويستحقوا يوم القيامة أن يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين [الزمر: ٧٣] واعلموا أن الله غني فمن كمال غناه أراد أن يغنيكم بثواب الإنفاق حميد على ما أنعم بهذا التكليف ليتوسل به إلى الكمال الأبدي. الشيطان يعدكم الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لأنها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله **وتعلق القلب** بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية. فمن فتح على نفسه باب وسوسة فسوف يبتلى بهذه الآفات وأضعافها، ومن فتح على نفسه باب عدة الحق أفاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله وإحسانه.

فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام، والفضل ما لا تدركه الأوهام للذين أحسنوا الحسنى وزيادة [يونس: ٢٦] فمن ذلك أن يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال يؤتي الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه أهل الإنكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الأسرار والحكم الإلهيات. فالمعقولات ما تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين أهل الأديان، والأسرار الإلهية مواهب الحق لا ترد إلا على قلوب الأنبياء والأولياء نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء [النور: ٣٥] وما يذكر إلا أولوا الألباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا إلى لب عالم النور. ثم أخبر عن توفية الأجور للمنفق في المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالإنفاق النفاق وبالإخلاص الرياء من أنصار ولا ناصر بالحقيقة إلا الله، ومن أذن له الله

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة حديث ٦٤. الترمذي في كتاب تفسير سورة البقرة باب ٣٦.
(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ٩٢. أبو داود في كتاب السنة باب ١٧. الترمذي في كتاب القدر باب ٥. الموطأ في كتاب الجنائز حديث ٢.." (١)

"عن ضيفه فطمسنا أعينهم [القمر: ٣٧] فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون إن في بيت لوط سحرة. ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط وأهله فقال: فأسر بأهلك الباء للتعدية إن كانت الهمزة للوصل من السرى، أو زائدة وإن كانت للقطع من الإسراء. بقطع من الليل عن ابن عباس: أي في آخر الليل بسحر. وقال قتادة: بعد طائفة من الليل. وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين ولا يلتفت منكم أحد أي لا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥٧/٢

ينظر إلى ما وراءه إلا امرأتك أكثر القراء على النصب فاعترض بأن الفصيح في مثله هو البدل لأن الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح؟ فأجاب جار الله بأن الرفع بدل من أحد على القياسي والنصب مستثنى من قوله: فأسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بأن الاستثناء من فأسر يقتضي كونها غير مسرى بها، والاستثناء من لا يلتفت يقتضي كونها مسريا بها لأن الالتفات بعد الإسراء فتكون مسريا بها غير مسرى بها. ويمكن أن يجاب بأن فأسر وإن كان مطلقا في الظاهر إلا أنه في المعنى مقيد بعدم الالتفات إذ المراد أسر بأهلك إسراء لا التفات فيه إلا امرأتك فإنك تسري بها إسراء مع الالتفات، فاستثن على هذا إن شئت من فأسر وإن شئت من لا يلتفت ولا تناقض.

وبعضهم- كابن الحاجب- جعل إلا امرأتك في كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الأقوى. ويمكن أن يقال: إنما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من فأسر إذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم أن تكون مأمورة بالالتفات لأن القائل إذا قال لا يقم منكم إلا زيد كان ذلك أمرا لزيد بالقيام اللهم إلا أن يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم أحد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما أصابهم، وإذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبا للمعصية. قاله في الكشاف.

وروي أنه أمر أن يخلفها مع قومها فلم يسر بها. واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين.

أقول: في هذا الكلام خلل لا يمكن اجتماعهما على الصحة، والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القرآت كلها.

روي أنها لما سمعت هدة العذاب أي صوته التفتت وقالت: يا قوماه. فأدركها حجر فقتلها.

وقيل: المراد بعدم الالتفات قطع **تعلق القلب** عن الأصدقاء والأموال والأمتعة. فعلى هذا يصح الاستثناءان من غير شائبة التناقض كأنه أمر لوطا أن يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فإنها هالكة من الهالكين. ثم أمر أن يقعطوا العلائق وأخبر أن امرأته تبقى متعلقة القلب بها.

يروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل له إن موعدهم الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا: أليس الصبح بقريب؟ فلما جاء أمرنا بإهلاكهم جعلنا أي جعل." (١)

"موضع الأعم تأكيدا. قيل: السلام عليه يوم ولد لا بد أن يكون تفضلا من الله تعالى لأنه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه، وأما الآخران فيجوز أن يكونا لأجل الثواب. قلت: أكثر أموره خارق للعادة، فيحتمل أن يوجد منه في بطن أمه عمل يستحق الثواب كما يحكى أن أمه قالت لمريم وهما حاملان: إني أرى ما في

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤١/٤

بطني يسجد لما في بطنك.

التأويل:

إن زكريا الروح نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب إني وهن مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية، وإني خفت صفات النفس أن تغلب وكانت امرأتي يعني الجثة التي هي روح الروح عاقرا لا تلد إلا بموهبة من الله فهب لي من لدنك سأل وليا فأعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن العلم اللدني فإنه ولد الروح والنفس أعدى عدوه يرثني ويرث من آل يعقوب أي يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانية واجعله رب رضيا بأن توطنه من تجلي صفات ربوبيتك ما يرضى به نظيره ولسوف يعطيك ربك فترضى [الضحى: ٥] اسمه يحيي إن الله أحياه بنوره ولم نجعل له من قبل سميا لا من الحيوانات ولا من الملائكة لأنه هو الذي يقبل فيض الألوهية بلا واسطة، وهو سر حمل الأمانة كما

قال: «ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»

وقد بلغت من الكبر أي بسبب طول زمان **تعلق القلب** بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس آيتك ألا تكلم الناس لا تخاطب إلا الله ولا تلتفت إلى ما سواه ثلاث ليال هي ثلاث مراتب الجماديات والحيوانيات والروحانيات سويا متمكنا في هذا الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته، فأشار إليهم أن كونوا متوجهين إلى الله معرضين عما سواه آناء الليل وأطراف النهار بل بكرة الأزل وعشي الأبد يا يحيى القلب خذ كتاب الفيض الإلهي المكتوب لك في الأزل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لأنه خلق ضعيفا وآتيناه الحكم في صباه إذ خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره زكاة وتطهرا من الالتفات إلى غيرنا وبرا بوالديه

الروح والقالب.

أما بالروح فلأن القلب محل قبول الفيض الإلهي لأن الفيض نصيب الروح أولا ولكن لا يمسكه لغاية لطافته كما أن الهواء الصافي لا يقبل الضوء وينفذ فيه، وأما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه، وهذا أحد أسرار حمل الأمانة. وأما بر والدة القالب فهو استعمالها على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا

كالنفس الأمارة بالسوء وسلام عليه يوم يولد في أصل خلقه ويوم يموت

من استعمال المعاصي بالتوبة ويوم يبعث حيا

بالتربية والترقي إلى مقام السلامة الله حسبي.." (١)

"بأن يكون **متعلق القلب** الأهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم، ولا رهبة بأن يكون خائفا من الأعداء والمنازعين فإن القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير، فإذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت وإذا انصب الكل في موضع واحد ظهر أثرها وقويت فائدتها، فسأل موسى ربه أن يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية إلى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري. أو نقول: إنه لما كلف بضبط الوحي في قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله فاعبدني فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين، والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري أو نقول: معدن النور هو القلب، والاشتغال بما سوى الله- من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار- هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب إلى فضاء الصدر، فإذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم في الدارين صغروا في عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة إلى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسخ القلب بل الصدر للنور رب اشرح لي صدري.

التاسعة: لنضرب مثلا لذلك فنقول: البدن بالكلية كالمملكة، والصدر كالقلعة، والفؤاد كالصفة، والقلب كالسرير، والروح كالملك، والعقل كالوزير، والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم إلى البلدة، والغضب كالا سفهيد الذي يشتغل بالضرب، والتأديب والحواس كالجواسيس، وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع. ثم إن الشيطان كملك مطاع وإنه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الأخلاق الذميمة جنوده، فإذا أخرج الروح وزيره وهو العقل أخرج الشيطان في مقابله الهوى فجعل العقل يدعو إلى الله تعالى والهوى إلى الشيطان. ثم إن الروح أخرج الفطنة إعانة للعقل فأخرج الخصم في مقابلته الشهوة، فالفطنة توقفك على معايب الدنيا، والشهوة تحسن لذات الدنيا. ثم إن الروح أمد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب من المعايب على ما

قال «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»

فأخرج الشيطان في مقابلة الفكرة الغفلة، ثم أخرج الروح الحلم والثبات فإن العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا، فأخرج الشيطان بإزائه العجلة والسرعة فلهذا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤/٤٧٤

قال صلى الله عليه وسلم «ما دخل الرفق في شيء إلا زانه وما دخل الخرق في شيء إلا شانه» «١»
وخلق السموات والأرض في ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر حديث ٧٨. أبو داود في كتاب الجهاد باب: ١. أحمد في مسنده (٦/ ٥٨، ١١٢).." (١)

"في أوقاتها، وأما المحافظة عليها فترجع إلى الاهتمام بشأنها وذلك يحصل برعاية أمور سابقة على الصلاة كالوضوء وستر العورة وطلب القبلة وغيرها، حتى إذا جاء وقت الصلاة لم يكن **يتعلق القلب** بشرائطها وأمور مقارنة للصلاة كالخشوع والاحتراز عن الرياء والإتيان بالنوافل والمكملات، وأمور لاحقة بالصلاة كالاحتراز عن اللغو وما يضاد الطاعة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فارتكابه المعصية بعد الصلاة دليل على أن تلك الصلاة لم تقع في حيز القبول.
الثاني والذين في أموالهم حق قال ابن عباس والحسن وابن سيرين: هو الزكاة المفروضة.
قلت: الدليل عليه وصفه بأنه معلوم واقترانه بإدامة الصلاة، وقال مجاهد وعطاء والنخعي:
هو ما سوى الزكاة وإنه على طريق الندب والاستحباب. قلت: هذا التفسير بما في «الذاريات» أشبه لأنه لم يصف الحق هناك بأنه معلوم ولأنه مدح هناك قوما بالتزام ما لا يلزمهم كقلة الهجوع والاستغفار بالأسحار.
الثالث والذين يصدقون بيوم الدين أي يؤمنون بالغيب والجزاء. الرابع والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون والمؤمن خائف من التقصير في الطاعة وبعض الفسقة لا يخافون من ارتكاب أنواع الظلم وأصناف المعصية. ثم أكد ذلك الخوف بقوله إن عذاب ربهم غير مأمون لأن الأمور بخواتيمها والخاتمة غير مقطوع بها.
الخامس والذين هم لفروجهم حافظون إلى قوله العادون وقد مر في «المؤمنين» .
والسادس والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون وقد مر أيضا. السابع والذين هم بشهاداتهم قائمون من أفرد فلأنها مصدر، ومن جمع فللنظر إلى اختلاف الشهادات وكثرة أنواعها. وأكثر المفسرين قالوا: هي الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق ولا يكتمونها، وهذه من جملة الأمانات خصها بالذكر تنبيها على فضلها لأن في إقامتها إحياء للحقوق وفي تركها تضييع لها. وروى عطاء عن ابن عباس أنها الشهادة بالله أنه واحد لا شريك له. الثامن والذين هم على صلاتهم يحافظون وقد ذكرناه. ثم عين مكان هؤلاء بقوله تعالى أولئك في جنات مكرمون

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥٣٤/٤

قال المفسرون: كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقا يستهزؤن به وبالمؤمنين ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت. فمال الذين كفروا قبلك

أي نحوك وفي مقابلتك مهطعين مسرعين مادين أعناقهم إليك عزين فرقا شتى جمع عزة محذوفة العجز وأصلها عزوة لأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون. وجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف كما مر في عضين قوله كلا ردع لهم عن الطمع الفاسد وذلك من وجهين: أحدهما أنهم ينكرون البعث فمن أين لهم هذا الطمع. والثاني أنهم لم يعدوا لها زادا من الإيمان والعمل الصالح. وفي قوله إنا خلقناهم مما يعلمون رد عليهم من." (١)

"محض الفضل والعناية منه تعالى، أو لأنه قال في ذلك كبرا وافتخارا وتكاثرا، أو لأن هذا القول يشبه قول من لا يرى السعادة إلا في اللذات العاجلة، أو قول من غفل عن الاستدراج والمكر. ويحتمل أن يتوجه الذم على مجموع الأمرين من حيث المجموع حتى لو قال في البسط «أكرمني» تحدثا بنعمة الله، وفي القبض لم يقل «أهانني» بل قال «الحمد لله على كل حال» لم يكن مذموما. ثم ردع الإنسان عن تلك المقالة بقوله كلا أي لم أبتله بالغنى لكرامته علي ولا بالفقر لهوانه لدي ولكنهما من محض المشيئة، أو على حسب المصالح.

ثم نبه الإضراب في قوله بل لا تكرمون اليتيم على أن هناك شرا من ذلك وهو أنه يكرمهم بكثرة المال ثم لا يؤدون حق الله فيه. وعن مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه فنزلت. والتراث أصله الوراث نحو تجاه ووجاه.

واللم الجمع الشديد ومنه كتيبة ململومة مصدر جعل نعتا أي أكلا جامعا بجميع أجزائه كقوله ولا تأكلوها إسرافا [النساء: ٦] وقال الحسن: أي يجمعون نصيب اليتامى إلى نصيبهم كقوله ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم [البقرة: ٨٨] وقيل: جامعا بين حلال ما جمعه الميت وبين حرامه. وقيل: جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة اللذيذة والملابس الفاخرة كما يفعل أهل البطالة من الوراث. والجم الكثير جم الماء وغيره يجم جموما إذا كثر جام، وجم نهي عن التهالك. والشره على جمع المال. وفي وصف الحب بالجم دلالة على أن حب المال وتعلق القلب بتحصيل ما يسد الخلة منه غير مكروه بل مندوب إليه لبقاء نظام العالم على أن كل السلامة وجل الفراغ في الترك كما هو دأب المتوكلين.

إن السلامة من ليلى وجارتها ... أن لا تمر على حال بواديها

ولا ينبئك مثل خبير. ثم ردعهم عن الفعل المذكور وذكر تحسر المقصر في طاعة الله يوم القيامة. وجواب «إذا»

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٥٩/٦

محذوف بعد صفا أو بعد قوله بجهنم ليذهب الوهم كل مذهب أي كان ما كان من الأهوال. ثم استؤنف وجيء يومئذ أو عطف على ما قبله ويوقف على هذا التقدير على قوله بجهنم ويكون يومئذ الثانية متعلقا بما بعده، ويجوز أن يكون «إذا» منصوبا ب يتذكر ويومئذ الثانية بدل منه. ومعنى دكا دكا بعد دك كما قيل في «لبيك» أي كرر عليها الدك حتى صارت هباء منبثا. وقال المبرد:

استوت في الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وقلاعها حتى تصير قاعا صفصفا، ولعل هذا الذي بعد الزلزلة. قوله وجاء ربك أي أمره بالجزاء والحساب أو قهره أو." (١)

"الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب **تعلق القلب** به محبة وإنابة، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما يراه العباد ويسمعونه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر لرسله وأتباعهم، ومن النعم العاجلة المشاهدة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا برهان على أنه وحده المستحق للألوهية.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها فقيرة إلى الله من كل وجه، ناقصة من كل وجه، لا تملك لنفسها، ولا لمن عبدها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؛ فالعلم بذلك يعلم به بطلان إلهيتها، وأن ما يدعون من دون الله هو الباطل، وأن الله هو الإله الحق المبين.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: اتفاق الأنبياء والرسل والعلماء الربانيين على ذلك، وشهادتهم به، وهم خواص الخلق، وأكملهم أخلاقا وعقولا وعلما ويقينا.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة والآيات الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة وأوضحها، وتنادي عليه بلسان المقال ولسان الحال، بما أودعها من لطائف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه.

التاسع: ما أودعه الله في شرعه من الآيات المحكمة والأحكام الحسنة والحقوق العادلة والخير الكثير، وجلب المنافع كلها ودفع المضار، ومن الإحسان المتنوع، وذلك يدل أكبر دلالة أنه الله الذي لا يستحق العبادة سواه، وأن شريعته التي نزلت على ألسنة رسله شاهدة بذلك.

فهذه الطرق التي لا تحصى أنواعها وأفرادها قد أبدأها الله في كتابه." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٩٨/٦

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن عبد الرحمن السعدي ٢٢/١

"بعباده من الوالدة بولدها، وألطف به من كل أحد، وأن الخلق بخلاف ذلك كله؛ ولا ريب أن هذا داع قوي عظيم يدعو إلى قوة الشجاعة، وقصر خوف العبد ورجائه على ربه، وأن ينتزع من قلبه خوف الخلق ورجاءهم وهيبتهم.

ومنها: أن الإيمان هو السبب الأعظم **لتعلق القلب** بالله في جميع مطالبه الدينية والدنيوية؛ والإيمان القوي يدعو إلى هذا المطلب الذي هو أعلى الأمور على الإطلاق، وهو غاية سعادة العبد؛ وفي مقابلة هذا يدعو إلى التحرر من رق القلب للمخلوقين، ومن التعلق بهم؛ ومن تعلق بالخالق دون المخلوق في كل أحواله حصلت له الحياة الطيبة، والراحة الحاضرة، والتوحيد الكامل، كما أن من عكس القضية نقص إيمانه وتوحيده، وانفتحت عليه الهموم والغموم والحسرات.

ولا ريب أن هذين الأمرين تبع لقوة الإيمان وضعفه، وصدقه وكذبه، وتحققه حقيقة أو دعواه والقلب خال منه.

ومنها: أن الإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» ، وجماع حسن الخلق: أن يتحمل العبد الأذى منهم، ويبذل إليهم ما استطاع من المعروف القولي والبدني والمالي، وأن يخالقهم بحسب أحوالهم بما يحبون إذا لم يكن في ذلك محذور شرعي، وأن يدفع السيئة بالتي هي أحسن، ولا يقوم بهذا الأمر إلا المؤمنون الكمل؛ قال تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت: ٣٥]

وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف أثر ذلك في أخلاق العبد انحرافا بحسب بعده عن الإيمان.." (١)

"خير لك من مد ذهبا تتصدق به على المساكين) فعلى العاقل ان يواظب على الاذكار في الليل والنهار ويتصدق على الفقراء والمساكين بخلوص النية واليقين في كل حين

كرامت جوانمردى ونان دهيست ... مقالات بيهوده طبل تهيست

وجلس الإسكندر يوما مجلسا عاما فلم يسأل فيه حاجة فقال والله ما أعد هذا اليوم من ملكى قيل ولم ايها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين قال السرى السقطي قدس سره في وصف الصوفية أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم العرضي ومن تخليهم عن الاملاك ومفارقتهم إياها سموا فقراء فالصوفى ما لم يبذل ماله وروحه في طلب الله فهو صاحب دنيا والدنيا مانعة عن الوصول فعليك بالإيثار وكمال الافتقار الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن عبد الرحمن السعدي ٥٢/١

على شيء من زمان او غيره يستعمل فى الشر استعماله في الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا والمعنى ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك فانك إذا تصدقت به افتقرت و يأمركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر المأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا والله يعدكم اى في الانفاق مغفرة لذنوبكم اى مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا كائنا منه تعالى اى خلفا مما أنفقتم زائدا عليه فى الدنيا وثوابا في العقبى وفيه تكذيب للشيطان والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم يؤتي الحكمة اى مواعظ القرآن ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعمل بها من يشاء من عباده اى يؤتيها إياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها. والموصول مفعول أول ليؤتى قدم عليه الثاني للعناية به ومن يؤت الحكمة اى يعط العلم والعمل فقد أوتي خيرا كثيرا اى أي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة إلا أولوا الألباب اى العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى. فالمراد منهم الحكماء العلام العمال ولا يتناول كل مكلف وان كان ذا عقل لان من لا يغلب عقله على هواه فلا ينتفع به فكأنه لا عقل له قيل من اعطى علم القرآن ينبغى ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما أعطيه خير كثير والدنيا متاع قليل ولقوله عليه السلام (القرآن غنى لا غنى بعده) والاشارة أن الشيطان فقير يعد بالفقر ظاهرا فهو يأمر بالفحشاء حقيقة. والفحشاء اسم جامع لكل سوء لان عدته بالفقر تتضمن معانى الفحشاء وهي البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق للخلق بالرزق والخلف للمنفق ومضاعفة الحسنات وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه وتكذيب قول الحق ونسيان فضله وكرمه وكفران النعمة والاعراض عن الحق والإقبال على الخلق وانقطاع الرجاء من الله تعالى **وتعلق القلب** بغيره ومتابعة الشهوات وإيثار الحظوظ الدنيوية وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل حطيئة وبزر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته." (١)

"من صخ لحديثه إذا أصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصخون لها فى قبورهم فاسند الاستماع الى المسموع مجازا وقيل هى الصيحة التي تصم الآذان لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه فتكون الصاخة حقيقة فى النفخة يوم يفر المرء روزى كه بگريزد مرد من أخيه از برادر خود با وجود موانست ومهربانى وأمه واز مادر خود با كثرت حقوق كه او راست وأبيه واز پدر خود با وجود

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١/٤٣١

شفقت وعاطفت كه ازو ديده وصاحبته واز زن خود با آنكه مونس روزكار او بوده وبنيه واز فرزندان خود با خيال استظهار بديشان اى يعرض الإنسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيأ فقوله يوم منصوب بأعني تفسيرا للصاخة وتأخيرا لاحب للمبالغة لان الأبوين أقرب من الأخ **وتعلق القلب** بالصاحبة والأولاد أشد من تعلقه بالأبوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء فى الرجال فى الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الأبهري قدس سره يفر منهم إذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذي لا يعجزه شيء وتمكن من فسحة التوكل واستراح فى ظل التفويض وفى الآية اشارة الى فرار مرء القلب عن أخيه السر وامه النفس وأبيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الأعمال والأحوال لان فى ذلك اليوم لا يتخلص أحد بعلمه بل بفضله وطوله كما قال عليه السلام لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدنى الله بغفرانه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال الا فيما يعظم من الأحوال والأمور اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به قال ابن الشيخ اى الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغنى فى انه ملك شيأ كثيرا ودر باب مشغولئ قيامت فريد الدين عطار را قدس سره حكايتى منظوم است

كشتئ آورد در دريا شكست ... تخته زان جمله بر بالا نشست

كربه وموشى در ان تخته بماند ... كارشان با يكد٢ر ٧خته بماند

نه ذكر به موش را روى٢ريز ... نه بموش آن گ ربه را چن١ال تيز

هر دوشان از هول درياى عجب ... در تحير بازمانده خشك لب

در قيامت نيز اين غوغا بود ... يعنى آنجا نى تو ونى ما بود

وفى الخبر ان عائشة رضى الله عنهما قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وكيف تحشر النساء قال حفاة عراة قالت عائشة وا سوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية لكل امرئ إلخ واما الفرار حذرا من مطالبتهم بالتبعات بأن يقول الإنسان واسيتنى بمالك والأبوان قصرت فى برنا والصاحبة." (١)

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٠/٣٤٠

"آرند كه سبب استحقاق شرب آن كردند. والأمر للتحضيض والترغيب ظاهر او للوجوب باطنا بوجوب الايمان والطاعة واصل التنافس التغالب فى الشيء النفيس اى المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وأصله من النفس لعزتها وقال البغوي أصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره اى يبخل وفى المفردات المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره قال ذو النون المصري رحمه الله علامة التنافس **تعلق القلب** به وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس بالوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر فى كلام الرحمن وتلقى النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم العين بعينها تجرى من جنة عدن سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه اما لانها ارفع شراب فى الجنة قدرا فيكون من علو المكانة واما لانها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روى انها تجرى فى الهولء متسنمة فتنصب فى أوانيهم فاذا امتلأت امسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون الى الاستقاء عينا نصب على المدح والاختصاص اى يتقدير أعنى يشرب بها المقربون من جناب الله قربا معنويا روحانيا اى يشربون ماءها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وهم اصحاب اليمين غالباء مزيدة او بمعنى من وفيه اشارة الى ان التسنيم فى الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر الى الله واخرى بالنظر الى مخلوقاته فالمقربون أفضل من الأبرار بمحبت غير نيا ميخته اند شراب ايشان صرفست وآنها كه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد

ما شراب عيش ميخواهيم بي دردئ غم ... صاف نوشان ديكر ودردى فروشان ديكرند

وقال بعضهم

تسبيح رهى وصف جمال تو بست ... وزهر دو جهان ورا وصال توبست

اندر دل هر كسى ذكر مقصوديست ... مقصود دل رهى خيال توبست

ودر بحر الحقائق آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص از كدورات خمار كونين وأواني مختومه رى قلوب أوليا واصفيا كه ختام او مسك محبت است لا يشرب من تلك الأواني الا الطالبون الصادقون فى طريق السلوك الى الله (على نفسه فليبك من ضاع عمره. وليس له منها نصيب ولا سهم) وتسنيم اعلاى مراتب محبت ذاتيه كه غير ممزوج باشد بصفات وافعال ومقربان اهل فنا فى الله وبقا بالله انه كما قال العارف فى خمر المحبة الصرفة

الخالصة من المزج

عليك بها صرفا فان شئت مزجها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم." (١)

"فان عبادتها وان لم تكن تغييرا لصورها لكنها تغيير لصفتها فان شيأ منها لم يخلق لان يعبد من دون الله وانما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذي خلق لاجله وكذا الكفر بالله وعصيانه فانه ايضا تغيير خلق الله من وجهه صفة فانه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلي بحلية الايمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد أبطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله صفة ويؤيده قوله عليه السلام (كل مولود يولد على فطرة الإسلام فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) وكذا استعمال الجوارح فى غير ما خلقت لاجله تغيير لها عن وجهها صفة. والجمل الأربع وهى لأتخذن ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم كل واحدة منها مقول للشيطان فلا يخلو اما ان يقولها بلسان جسمه او بلسان فعله وحاله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجزه من طول العمر والعافية ونيل لذائذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس ويمنيهم مالا ينالون نحو ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء او نيل المثوبات الاخروية من غير عمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بإلقاء الخواطر الفاسدة او بألسنة أوليائه. وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله اى ما يعدهم لشيء الا لان يغرهم. واعلم ان العمدة فى إغواء الشيطان ان يزين زخارف الدنيا ويلقى الأماني فى قلب الإنسان مثل ان يلقى فى قلبه انه سيطول عمره وينال من الدنيا أمله ومقصوده ويستولى على أعدائه ويحصل له ما تيسر لارباب المناصب والأموال وكل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره وان طال فربما لا ينال أمله ومطلوبه وان طال عمره ووجد مطلوبه على احسن الوجوه فلا بد ان يفارقه بالموت فيقع فى أعظم انواع الغم والحسرة فان **تعلق القلب** بالمحبوب كلما كان أشد وأقوى كانت مفارقته أعظم تأثيرا فى حصول الغم والحسرة ولذلك قيل

الفت مكير همچوالف هيچ با كسى ... تا بشنوى الم نشوى وقت انقطاع.

فنبه سبحانه وتعالى على ان الشيطان انما يعد ويمنى لاجل ان يغر الإنسان ويخدعه ويفوت عنه أعز المطالب وانفع المآرب. فالعاقل من لا يتبع وسواس الشيطان ويبتغى رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة أولئك اشارة الى اولياء الشيطان وهو مبتدأ مأواهم اى مستقرهم وهو مبتدأ ثان جهنم خبر للثانى والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اى معدلا ومهربا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٧٢/١٠

من حاص يحيص إذا عدل وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اى كائنا عنها ولا يجوز ان يتعلق بيجدون لانه لا يتعدى بعن ولا بقوله محيصا لانه اما اسم مكان وهو لا يعمل مطلقا واما مصدر ومعمول المصدر لا يتقدم عليه. والاشارة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم السعداء وخلق النار وخلق لها أهلا وهم الأشقياء وخلق الشيطان مزينا وداعيا وآمرا بالهوى فمن يرى حقيقة الإضلال ومشيئته من إبليس فهو إبليس وقد قال تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء." (١)

"مكة إذا فعلتم هذا ماذا تلقون من الشدة ومن اين تأكلون اما والله لنقطعن سبلكم ولا نحمل إليكم شيأ فوقع ذلك فى انفس اهل مكة وشق عليهم والقى الشيطان فى قلوب المسلمين الحزن وقال لهم من اين تعيشون وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم الميرة فقال المسلمون قد كنا نصيب من تجاراتهم فالآن تنقطع عنا الأسواق والتجارات ويذهب عنا الذي كنا نصيبه فيها فانزل الله تعالى قوله وإن خفتم عيلة اى فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه إليكم من الأرزاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بان أرسل السماء عليكم مدرارا اكثر من خيرهم وميرهم ووفق اهل تبالة وجرش واسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض إن شاء ان

يغنيكم قيده بالمشيئة مع ان التقييد بها ينافى ما هو المقصود من الآية وهو ازالة خوفهم من العيلة لفوائد الفائدة الاولى ان لا **يتعلق القلب** بتحقق الموعود بل يتعلق بكرم من وعد به ويتضرع اليه فى نيل جميع المهمات ودفع جميع الآفات والبليات والثانية التنبيه على ان الإغناء الموعود ليس يجب على الله تعالى بل هو متفضل فى ذلك لا يتفضل به الا عن مشيئته وإرادته والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة الى جميع الاشخاص ولا بالنسبة الى جميع الامكنة والأزمان إن الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطى ويمنع قال الكاشفى [حكم كننده است بتحقيق آمال ايشان گر درى در بندد ديگرى بگشايد]

كمان مدار گر ضايعم تو بگذارى ... كه ضايعم نگذارد مسبب الأسباب

براى من در احسان گر تو در بندى ... درى دگر بگشايد مفتح الأبواب

- روى- عن الشيخ ابى يعقوب البصري رضى الله عنه قال جعت مرة فى الحرم عشرة ايام فوجد ضعفا فحدثتنى نفسى ان اخرج الى الوادي لعلى أجد شيأ ليسكن به ضعفى فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة ايام فآخرها يكون حظك سلجمة

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢/٢٨٩

مطروحة متغيرة فرميت بها فدخلت المسجد فقعدت فاذا برجل جاء فجلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذه لك قلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذرا ان خلصنا الله ان يتصدق بشيء ونذرت انا ان خلصنى الله ان أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيته قلت افتحها فاذا فيها كعك سميذ ممصر ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضه من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية منى إليهم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير إليك مند

عشرة ايام وأنت تطلبه من الوادي ... قال الصائب

فكر آب ودانه در كنج قفس بي حاصلست ... زير چرخ انديشه روزى چرا باشد مرا

وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى قد رفع قلم التكليف عن الإنسان الى ان يبلغ استكمال القالب ففى تلك المدة كانت النفس وصفاتها يطفن حول كعبة القلب مستمدة من القوى." (١)

"بر شاه را خزانه نهادن بود هوس ... درويش را خزانه همين لطف دوست بس

ولو كان فى جمع حطام الدنيا منفعة لا تنفع قارون قال مالك بن دينار كنت فى سفينة مع جماعة فنبه العشار ان يخرج أحد فخرجت فقال ما اخرجك فقلت ليس معى شيء فقال اذهب فقلت فى نفسى هكذا امر الآخرة فالعلائق قيد والتجرد حضور وراحة: قال الحافظ

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود ... ز هر چه رنك تعلق پذيرد آزادست

أشار بهذا البيت الى الحرية عن جميع ما سوى الله تعالى فان العالم جسما او روحا عينا او علما مما يقبل التعلق لكن لما كان الف الناس بالمحسوس اكثر خص ما تحت الفلك الأرزق بالذكر اعلم ان الاتعاظ بالموعظة القرآنية يوصل العبد الى السعادة الباقية ويخلصه من الحظوظ النفسانية- حكى- ان ابراهيم بن أدهم سر ذات يوم بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلا أعطاه كتابا فاذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فان الذي أنت فيه جسيم لولا انه عديم فسارع الى امر الله فانه يقول سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة فانتبه فزعا وقال هذا تنبيه من الله وموعظة فتاب الى الله واشتغل بالطاعة ثم فى عبارة جاءتكم اشارة الى ان حضرة القرآن تحفة من الله تعالى جسيمة وهدية منه عظيمة وصلت إلينا فلم يبق الا القبول وقبوله الائتمار باوامره والانتهاء عن نواهيه قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لى ثم رجعت لا قرأ ثانيا فانتهرنى وقال جعلت القراءة على عملا اذهب فاقرأ على غيرى فانظر ماذا يأمرك وينهاك وماذا يفهمك كذا فى الاحياء: ونعم ما قيل

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤١١/٣

نقد عمرش ز فكرت معوج ... خرج شد در رعايت مخرج

صرف كردش همه حيات سره ... در قراءات سبع وعشره

والمقصود من البيت انه يلزم بعد تحصيل قدر ما يتحصل به تصحيح الحروف ورعاية المخرج صرف باقى العمر الى الأهم وهو معرفة الله تعالى وهو **متعلق القلب** الذي هو اشرف من اللسان وسائر الأعضاء ومعرفة الله انما تحصل غالبا بالذكر ثم بالفكر بانكشاف حقائق الأشياء وحقائق القرآن فكما ان الله تعالى أيد النبي عليه السلام بجبريل فكذا أيد الولي بالقرآن وهو جبريل وعلم الشريعة يبقى هنا لان متعلقه على الفناء وانما يذهب الى الآخرة ثوابه بحسب العمل بالخلوص. واما علم الحقيقة فيذهب الى الآخرة لانه على البقاء وهو ازلى أبدى لا زوال له فى كل موطن ومقام كما أفاده لى حضرة شيخى وسندى قدس الله نفسه الزاكية ونفعنى وإياكم بعلومه النافعة قل أرأيتم أخبروني ايها المشركون ما أنزل الله لكم من رزق ما استفهامية منصوبة المحل بانزل سادة مسد المفعولين لأرأيتم جعل الرزق منزلا من السماء مع ان الأرزاق انما تخرج من الأرض اما لانه مقدر فى السماء كما قال تعالى وفي السماء رزقكم ولا يخرج من الأرض الا على حسب ما قدر فيها فصار بذلك كأنه منزل منها أو لأنه انما يخرج من الأرض بأسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس. والقمر فان المطر سبب الإنبات والشمس سبب النضج والقمر سبب اللون واللام للمنفعة فدلت على ان المراد منه ما حل فجعلتم منه اى جعلتم بعضه حراما اى حكمتم بانه حرام وحلالا اى وجعلتم." (١)

"الدماء او فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء وهم بنوا إسرائيل فانهم من فروع يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم [اى كروه من] إن كنتم آمنتم بالله اى صدقتم به وبآياته وعلمتم ان إيصال المنافع ودفع المضار بقبضة اقتداره فعليه توكلوا وثقوا به واعتمدوا عليه ولا تخافوا أحدا غيره قال بعضهم وصف نوح عليه السلام نفسه بالتوكل على وجه يفيد الحصر فقال فعلى الله توكلت وموسى عليه السلام امر قومه بذلك فظاهر ان هذه الدرجة فوق درجة نوح انتهى يقول الفقير كان الكلام فى القصة الاولى مع نوح وفى الثانية مع قوم موسى ولذا اقتصر نوح فى تخصيص التوكل بالله تعالى على نفسه وموسى امر بذلك وذا لا يدل على رجحان درجته على درجة نوح فى هذا الباب لتغاير الجهتين كما لا يخفى على اولى الألباب إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم الذي هو وجوب التوكل بشرطين مختلفين هما الايمان بالله والإسلام والا لزم ان لا يجب التوكل بمجرد الايمان بالله بل هما حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة علق وجوب التوكل

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٥٥

على الايمان بالله فانه المقتضى له وعلق حصول التوكل ووجوده على الإسلام فان الإسلام لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن إليك زيد فاحسن اليه ان قدرت فقالوا مجيبين له من غير تلعثم فى ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اى موضع عذاب لهم بان تسلطهم علينا فيعذبونا ويفتنونا عن ديننا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وسوء جوارهم: قال المتنبي

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغى ان يتوكل اولا لتجاب دعوته وحقيقة التوكل إسقاط الخوف والرجاء عما سوى الله تعالى والاستغراق فى بحر شهود المسبب والانقطاع عن ملاحظة الأسباب وقال بعضهم التوكل **تعلق القلب** بمحبة القادر المطلق ونسيان غيره يعنى لم يثبت لنفسه ولا لغيره قوة وتأثيرا بل كان منقادا للحكم الأزلي بمثابة الميت فى يد الغسال

هر كه در بحر توكل غرقه كشت ... همتش از ما سوى الله دركذشت

اين توكل كر چه دارد رنجها ... فهو حسبه بخشد از وى كنجها

ولما آمن هؤلاء الذرية بموسى واشتغلوا بعبادة الله تعالى لزمهم ان يبنوا مساجد للاجتماع فيها للعبادة فان فرعون كان قد خرب مساجد بنى إسرائيل حين ظهر عليهم لكن لما لم يقدروا على اظهار شعائر دينهم خوفا من أذى فرعون أمروا باتخاذ المساجد فى بيوتهم كما كان المؤمنون فى أول الإسلام يعبدون ربهم سرا فى دار الأرقم بمكة وذلك قوله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن مفسرة للمفعول المقدر اى أوحينا إليهما شيأ هو تبوءا لقومكما بمصر بيوتا يقال تبوأ المكان إذا اتخذه مباءة ومنزلا. والمعنى اجعلا بمصر المعروفة او الاسكندرية كما فى الكواشي بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليها." (١)

"كان من الرجال من فى قلبه ريبة يتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من فى قلبها ريبة تتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت وفى الحديث (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها) قال فى فتح القريب هذا ليس على عمومه بل محمول على ما إذا اختلطن بالرجال فاذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال ومن صلى منهن فى جانب بعيد عن الرجال فاول صفوفهن خير لزوال العلة والمراد بشر الصفوف فى الرجال والنساء كونها اقل ثوابا وفضلا وأبعدها عن مطلوب الشرع وخيرها بعكسه. وانما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن عن مخالطة الرجال

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٧٢/٤

ورؤيتهن **وتعلق القلب** بهن عند رؤية حركاتهن وسماع كلامهن ونحو ذلك. وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والصف الاول الممدوح الذي وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الذي يلى الامام سواء كان صاحبه على بعد من الامام او قرب وسواء تخلله مقصورة او منبرا واعمدة ونحوها أم لا هذا هو الصحيح وقيل الصف الاول هو المتصل من طرف المسجد الى طرفه لا تتخلله مقصورة ونحوها فان تخلل الذي يلى الامام شيء فليس باول بل الاول ما لم يتخلله شيء وان تأخر وقيل الصف الاول عبارة عن مجيئ الإنسان الى المسجد اولا وان صلى فى صف متأخر وعن انس رضى الله تعالى عنه حض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فى الصلاة فازدحم الناس عليه وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشترى دورا قريبة من المسجد فانزل الله تعالى هذه الآية يعنى انما يؤجرون بالنية وفى الحديث (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات) قالوا بلى يا رسول الله قال (إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة) قال فى فتح القريب الدار البعيدة لمن يقدر على المشي أفضل وهذا فى حق من هو متفرغ لذلك ولا يفوته بكثرة خطاه او مشيه الى المسجد مهم من مهمات الدين فان كان يفوته ذلك كالاشتغال بالعلم والتعلم والتعليم ونحو ذلك من فروض الكفاية فالدار القريبة فى حقه أفضل وكذا الضعيف عن المشي ونحوه فان قيل روى الامام احمد فى مسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (فضل البيت القريب من المسجد على البعيد منه كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد) فالجواب ان هذا فى نفس البقعة وذاك فى الفعل فالبعيد دارا مشيه اكثر وثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد ولهذا قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم (الشؤم فى ثلاث المرأة والدار والفرس) ان شؤم الدار ان تكون بعيدة عن المسجد لا يسمع

ساكنها الاذان قال العلماء ينبغى ان يستثنى من افضلية الا بعد الامام فان النبي عليه السلام والائمة بعده لم تتباعد عن المسجد لطلب الاجر واختلف فيمن قربت داره من المسجد هل الأفضل له ان يصلى فيه او يذهب الى الأبعد فقالت طائفة الصلاة فى الأبعد أفضل عملا بظاهر الأحاديث وقيل الصلاة فى الأقرب أفضل لما روى الدار قطنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد) ولاحياء حق المسجد ولما له من الجوار فان كان فى جواره مسجد ليس فيه جماعة وبصلاته فيه تحصل الجماعة كان فعلها فى مسجد الجوار أفضل على المذهب لما فى ذلك من عمارة المسجد واحيائه بالجماعة اما لو كان." (١)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٤٥٦

"مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن وقد سبق معنى المرة فى سورة طه عند قوله تعالى (ولقد مننا عليك مرة أخرى) بما صبروا اى بصبرهم وثباتهم على الايمانين والعمل بالشريعتين وفى التأويلات النجمية على مخالفة هواهم وموافقة أوامر الشرع ونواهيه وفى الحديث (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فعلمها فاحسن تعليمها وادبها فاحسن تأديبها ثم تزوجها فله اجره مرتين وعبد ادى حق الله وحق مواليه ورجل آمن بالكتاب الاول ثم آمن بالقرآن فله اجره مرتين) كما فى كشف الاسرار ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالطاعة المعصية وبالقول الحسن القول القبيح وفى التأويلات النجمية اى بأداء الحسنة من الأعمال الصالحة يدفعون ظلمة السيئة وهى مخالفات الشريعة كما قال عليه السلام (اتبع السيئة الحسنة تمحها) وقال تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) وهذا لعوام المؤمنين ولخواصهم ان يدفعوا بحسنة ذكر لا اله الا الله عن مرآة القلوب سيئة صدأ حب الدنيا وشهواتها ولا خص خواصهم ان يدفعوا بحسنة نفى لا اله سيئة شرك وجود الموجودات بقطع **تعلق القلب** عنها وغض بصر البصيرة عن رؤية ما سوى الله بإثبات وجود الا الله كما كان الله ولم يكن معه شيء ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير وفيه اشارة الى انفاق الوجود المجازى فى طلب الوجود الحقيقي وإذا سمعوا اللغو من اللاغين وهو الساقط من الكلام: وبالفارسية [سخن بيهوده] أعرضوا عنه اى عن اللغو وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم القديم فيعرضون عنهم ولا يشتغلون بالمقابلة وقالوا للاغين لنا أعمالنا من الحلم والصفح ونحوهما ولكم أعمالكم من اللغو والسفاهة وغيرهما فكل مطالب بعمله سلام عليكم هذا السلام ليس بتسليم مواصل وتحية موافق بل هو براءة وسلام مودع مفارق: يعنى [ترك شما كرديم] لا نبتغي الجاهلين) الابتغاء الطلب والجهل معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه اى لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم ومخاطبتهم والتخلق بأخلاقهم [چه مصاحبت با اشرار موجب بدنامى دنيا است وسبب بد فرجامى عقبى است]

از بدان بگريز وبا نيكان نشين ... يار بد زهرى بود بى انگبين

وحكم الآية وان كان منسوخا بآية السيف الا ان فيه حثا على مكارم الأخلاق وفى الحديث (ثلاث من لم يكن فيه فلا يعتد بعلمه حلم يرد به جهل جاهل وورع يحجز عن معاصى الله

وحسن خلق يعيش به فى الناس ... قال الشيخ سعدى [جالينوس ابلهى را ديد كه دست

بگريبان دانشمندى زده وبى حرمتى كرده كفت گر اين دانشمند دانا بودى كار او بنادان بدين جايكه نرسيدى]

دو عاقل را نباشد كين و پيكار ... نه دانايى ستيزد با سبكار

بر ناداں بوحشت سخت کوید ... خردمندش برحمت دل بجوید

دو صاحب دل نکه دارند مویی ... همیدون سرکشی وآزرم جویی." (١)

"والطبيعة التي هى السجية فان ذلك هو نقش النفس بصورة ما اما من حيث الخلقة او من حيث العادة وهو فيما ينقش به من جهة الخلقة اغلب وشبه احداث الله تعالى فى نفوس الكفار هيئة تمرنهم وتعودهم على استجاب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب اعراضهم عن النظر الصحيح بالختم والطبع على الأواني ونحوها فى انهما مانعان فان هذه الهيئة مانعة عن نفوذ الحق فى قلوبهم كما ان الختم على الأواني ونحوها مانع عن التصرف فيها ثم استعير الطبع لتلك الهيئة ثم اشتق منه يطبع فيكون استعارة تبعية فاصبر يا محمد على اذاهم قولا وفعلا إن وعد الله بنصرتك واظهار دينك حق لا بد من إنجازه والوفاء به [نكه داريد وقت كارها راكه هر كارى بوقتى بايسته است] ولا يستخفنك اى لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا قال فى المفردات لا يزعجنك ولا يزيلنك عن اعتقادك بما يوقعون من الشبه الذين لا يوقنون الإيقان [بى كمان شدن] واليقين أخذ من اليقين وهو الماء الصافي كما فى كشف الاسرار اى لا يوقنون بالآيات بتكذيبهم إياها واذاهم بأباطيلهم التي من جملتها قولهم ان أنتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم أمثال ذلك فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام لكنه فى الحقيقة نهى له عن التأثر من استخفافهم على طريق الكناية- روى- انه لمامات ابو طالب عم النبي عليه السلام بالغ قريش فى الأذى حتى ان بعض سفهائهم نثر على رأسه الشريفة التراب فدخل عليه السلام بيته والتراب على رأسه فقام اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله عليه السلام يقول لها (لا تبكى يا بنية فان الله مانع أباك) وكذا او ذى الاصحاب كلهم فصبروا وظفروا بالمراد فكانت الدولة لهم دينا ودنيا وآخرة: قال الحافظ

دلا در عاشقى ثابت قدم باش ... كه در اين ره نباشد كار بى اجر

وفى التأويلات النجمية وبقوله (فاصبر) يشير الى الطالب الصادق فاصبر على مقاساة شدائد فطام النفس عن مألوفاتها تزكية لها وعلى مراقبة القلب عن التدنس بصفات النفس تصفية له وعلى معاونة الروح على بذل الوجود لنيل الجود تحلية له (إن وعد الله حق) فيما قال (ألا من طلبنى وجدنى) (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) يشير به الى استخفاف اهل البطالة واستجهالهم اهل الحق وطلبه وهم ليسوا اهل الإيقان وان كانوا اهل الايمان التقليدى يعنى لا يقطعون عليك الطريق بطريق الاستهزاء والإنكار كما هو عادة اهل الزمان يستخفون طالبى الحق وينظرون إليهم بنظر الحقارة ويزروهم وينكرون عليهم فيما يفعلون من ترك الدنيا وتجردهم

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤١٤/٦

عن الاهالى والأولاد والأقارب وذلك لانهم لا يوقنون بوجوب طلب الحق تعالى ويجب على طالبى الحق اولا التجريد لقوله تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وبعد تجريد الظاهر يجب عليهم التفريد وهو قطع **تعلق القلب** من سعادة الدارين وبهذين القدمين وصل من وصل الى مقام التوحيد كما قال بعضهم خطوتان وقد وصلت قال الشيخ العطار قدس سره

مكر سنك وكلوخى بود در راه ... بدريايي درافتادند ناكاه." (١)

"«أفبالباطل يؤمنون» ، وهو حسبان حصول شيء من الأغيار، **وتعلق القلب** بهم استكفاء منهم أو استدفاعا لمحذور أو استجلابا لمحبوب.

«وبنعمت الله هم يكفرون» والنعمة التي كفروا بها هى الثقة بالله، وانتظار الفرج منه، وحسن التوكل عليه.

قوله جل ذكره:

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٣]

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون (٧٣)

ومن يتعلق بشخص أو بسبب مضاه «١» لعباد الأصنام من حيث إنه يضيع وقته فيما لا يعينه، فالرزق، من الله- فى التحقيق- مقدر.

قوله جل ذكره:

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٤]

فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون (٧٤)

كيف تضرب الأمثال لمن (لا) «٢» يساويه أحد فى الذات والصفات وأحكام الأفعال؟

ومن نظر إلى الحق من حيث الخلق «٣» وقع فى ظلمات التشبيه، وبقي عن معرفة المعبود.

قوله جل ذكره:

[سورة النحل (١٦) : آية ٧٥]

ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٦١/٧

الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٧٥)

شبه الكافر بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ولا ملك له فى الشرع، والمؤمن المخلص بمن رزقه الخيرات ووفقه إلى الطاعات ثم وعده الثواب وحسن المآب على ما أنفقه.

---

(١) فى الهامش هكذا، بينما هى فى النص (معناه) ، والصواب ما جاء فى الهامش أي مماثل.

(٢) سقطت (لا) والمعنى يتطلبها.

(٣) أي من حيث مضاهاته بالخلق، ومناظرته بالحدثان.." (١)

"وعنبا وهو غذاء من وجه وفاكهة من وجه، وقضبا (٢٨) . قيل: هو كل ما يقطع من البقول.

وقال الحسن: هو العلف للدواب. وقال ابن عباس: هو الرطب فإنه يقطع من النخل، وزيتونا وفيه إصلاح المزاج، ونخلا (٢٩) وحدائق غلبا (٣٠) أي بساتين ملتفة الأشجار، أو طوال الأشجار،

وفاكهة وهي ما تأكله الناس من ثمار الأشجار، وأبا (٣١) وهو ما تأكله الدواب من الكلأ، متاعا لكم ولأنعامكم (٣٢) أي فعل الله ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم، فإذا جاءت الصاخة (٣٣) أي صيحة النفخة الثانية التي تصم الآذان لشدتها، يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) و «يوم» إما منصوب بأعني تفسيرا ل «الصاخة» ، أو بدل منها مبني على الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأي الكوفيين، أي يعرض عن أخيه وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦) وفائدة هذا الترتيب كأنه قيل يوم يعرض المرء عن أخيه، بل عن أبويه اللذين هما أقرب من الأخ، بل عن الزوجة والولد اللذين تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالأبوين، وجواب «إذا» محذوف تقديره: اشتغل كل امرئ بحال نفسه، ويدل عليه قوله تعالى: لكل امرئ منهم يومئذ أي يوم إذ تكون هذه الداهية شأن يغنيه (٣٧) ، أي شغل يكفيه في الاهتمام به، أو عمل يصرفه عن قرابته كما قاله ابن قتيبة.

وقرئ «يعنيه» بالياء المفتوحة والعين المهملة، أي يهمه، أي يوقعه في الهم، وجوه يومئذ مسفرة (٣٨) أي مضيئة من صلاة الليل- كما قاله ابن عباس- أو من آثار الوضوء- كما قاله الضحاك- أو بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بالرحمة ومنازل الرضوان- كما قاله الرازي- ضاحكة أي معجبة بكرامة الله أو مسرورة بالفراغ من الحساب، مستبشرة (٣٩) أي فرحة بما تشاهد من النعيم الدائم والثواب الجسيم، ووجوه يومئذ عليها غبرة (٤٠) أي كدورة

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣٠٩/٢

ترهقها أي تدركها عن قرب، قترة (٤١) أي سواد كالدخان أولئك أي أصحاب هذه الوجوه هم الكفرة الفجرة (٤٢) أي الجامعون بين الكفر بالله والكذب على الله.." (١)

"ليكون **تعلق القلب** بالله الحكيم لا بالعمل المحكم، فالوجهة الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثبت عند تقلب الأحكام بما في قلبه من صدق التعلق بالله والتوجه له أيان ما وجهه، وعلى المجيب عن غرض ظاهر ليس يسنده صدق باطن فيتعلق من الظاهر بما لا يثبت عند تغيره – انتهى.

وبين أنها الأولى بقوله: ﴿التي كنت عليها﴾ وبين أن العلة التمييز بين الناس بقوله: ﴿إلا لنعلم﴾ أي بما لنا من العظمة بالجنود والرسل وغيرهم حين وجود الأمر بالتحول عنها ﴿من يتبع الرسول﴾ في كل ما يأمر به اتباعا دالا على تمكن إيمانه ﴿ممن ينقلب﴾ أي يرتد فيدبر بعد إقباله متنكسا ﴿على عقبيه﴾ علما متعلقا بموجود تقوم به الحجة في مجاري عاداتكم، والعقب مؤخر القدم. وقال الحرالي: لنجعل علما ظاهرا على الصادق وغيره يشتمل العلم به من علم الغيب قبل كونه وبعد كونه، ومن لم يعلم الغيب إلا عن علم بما ينبئني عنه نون الاستتباع فهذا وجهه ووجه ما يرد من نحوه في القرآن والسنة – انتهى.

ثم بين شدتها على من أخلد إلى العادة لغلبة القوة الحيوانية البهيمية ولم يتمرن في الانقياد للأوامر الإلهية على خلع الإلف وذل." (٢)

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢/٦٠٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢/٢١٣